

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

جامعة الأمير عبد القادر

قسم التاريخ.

للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

رقم الإيداع

الرقم التسلسلي

المذهب الإسماعيلي و العمران في

المغرب الأوسط

280 هـ - 893 م / 362 هـ - 973 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

تخصص : المدينة و الحياة الحضرية في المغرب الإسلامي - تاريخ وسيط -

إشراف الأستاذة الدكتورة :

إعداد الطالب :

* بوبة مجاني

* يوسف بردودي

| | | | |
|-------------------------------------|----------------------|--------------------|-----------|
| الجامعة الأصلية | | | |
| جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - | أستاذ التعليم العالي | أ.د. إسماعيل سامعي | 1- الرئيس |
| - نطينة - | أستاذ التعليم العالي | .. | 2- |
| جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - | | . | 3- |
| جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - | أستاذ التعليم العالي | .. | 4- |

السنة الدراسية : 1431 هـ - 1432 هـ - 2010 - 2011 م

الإهداء

جامعة الأزهر الشريف
عبدالمباري عطيم
مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

"...فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ"

سورة القصص، الآية 24.

إلى الوالدين الكريمين:

إلى أمي رحمها الله.

الغائبة الحاضرة، ولسان الحال يقول:

إذا كانت الاجساد منا تباعدت*** فإن المدى بين القلوب قريب.

إلى أبي حفظه الله.

الذي منحني رضاه ودعواته لي بالتيسير والتوفيق.

إلى زوجتي:

التي أزرت فأجملت، وأعانت فأحسننت، وما

كان أحوجني في إخراج هذه المذكرة إلى

من يشد أزري، ويعينني على أمري.

إلى هؤلاء أهدى هذا العمل.

| الرموز والمختصرات | |
|-------------------|----|
| جزء | ج |
| مجلد | مج |
| هجري | هـ |
| ميلادي | م |
| صفحة | ص |

المقدمة

جامعة الأمير عبد العزيز
العلوم الإسلامية

1- التعريف بالموضوع:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابه الطاهرين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ثم أما بعد:

يشكل التاريخ العمراني أهمية لا يستهان بها باعتباره فرع من فروع التاريخ، مثله مثل التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ذلك أن معرفة الطوبوغرافية التاريخية بالنسبة نث الذي يريد دراسة التاريخ الديني والعسكري والاقتصادي والاجتماعي للمدن تعد أمرا لا مفر منه، إذ لا بد للباحث أن يحدد المعالم العمرانية التي جرت فيها الوقائع والأحداث ويبينها. ويعتبر موضوع العمران وعلاقته بالمذهب الإسماعيلي من المواضيع الهامة في التاريخ ساري والصراع بين المذاهب والقبائل في بلاد المغرب وذلك من أجل الاستقرار والبقاء، ورغم أهميته التاريخية والأثرية على حد سواء، إلا أنه لم يلق اهتماما كبيرا من قبل الباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية خلال الفترة الفاطمية في المغرب الأوسط.

وتعتني هذه الدراسة بالعمران والمذهب الإسماعيلي في المغرب الأوسط بتقديم نموذج دال عاينة ورصد التطورات والتحويلات المرتبطة بالعمران في مرحلة الدعوة و الدولة الفاطمية. وعليه فقد تطرقت هذه الدراسة إلى العمران وأبعاده المرتبطة بمناحي الحياة المذهبية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأوسط، على اعتبار أن العمران في مرحلة الدعوة والدولة الفاطمية كان له علاقة هامة ومباشرة بالمجال الجغرافي والاقتصادي والمشروع السياسي، إذ لعب دورا هاما في التحويلات التي طرأت على المغرب الأوسط، وبالأخص على الريف الكتامي في مرحلة الدعوة وكذلك على أرض قبيلة صنهاجة الشمال ومنطقة الزاب موطن قبيلة زناتة في مرحلة الدولة.

وبناء عليه فقد شمل هذا البحث الفترة الممتدة من مجيء الداعي أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد كتامة واستقراره بها سنة 280هـ/893م، إلى غاية انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر سنة 362هـ/973م، معالجا مسار العمران في مرحلتي الدعوة و الدولة معا، لأن فترة ما قبل أبي عبد الله الداعي كان عمرانها بسيطا أو لا تقتصر على اتخاذ مسجد فقط، ولأنها كذلك لم تتوغل في العمق الكتامي بل توقف الداعيان أبي سفيان و الحلواني عند حدود بلاد كتامة حسب تعليمات رئاسة التنظيم الدعوي لهما.

وعلى هذا الأساس جاء البحث بعنوان: المذهب الإسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط 280هـ-362هـ/893م-973م"، وستحاول هذه الدراسة معالجة العمران والظروف التي كانت محيطة به، ومعرفة أهداف الدولة الفاطمية من البناء والتعمير وما أضافته في المجال العمراني

من جهة وما قامت به من تخريب وتهديم لبعض المنشآت العمرانية من جهة أخرى، مع ذكر الأبعاد المذهبية والعسكرية والسياسية والاقتصادية لثنائية البناء والتهديم الذي شهده المغرب الأوسط.

ورغم أن بلاد كتامة وأرض قبيلة صنهاجة الشمال لم تكن حاضرة، أو ذات اهتمام سياسي من قبل الدول المتعاقبة على المغرب وذلك من خلال الدور الهامشي لقبائل هذه المناطق، إلا أن مجالها الجغرافي شهد تطورات عمرانية هامة في العهد الفاطمي تمثلت في بناء دور للهجرة في مرحلة الدعوة هما تازروت و إيكجان ببلاد كتامة، كما شهدت أرض قبيلة صنهاجة الشمال ومنطقة الزاب حتى تلمسان الخاضعة لقبيلة زناتة بناء مدينتين في مرحلة الدولة، هما مدينتي المحمدية (المسيلة) و أشير، لهذه الأسباب جعلت من هذا المجال الذي اصطلح عليه باسم المغرب الأوسط مجالاً لموضوع بحثي حول العمران، ذلك أن العمران يعد مرآة عاكسة لتطور المجتمع ومدى تزايد كثافته السكانية.

2- أسباب اختيار الموضوع:

لا شك أن اختيارنا لهذا الموضوع يرجع إلى عدة أسباب نجملها في الآتي:

أ- قلة الدراسات التاريخية إن لم نقل انعدامها في مجال العمران بالمغرب الأوسط بصفة عامة وفي الفترة الفاطمية بصفة خاصة، ذلك أن الدراسات السابقة طغى عليها الجانبين السياسي والعسكري على حساب الجانب الحضاري بصفة عامة و العمراني بصفة خاصة باستثناء بعض الدراسات التي عالجت الموضوع من الناحية العمرانية مثل الدراسة الأثرية التي قام بها عبد الله كامل موسى عبدة: الفاطميون وأثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن¹.

ب- محاولة إمطة اللثام في هذه الدراسة " عن العمران في مرحلة الدعوة الإسماعيلية، ومعرفة وظيفة هذا النوع من العمران الذي انفرد به أتباع المذهب الإسماعيلي عن غيره من المذاهب الإسلامية الأخرى.

3- إشكالية البحث:

أولى الباحثون عناية كبيرة بدراسة تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب فتناولوها بالبحث من مناحي متعددة سياسية ومذهبية واقتصادية واجتماعية وعلمية، في حين بقيت الدراسات المتعلقة بالجانب العمراني تشهد نقصاً خاصة في مجال المغرب الأوسط، لذلك جاءت هذه الدراسة

¹ دار الآفاق العربية، القاهرة 2001م.

لتكامل بعض النقص في هذا الجانب وذلك من خلال طرح مجموعة من الإشكالات ومحاولة الإجابة عنها، فرغم قصر العمر الزمني للدولة الفاطمية في مرحلتها المغربية والتي دامت حوالي ستين عاما فقط، إلا أنها شهدت ازدهارا عمرانيا، وبناء عديد المدن، فهل كان البناء والتعمير من صلب المشروع السياسي الفاطمي؟ وهل كان العمران الذي شيد في المغرب الأوسط في العهد الفاطمي عمراننا عسكريا فقط، أم له أبعاد أخرى مذهبية واقتصادية واجتماعية وديموغرافية؟.

4- منهج الدراسة:

لقد اتبعت في معالجة هذا موضوع العمراني على الوقائع والأحداث السياسية والعسكرية من جهة و الميدانية العمرانية من جهة ثانية.

ففيما يتعلق بالوقائع والأحداث فلقد اعتمدت على المادة المصدرية التي تتحدث عن تاريخ الدولة الفاطمية المذهبي والسياسي والعسكري في فترتها المغربية، وبالأخص الجانب العقدي للمذهب الإسماعيلي الخاصة في نظرتة للهجرة، آخذا بعين الاعتبار المنهج الاستقرائي والإحصائي للوقوف على مدى استبحار المران أو تراجعها، متوسلا كذلك بالبحوث التي تطرقت للدراسات الإسماعيلية المرتبطة بالجانب العقدي للمذهب الإسماعيلي، وربطها بالوقائع التاريخية وصولا إلى فكرة التأسيس، والتوظيف التطبيقي لها في مجال البناء والعمران.

كما أنني لجأت إلى البقايا المعمارية في مرحلتي الدعوة والدولة، متبعا المنهج الوصفي والإحصائي للوقوف على مدى استبحار العمران وطبيعته ومكانته من حيث الفخامة و البساطة كبقايا القصر في مدينة أشير.

5- خطة البحث:

قسمت الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة و ملاحق.

- **ففي المقدمة** عرفت بموضوع البحث، وأهم الإشكاليات المتعلقة به مع تبيان منهجية الدراسة المتبعة وكذلك التعريف بأهم المصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع والدراسات التي اعتمدها.

- **ففي الفصل الأول** عرضت للهجرة من النموذج النبوي إلى التقليد الإسماعيلي فوقفت عند ثلاثية الهجرة والدولة والدعوة في المبحث الأول، أما المبحث الثاني فقد عرفت الهجرة لغة وشرعا، في حين تطرقت في المبحث الثالث إلى التقليد الإسماعيلي للهجرة النبوية.

- أما **الفصل الثاني** فقد تناولت فيه دار الهجرة بين التنظير الإسماعيلي والواقع المغربي ومدى ارتباط النشاط الدعوي بالعمران محاولا الإجابة على سؤال غاية في الأهمية وهو هل العمران مرتبط في المذهب الإسماعيلي بالنشاط الدعوي دون النظر إلى حجم هذا العمران؟ وتبعاً لذلك فقد تطرقت في المبحث الأول لدراسة مسألة الدار والهجرة من خلال المذهب الإسماعيلي أما المبحث الثاني فخصصته لماهية الدعوة الإسماعيلية ومراتبها، في حين جعلت المبحث الثالث لعلاقة المذهب الإسماعيلي بالواقع المغربي.

- أما **الفصل الثالث** من هذه الدراسة فقد تناولت فيها العمران في مرحلة الدعوة فعرضت في المبحث الأول من هذا الفصل إلى التعريف بقبيلة كتامة وعنونه بكتامة القبيلة والعمران، أما المبحث الثاني فقد خصصته لدراسة دار الهجرة تازروت دراسة تاريخية، في حين تناولت في المبحث الثالث لدراسة دار الهجرة إيكجان من خلال المواصفات والبقايا.

- ولقد خصصت **الفصل الرابع** لدراسة العمران في مرحلة الدولة الفاطمية، فعرضت في المبحث الأول لحملة القائم وانعكاساتها على العمران في المغرب الأوسط، أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه التخطيط العمراني لمدينة المحمدية (المسيلة)، في حين عالجت في المبحث الثالث دور المحمدية العسكري في زمن ثورة صاحب الحمار ودورها الحضاري في زمن السلم.

- أما **الفصل الخامس** فقد ختمت به الدراسة حيث عالجت فيه الصراع الأموي الفاطمي وانعكاساته على عمران المغرب الأوسط، فتطرقت في المبحث الأول إلى بدايات التدخل الأموي في المغرب، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه بناء مدينة أشير ببلاد صنهاجة تحت عنوان تعميم المجال بين القبيلة والدولة، في حين خصصت المبحث الثالث لعمليات التهديم والتخريب التي شهدتها بعض مدن المغرب الأوسط كتهديم مدينة تاهرت ومدينة إيفكان قرب تلمسان.

- وأخيراً فلقد ضمنت **الخاتمة** أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها، وألحقت عدة نصوص بهذا البحث لمزيد من إلقاء الضوء على بعض المسائل ذات الأهمية إضافة إلى فهرس ولائحة للمصادر و المراجع.

وككل طالب يخطو خطواته الأولى في مجال البحث فلقد واجهتني بعض الصعوبات أجملها فيما يلي:

أولاً: نقص المصادر الإسماعيلية في المكتبات الجزائرية مما حدا بي إلى الانتقال إلى بعض المكتبات خارج الوطن كمكتبات تونس التي وجدت فيها بعض المصادر الإسماعيلية المهمة التي أفادتني في موضوع بحثي.

ثانياً: تعرض معظم البقايا الأثرية للتخريب والإهمال وأصبحت عبارة عن أكوام من الحجارة المتراكمة والمتناثرة هنا وهناك، وخاصة في موقع تازروت و إيكجان، مما يعسر الكشف عن بعض منشآتها العمرانية المذكورة في المصادر التاريخية من أجل المقارنة بما ذكر في المصادر الأدبية و التاريخية الكلاسيكية وما هو موجود على أرض الواقع.

وبعد حمد الله وشكره لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذة الدكتورة بوبة مجاني لتفضلها بالإشراف على هذه الرسالة، ومتابعتها بكل صبر ومودة، موجهة و مصوبة لكثير مما ورد فيها، بالإضافة إلى تزويدي بمصادر و عناوين كتب مهمة ساهمت في إخراج هذه الرسالة بالشكل العلمي المطلوب فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وقسم التاريخ بجامعة الجزائر العاصمة الذين أفادوني بتوجيهاتهم في بداية عملي في هذه الرسالة. كما زودوني بالعديد من المصادر والمراجع التي لم أجدتها في المكتبات، و اخص بالذكر الأستاذة دلال لواتي، فلها مني الشكر الوفير، ومن واجبي أيضا أن أتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة على قبولهم الإطلاع على هذه الرسالة لتصحيح أخطائها وتقويم اعوجاجها.

كما أوجه امتناني و عرفاني لموظفي مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية و عمال المكتبة الوطنية بتونس على كل ما قدموه لي من توجيه و عناية و رعاية و تسهيل لمهمتي في إنجاز هذه الرسالة، بالإضافة إلى عمال و موظفي متحف الجزائر العاصمة للآثار و متحف سطيف و متحف ميلة على ما يسروه لي من بحث ودراسة في الملفات و الوثائق و التقارير و الآثار المعروضة فيها.

6- التعريف بأهم مصادر ومراجع الدراسة:

اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من المصادر الأساسية و التي أفادنتي في إنجاز هذه الدراسة، ولقد صنفتها حسب انتماء مؤلفيها المذهبي، مصادر شيعية و سنية.

أ- المصادر الإسماعيلية:

وهي مجموعة من المصادر الإسماعيلية المتنوعة و التي شملت المؤلفات العقائدية و التاريخية و الجغرافية و الأدبية و نذكر منها:

- المصادر المذهبية:

1- المصادر المخطوطة:

- مخطوط الرسالة الإمامية إلى أهالي ممالك اليمانية: للخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم محمد القائم¹(المتوفى سنة334 هـ/946م)، وهو عبارة عن منشور بعثه إلى أهل اليمن بعدما تسلم زمام الخلافة، ويكشف لنا هذا المنشور عن فلسفة الهجرة عند الإسماعيلية والمتمثلة في هجرة الأتباع إلى حيث يوجد الإمام والجهاد معه لنصرة المذهب والدولة من أي خطر يحقق بهما، وهذا المخطوط يُبين المكانة الكبيرة للهجرة، وأنها من ضروريات الطاعة المفروضة على الأتباع للائمة، فلا سعادة للناس في الدين والدنيا إلا بطاعتهم والانقياد لهم.

-2- المصادر المطبوعة:

تعد مؤلفات **جعفر بن منصور اليمن** (ت سنة 347هـ/958م) من أشهر المؤلفات الإسماعيلية في المرحلة المغربية على الإطلاق، إذ يعتبر جعفر بن منصور اليمن من منظري المذهب الإسماعيلي، وله عديد المؤلفات المتعلقة بعلم الباطن وفكر المذهب وعقائده، ومن أهم ما اعتمدت عليه من هذه المؤلفات ما يلي:

- **كتاب الكشف²**: وقد كشف فيه جعفر بن منصور اليمن عن التأويلات الإسماعيلية لقصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، مستخدماً في ذلك رموزاً ومصطلحات سرية تأكيداً على علم الأئمة الباطني وعلى سرية الدعوة كذلك، وأمام عدم تمكني من الحصول على كتب تفسير القرآن الكريم من وجهة نظر إسماعيلية فقد أفادني هذا الكتاب في معرفة التأويل الإسماعيلي لبعض الآيات المتعلقة بقصص الأنبياء وأسلوب دعوتهم وما نتج عنها من هجرة لهم ولأتباعهم تبعته حركة بناء وعمران في المكان المهاجر إليه.

- **سرائر وأسرار النطقاء³**: وهو كتاب باطني أيضاً بيّن فيه نظرة الإسماعيلية لفلسفة الهجرة واتخاذ دار هجرة. كما رد في هذا الكتاب على من أنكر إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق فساق القرائن والأدلة لإثبات هذا الحق ضد المخالفين عقائدياً مثل أهل السنة، ومنهجياً مثل فرق الشيعة الأخرى كالزيدية والإمامية، ومن هذا المنطلق فقد أفادني هذا الكتاب كثيراً في تعريف الهجرة عند الإسماعيلية، ولأهميته فقد اعتمدت عليه في الفصلين الأول والثاني في هذا البحث.

- كما اعتمدت على مؤلفات معاصره، **أبي يعقوب إسحاق السجستاني** (ت بعد سنة361هـ/971م) وهو أحد فلاسفة المذهب الإسماعيلي ينسب إلى سجستان في جنوب خراسان، ومن بين مؤلفاته التي أفاد منها هذا البحث، **كتاب الإفتخار⁴** الذي اعتمدت عليه في الفصل الثاني من الدراسة المتعلقة بماهية الدعوة ومراتبها حيث أفادني في التعريف بمصطلحات الدعوة

¹ ضمن مجموع، المكتبة الوطنية، الجزائر 604.

² تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1984م.

³ تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1984م.

⁴ حققه وقدم له إسماعيل قربان حسين بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م.

الإسماعيلية كالناطق و الوصي والإمام والتي أفرد لكل اسم منها بابا خاصا من هذا الكتاب، بالإضافة إلى رسالة تحفة المستجيبين¹ والتي خصصها إلى أتباع المذهب الذين يأتون في المرتبة الأولى من مراتب الدعوة ويشكلون قاعدتها العريضة.

- وتعتبر مؤلفات القاضي النعمان ابوحنيفة محمد بن محمد بن حيون التميمي المغربي (ت 363هـ/974م)، تأتي مصادر القاضي النعمان من ناحية الأهمية في مقدمة المصادر المعتمدة في هذه الدراسة، إذ تعتبر أساسا للدراسات الإسماعيلية ومن أهم الكتابات التي تناولت الدولة الفاطمية على الإطلاق كونها الأبرك زمنيا، ويعود ذلك إلى المكانة التي حظي بها عند الخلفاء الفاطميين والمناصب الدينية والمذهبية والسياسية الديوانية التي شغلها فلقد تولى مناصب عديدة بدءا بصاحب أخبار الخاضرة المهديّة التي كان ينقلها يوميا لخليفة سهدي بالله والقائم بأمر الله، ثم أصبح بعد ذلك مسؤولا عن مكتبة القصر حيث كان ينسخ الكتب يوميا للإمام القائم بأمر الله، إلى أن أصبح قاضيا للقضاة عهد الخليفة الثالث أبي الطاهر المنصور، كما أنه تدرج في مراتب الدعوة إلى أن بلغ أعلاها في عهد الخليفة المعز لدين الله وهي مرتبة داعي الدعاة، ومن أهم كتبه:

- الأرجوزة المختارة²: ويتعرض فيها القاضي النعمان لتاريخ نشوء الفرق الإسلامية، مع ذكر أهم عقائدها، وقد أفادني هذا الكتاب في معرفة نظرة الإسماعيلية للفرق الشيعية الأخرى كالزيدية والإمامية، وموقفها من الهجرة ودار الهجرة، وسيأتي ذكر المصادر الأخرى للقاضي النعمان لاحقا حسب تصنيفها.

- كتاب زهر المعاني: للداعي المطلق إدريس عماد الدين بن الحسن الأنف القرشي³ (ت 872هـ/1467م)، وقد جمع فيه مجمل عقائد الإسماعيلية، ما كان منها علميا أو عمليا، وقد جعله في واحد وعشرين بابا، حيث تكلم في الباب الرابع عشر عن دور الأنبياء، ثم عن دور محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يأتي على ذكر علي بن أبي طالب، كما تكلم في الباب الثامن والعشرين عن الإمامة والإمام، وقد أفادني هذه الأبواب في التعرف على فلسفة الهجرة عند الإسماعيلية وبتأريخها مع الأئمة المستورين. ومن أهم المعلومات في هذا المصدر هي : أن المهديّة دار هجرة فهي بالتالي دار الهجرة الثالثة في بلاد المغرب بعد تازروت و إيكجان الفرق هو أن المهديّة دار هجرة للدولة و تازروت و إيكجان دارا هجرة للدعوة وهو ما يستدعي الوقوف على الفرق بين عمران دور الهجرة في مرحلة الدعوة وعمرانها في مرحلة الدولة.

¹ تحقيق عارف تامر، نشر ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1983م.

² تحقيق إسماعيل قربان بوناوالا، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة ميجل، مونتريال، كندا 1970م.

³ تقديم وتحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1991م

- المصادر التاريخية:

- افتتاح الدعوة¹: و يعد هذا الكتاب من أهم المصادر الإسماعيلية التاريخية التي تدون لمرحلة الدعوة الإسماعيلية بصفة عامة، والمرحلة المغربية بصفة خاصة، حيث عالج الدعوة وحدها بجذورها تاريخيا وتطوراتها خطوة بعد خطوة بتفصيل وتوسيع شديدين لا نجدهما في أي مصدر آخر²، ولقد أفادني في الأخبار التي أوردتها عن بناء الداعي أبو عبد الله الشيعي لدار الهجرة في كل من إيكجان و تازروت، وما نتج عن ذلك من إنشاءات عمرانية، وتكمن أهمية كتاب الافتتاح في كون روايات القاضي النعمان تعد من أقدم الروايات التي وصلتنا حول العمران الإسماعيلي في بلاد كتامة، إذ يرجع تأليفه إلى سنة 346هـ/958م، كما إلى نشره لنص الرسالة التي بعث بها عبيد الله المهدي بعد تحريره من سجن سجلماسة ووصوله إلى إيكجان، والتي تعد بمثابة وثيقة فاطمية تكشف عن الدور المؤقت لدار الهجرة وانتهاء دورها المذهبي والعسكري الذي قامت من أجله، ونظرا لأهميتها أثبتناها في الملاحق.

- المجالس والمسائرات³: ويكتسي هذا الكتاب أهمية خاصة لتاريخ الفاطميين في مرحلة الدولة، حيث غطى القاضي النعمان هذا الكتاب بعض أخبار أبو القاسم محمد وأبو الطاهر المنصور، وجزء كبير من خلافة المعز لدين الله الفاطمي، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه مجموعة من الوثائق التي هي عبارة عن توقيعات من الخليفة المعز لدين الله لقاضي الدولة النعمان، وقد أفادني هذا الكتاب في حملة القائد جوهر الصقلي وأثرها على تهديم مدينة إيفكان. وبالإضافة إلى كتبه المذهبية، يعد الداعي المطلق إدريس عماد الدين القرشي، أهم من أرخ للدعوة في مرحلتها السرية وكذلك في مرحلة قيام الدولة، والتي تضمنتها المجلدات الأخيرة من مؤلفه الموسوم ب:

- عيون الأخبار وفنون الآثار⁴: وتعد رواياته من أهم الروايات الشيعية الإسماعيلية بعد روايات القاضي النعمان، كونه تولى رئاسة الدعوة من سنة 832هـ/1428 إلى سنة 872هـ/1468م، مما مكنه ذلك من الاطلاع على معلومات سرية لتاريخ الفاطميين في مرحلة الدعوة ومرحلة الدولة، ونظرا لفائدته الكبيرة للباحث في التاريخ الفاطمي، فقد استفدت منه في كل فصول البحث، وأخص بالذكر الحملة العسكرية التي قادها الخليفة الفاطمي الثاني أبو القاسم

¹ تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت 1970م.

² وداد القاضي: القاضي النعمان مؤرخ الدولة الفاطمية، ضمن ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، المهدية 12-15 أوت 1975م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1977م، ص 144-145.

³ تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شيوخ ومحمد اليعلاوي، الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1978م.

⁴ نشره محمد اليعلاوي تحت عنوان تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985م.

محمد على المغرب الأوسط وما نتج عنها من بناء لمدينة المحمدية، بالإضافة إلى ذكره بإسهاب لعمليات التهديم والتخريب التي قام بها الجيش الفاطمي لعمران القبائل الزناتية والتي لم أجدها في أي مصدر آخر توفر لدي.

- المصادر الجغرافية:

تشكل المصادر الجغرافية قيمة كبيرة في بحثنا هذا لغناها بالمعلومات التي تضمنتها عن الحالة الاقتصادية لمدن المغرب الأوسط مع ذكر المسالك والطرق والمسافات بين محطاتها، وكذلك المنشآت العمرانية التي تميزت بها كل مدينة ومن أهم المصادر الجغرافية نستخلص ما يلي:

- كتاب البلدان: لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة 284هـ/897م¹. هو أول جغرافي لبلاد المغرب الأوسط، حيث يشار إلى أنه شيعي المذهب وذلك للدور الذي قام به والده واضح اليعقوبي الذي كان على بريد مصر في حمل إدريس بن عبد الله ومولاه راشد على البريد من مصر إلى المغرب، ويبدو أن الميول الشيعية قد ظلت ملازمة في هذه الأسرة إلى عهد مؤلف الكتاب²، ويعطينا كتاب البلدان معلومات قيمة عن كثير من المدن التي أحدثت في بلاد المغرب الأوسط لا نجد لها ذكرا في باقي المصادر الجغرافية لأخرى، والجنير بالذكر أن اليعقوبي زار بلاد المغرب أواخر القرن الثالث الهجري في حدود 276هـ/889م، لذلك فهو مصدر جغرافي مهم في دراستنا هذه، حيث يعتبر معاصرا لبعض الأحداث التي يكون قد عايشها عن قرب.

- كتاب صورة الأرض: لأبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي³ (المتوفى سنة 368هـ/978م)

زار المغرب أيام حكم الفاطميين ويشار إلى أنه شيعي المذهب، وكتابه يعد من المصادر الأولية لأن ما كتبه جاء بناء على المشاهدة والمعاناة، كما أن أهميته تكمن في غزارة معلوماته وتنوعها، ولقد أفادني هذا الكتاب في المعلومات التي أوردها عن مدن المغرب الأوسط بصفة عامة، وعن أنشطتها الاقتصادية والتجارية، وبالأخص مدينة المحمدية (المسيلة) التي أولاها ابن حوقل اهتماما خاصا.

¹ مطبعة بريل، ليدن 1860م.

² اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكو فسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، قام بمراجعته ايغور بلياييف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1957م، ج1، ص157.

³ منشورات دار الحياة، بيروت بلا تاريخ.

- المصادر الأدبية:

- تبيين المعاني بشرح ديوان ابن هاني¹ (المتوفى سنة 362هـ/973م)، والذي نظم قصائد طويلة في مدحه والي المسيلة، جعفر بن علي بن حمدون، وذكره لبلاطه وحاشيته ونوع الحياة التي كان يحيهاها، بالإضافة إلى وصفه للمنشآت العمرانية لمدينة المسيلة في العهد الفاطمي، وقد استفدت من وصفه للقصور التي بناها جعفر وأخيه يحيى، مع الحذر الشديد كون الوصف اتسم بمبالغة كبيرة.

ب- المصادر السننية:

وهي المصادر السننية المتنوعة التي عالجت موضوع الدعوة والدولة الفاطمية منذ انطلاقتها الأولى من المشرق، وقد شملت مصادر مخطوطة ومصادر مطبوعة وقد توزعت هذه الأخيرة بين المصادر التاريخية - مشرقية و مغربية- والجغرافية.

-1- المصادر المخطوطة:

- مخطوط تحقيق النصر بتلخيص معالم دار الهجرة: لزين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي العثماني² (المتوفى سنة 816هـ/1413م)، ويعبر هذا المخطوط على أهمية اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم دار للهجرة، حيث أشار إلى أهمية هذه الخطوة، وأنها من أهم الخطوات التي تساعد على الانتقال بالرسالة من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، وقد أفادني هذا المخطوط في إبراز الأهمية السياسية والعسكرية لدار الهجرة من وجهة نظر سننية.

-2- المصادر المطبوعة:

- المصادر التاريخية المشرقية:

- الكامل في التاريخ: لمحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، (المتوفى سنة 630هـ/1238م)³، ويكتسي هذا الكتاب أهمية بالغة استفاد من كتاب "الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان" لمؤلفه الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي كان حيا سنة 571هـ-1175م، والذي كان معاصر لأواخر الدولة الزييرية، وقد أرخ ابن الأثير لبلاد المغرب وكتب عن أهم أحداثها السياسية، المذهبية والعمرانية، أهمها العهد الفاطمي، والزييري، فجاء كتابه جامعا اتبع فيه المؤلف سرد الأحداث حسب تسلسلها الزمني، ومن ذلك

¹ زاهد علي: مطبعة المعارف، مصر 1963م.

² المدرسة الأحمدية، تونس رقم 24.

³ راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م.

أنه ذكر أن أبو عبد الله الشيعي لم يبن دار هجرة بإنكجان إلا بعد حرق دار هجرته الأولى بناصروت.

- **نهاية الأرب في فنون الأدب:** لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (المتوفى سنة 733هـ/1332م)، ويعد هذا المصدر الموسوعي من أهم المصادر التي أفادت منها هذه الدراسة ، وتكمن أهمية رواية النويري في كونه استقى معلوماته عن أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني المتوفى سنة 425هـ/1034م، في كتابه تاريخ إفريقية، ألفه في عدة مجلدات لم يصلنا منه إلا قسما صغيرا منه فقط يبدأ من ولاية عقبة الثانية إلى غاية جزء من حكم الأمير الأغلب أبي العباس عبد الله ابن إبراهيم بن الأغلب (196-201هـ/812-817م)¹، في حين ينقل النويري رواياته المتعلقة بالزيريين في الجزء الرابع والعشرين من كتابه عن "الجمع والبيان ابن شداد الصنهاجي وقد أفادني في معرفة حيثيات الصراع الصنهاجي الزناتي وظروف بناء مدينة أشير² وما شهدته من عمران.

- **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء:** لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ (المتوفى سنة 845هـ/1441م)³، بالإضافة إلى كتابه **المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)**⁴، حيث أفادني هذين الكتابين بتفاصيل ومعلومات خلا منها كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، ذلك أن المقرئ اطلع على كتب نفيسة لم تصلنا كتاريخ ابن الجزار⁵، و كتاب الجمع والبيان لابن شداد وتاريخ الرقيق بالإضافة إلى ذلك التزام المقرئ بمنهج تاريخي ابتعد فيه عن مدح مقولات الإسماعيلية، كما أنه لم يشارك مؤلفي السنة في تحاملهم على العبيديين والتنديد بمعتقداتهم، أما من ناحية العمران فإن المقرئ لم يشير إلى المنشآت العمرانية التي أحدثها المذهب الإسماعيلي في كل من تازروت و إيكجان.

- المصادر التاريخية المغربية:

- **كتاب المقتبس في أخبار الأنلس:** لأبي مروان بن حيان القرطبي (المتوفى سنة 469هـ/1077م)، من مؤرخي القرن الخامس الذين اهتموا بأخبار الخلافة الفاطمية في كتابه

¹ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994م، ص41 وما بعدها.
² للمزيد حول مصادر النويري أنظر، أمينة محمد جمال الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب مصادر الأدبية وآراؤه النقدية، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة 1984م، ص24 وما بعدها.
³ تحقيق جمال الدين الشيبان، الطبعة الثانية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1996م.
⁴ اختيار محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م.
⁵ هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار توفى سنة 388هـ/980م، مؤرخ من أهل القيروان ولد في أسرة تشغل بالطب وكان هو طبيب اتصل بالمعز لدين الله الفاطمي، من مصنفاته التعريف بصحيح التاريخ، زاد المسافر، وطب الفقراء ، للمزيد أنظر، محمد المنوني: المرجع السابق، ص42.

الذي أرخ فيه لبلاد الأندلس من الفتح حتى عصر ملوك الطوائف¹، ولقد اعتمدت على الجزء الذي نشره عبد الرحمن حجي²، والذي يخص سنوات من أيام الحكم المستنصر (360-364هـ / 971-975م)، ولقد استفدت منه في الأخبار التي أوردها عن علي بن حمدون بن سماك الجذامي الأندلسي، وانتقاله إلى المغرب الأوسط، وعلاقته ببلاد كتامة، ثم نشاطه الدعوي لصالح الفاطميين، وإشرافه على بناء المحمدية وتعميرها بأمر من الخليفة الفاطمي أبي القاسم محمد.

أما الجزء الخامس الذي نشره ب. شالمينا وآخرون³، فهو القسم الخاص بالخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وقد أفادني كثيرا في مجريات الصراع الأموي الفاطمي وانعكاساته على عمران المغرب الأوسط من خلال ما بُني وما هُدم من مدن وقلاع وحصون، وذلك من خلال الرسائل التي بعث بها محمد بن خزر الزناتي وابنه الخير للخليفة عبد الرحمن الناصر حول عمليات الهدم التي طالت عمران قبيلة مغراوة وأهمها حصن هندرج من قبل الجيش الفاطمي ومقاومة مغراوة لهذا الهدم مع ذكر ردود الناصر على هذه الرسائل، ولقد انفرد هذا الجزء بنشر الرسائل دون سائر الكتب السنوية الأخرى التي اطعنا عليها، وتكمن أهمية كتاب المقتبس كون مؤلفه اعتمد في نقولاته عن أخبار إفريقية من كتاب المسالك لمحمد بن يوسف الوراق المتوفى سنة 363هـ/973م الذي ألفه للخليفة الأموي الحكم المستنصر⁴.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي⁵ كان حيا سنة 712هـ/1312م، ويعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، كونه اعتمد في روايته عن محمد بن يوسف الوراق⁶، ولقد تحدث ابن عذارى بأدق

¹ يتألف هذا الكتاب أصالة من عشرة أسفار ضاع معظمها والباقي الآن خمس قطع، القطعة الأولى: تتناول فترة الحكم الرضي 180-206هـ، وفترة ابنه عبد الرحمن 206-232هـ وهو ضائع، القطعة الثانية: تتناول سنة 232-267هـ وتستوعب إمارة عبد الرحمن الثاني وابنه ونشره محمود علي مكي، القطعة الثالثة تذكر الأمير عبد الله بن محمد 275-300هـ، أما القطعة الرابعة فتستوعب واحد وثلاثون سنة من سنوات عبد الرحمن الناصر 300-330هـ، في حين تعالج القطعة الخامسة خمس سنوات غير كاملة من أيام الحكم المستنصر 360-364هـ للمزيد أنظر محمد المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1983م، ص 23.

² المقتبس في أخبار بلد الأندلس، دار الثقافة، بيروت 1983م.

³ المعهد الإسباني للعربي للثقافة، مدريد، كلية الآداب، الرباط 1979م.

⁴ فإنه ألف للمستنصر رحمه الله تعالى في مسالك إفريقية وممالكها ديواناً ضخماً، وفي أخبار ملوكها وحروبهم والفائمين عليهم كتباً جمّة، وكذلك ألف أيضاً في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تأليف حسناً، للمزيد أنظر، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987م، ص 176.

⁵ تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و أ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1983م.

⁶ وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك في قوله: "ومما قيدهت واختصرته من كتاب المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الوراق"، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و أ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1983م، ج 1، ص 232.

التفاصيل عن تاريخ الفاطميين، وهذا ما ساعدني على استيقاظ أكبر قدر ممكن من المعلومات نول العمران في ثنايا هذه التفاصيل كحرق الجيش الأغلب لدار الهجرة تازروت، في محاولة لمحو معالمها العمرانية ونظرا لأهميته استعنت به تقريبا في كل فصول بحثي.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون¹ (المتوفى سنة 808هـ/1406م)، وهو عبارة عن موسوعة شاملة لتاريخ بلاد المغرب منها تاريخ الدولة الفاطمية، وأخص بالذكر الجزء الأول الموسوم بـ مقدمة ولكن بحثي يتناول بالأساس مسألة العمران فقد أفادني صاحب المقدمة في نظريته حول العمران وأحواله وطبائعه، ومقارنة ذلك بالعمران الشيعي بالإضافة إلى الجزء الرابع والسادس والسابع، حيث اعتمدت عليهم في التعريف بالقبائل البربرية بالمغرب الأوسط، ومناطق إقامتهم وخاصة قبائل كتامة وصنهاجة وزناتة، والجدير بالذكر أن أخبار ابن خلدون حول قبيلة كتامة وعمرانها كان ضئيلا مقارنة بما ذكره من أخبار حول عمران صنهاجة وزناتة، غير أن كتاباته لا تخلو من بعض الإشارات المهمة كذكره للتطور العمراني الذي بلغته مدينة أشير حتى أصبحت قبلة للتجار والفقهاء، وللدور الذي قام به يعلى في اختطاط مدينة إيفكان.

- المصادر الجغرافية:

- كتاب المسالك والممالك: لأبي عبيد البكري² (المتوفى سنة 487هـ/1094م)، وهو جغرافي أندلسي كتب عن المغرب وهو مقيم بالأندلس، إلا أن الجزء الخاص بالمغرب، يعتبر من أهم الكتب الجغرافية وأكثرها دقة، وذلك لاعتماده على مسالك محمد بن يوسف الوراق، وابن الجزائر، وملاحظات التجار والمسافرين إلى المغرب، وهو أهم مصدر جغرافي اعتمده في هذه الرسالة لما احتوى عليه من وصف دقيق للمدن دون إغفال تاريخها وخصائصها المتعلقة بالظروف الاجتماعية والمذهبية والاقتصادية والعمرانية، وقد أفادني في إشارته إلى الطابع التجاري لمدينة إيفكان لما ذكر أنها بُنيت في مكان كان سوقا قديمة لزناتة.

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: لأبي عبد الله محمد الشريف السبتي الإدريسي³ (المتوفى سنة 560هـ/1165م)، فرغ من تأليفه سنة 548هـ/1154م، وقد ألفه تلبية لرغبة رجار الثاني ملك صقلية وقد تضمن هذا الكتاب ذكر لسور مدينة إيفكان الذي وصف بأنه من تراب وبقي أثره حتى القرن الخامس الهجري.

¹ ضبط ومراجعة خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، دمشق 2001م.

² مكتبة المثنى، بغداد بلا تاريخ.

³ تحقيق مجموعة من الباحثين والمستشرقين، تحت إشراف المعهد الجامعي للدراسات الشرقي ببنابولي (i.u.o.n) 1970-1984، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر بلا تاريخ.

وللإدريسي كتاب آخر هو "أنس المهج وروض الفرج"¹، وموضوع هذا الكتاب هو تركيب الشبكة الطرقية، وقد وضعه الإدريسي لتحديد المسافات بين المدن والمراكز المختلفة الأخرى، ولقد أفادني في تحديد المسافات التي تربط كل من مدينة المحمدية ومدينة أشير ومدينة إيفكان مع باقي مدن المغرب الأوسط الأخرى.

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: لمؤلف مجهول (يكون حيا في القرن السادس الهجري/12م²)، جاء على ذكر أغلب مدن المغرب الأوسط معتمدا على من سبقه من الجغرافيين وخاصة البكري ولقد استفدت منه في تطرقه لعمران مدينة أشير وخاصة قصر زيري الذي وصفه بالبنيان العظيم.

ج- الدراسات العربية والأجنبية الحديثة:

هناك العديد من الدراسات الحديثة التي تناولت العمران بصفة عامة وعمران المغرب الأوسط بصفة خاصة، ومن بين هذه الدراسات التي تناولت العمران وتخطيط المدن من خلال نظرة الإسلام للعمران ونشأة المدينة الإسلامية بيثرب التي اعتبرت المرجع الأساسي لكافة المدن الإسلامية، إذ على ضوءها تحددت معالم منشأتها العمرانية في تخطيطها و رسم شوارعها وتوزع مرافقها. والتي أفادت منها هذه الدراسة بوصفها دراسات شاملة لموضوع العمران، كتاب دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية لعبد الجبار ناجي³، وكتاب المدينة الإسلامية لعثمان محمد عبد الستار.⁴

و تعتبر الدراسات المحلية الخاصة بعمران المغرب الأوسط في العهد الفاطمي نادرة جدا، خاصة في مرحلة الدعوة، ومن بين الدراسات التي أفادتنني في التعرف أكثر على عمران هذه المرحلة، دراسة الأستاذة بوبه مجاني الموسومة ب الدعوة الإسماعيلية والعمران⁵، بالإضافة إلى الدراسات الأثرية والحفريات التي قام بها الأستاذ رشيد بورويبة وأذكر منها كتاب:

L'art musulman en Algérie.⁶

¹ قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق الوافي نوح، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 2007م، وتوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر نسختين مصورتين في مجلد واحد، لمخطوط أنس المهج وروض الفرج، المخطوط الأول لحكيم أوغلي تحت رقم 688، والمخطوط الثاني لحسن حسني تحت رقم 1289، منشورات تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت جمهورية ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سيزكين، سلسلة ج، المجلد 7، 1984م.

² دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985م.

³ شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت 2001م

⁴ عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 128، الكويت 1988م.

⁵ من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تقديم وتنسيق بوبه مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة 2007م.

⁶ Société nationale d'édition et de diffusion, alger 1973.

L'architecteur militaire de l'Algérie, médiévale.¹

وقد استفدت من هذين الكتابين في معرفة المعالم العمرانية لمدينة أشير العسكرية والدينية، كما استفدت من الدراسات الأجنبية التي لها علاقة بعمران المغرب الأوسط مثل دراسات الأستاذ جورج مارسيس الذي يعتبر أهم باحث في الآثار حيث اهتم بتاريخ و آثار المغرب الأوسط وذلك من خلال الكتب والحفريات التي أجراها في عديد المدن ومن أهم مؤلفاته:

Manuel l'art musulman, l'architecture (Tunisie, Maroc, Espagne, Sicile)
du 9 siècle au 12 siècle édition Auguste picard, Paris 1926

وتعتبر الحفريات والاكتشافات عملا ضروريا ومكملا للباحث وقد أجريت الكثير منها بمختلف مدن المغرب الأوسط أهمها اكتشافات مارسيس وغولفن لبعض المعالم العمرانية لمدينة أشير، وقد أفادتنى هذه الاكتشافات في قراءة لهذه المعالم العمرانية وأخص بالذكر مسجد أشير الذي اكتشف عام 1922م، وقصر زيري الذي وضع غولفن مخطط له في كتابه المهم:

Le Maghreb central a l'époque des Zirides, Recherche d'archéologie
Et d'histoire arts et métiers graphique.²

ولا يفوتني أن أنوه بمجموعة من المقالات والتقارير التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة والتي ساعدتني على التعرف أكثر على حيثيات فصول البحث المتعلقة بأشير

ومنها: Fondation d'Achir; capitale Zirides, Alger 1998.³

وفي الأخير يمكن القول أن هذه الدراسة قد عمدت إلى التنوع في المصادر والمراجع والدراسات للوصول إلى أفضل النتائج كون العمران و موضوع جزئي في المصادر الإسماعيلية، فكان لزاما علي التنوع الذي يلم بثبات الموضوع و يتيح المقارنة بين وجهات النظر المختلفة، ويستكمل النقص الذي قد يصادفه الباحث في نوع واحد من المصادر.⁴

¹ Office des publications universitaires, Alger 1983.

² Paris 1957.

³ Bouamran Samia

⁴ للمزيد حول هذا موضوع التنوع في المصادر راجع، جان سوفاجيه و كلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998م، ص 71-72.

الفصل الأول:

الهجرة من النموذج النبوي إلى التقليد الإسماعيلي

أولاً: ثلاثية الدعوة و الهجرة و الدولة.

ثانياً: الهجرة تعريف و بيان.

ثالثاً: التقليد الإسماعيلي للهجرة.

أولاً: ثلاثية الدعوة و الهجرة و الدولة.

1- أهمية الهجرة بالنسبة للدعوة:

منذ فجر الخليقة والإنسان وهو ينقل خطاه في الأرض الواسعة سعياً وراء المعاش و الأمن وهو وإن يعز عليه الارتحال من مسقط رأسه , لكن سعيه في مناكب الأرض يظل هاجساً يلازمه كلما عصفت به ضائقة اقتصادية أو أمنية تلجئه إلى البحث عن مكان بديل.¹ وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى عند تطرقه لقصة بني إسرائيل مع ذكر الجانبين معا: الجانب المعيشي والجانب الأمني.

أولاً: الجانب المعيشي : إذ قال الله تعالى: " وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا

حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا... " ²

ثانياً: الجانب الأمني : وقال الله تعالى: " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ

وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنِ

يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ " ³

وهذان الجانبان الأساسيان قد عبرت عنهما سورة قريش, في قوله تعالى: " الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ

جُوعٍ وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ " ⁴

فدلت الآية على التلازم الوثيق بين الجانبين الاقتصادي والأمني وبالرغم من تعقد الحياة ,

وتشعب الحاجات, بقيت هاتان الحاجتان المحرك الرئيسي للارتحال والانتقال من بلد إلى آخر.

ير أن الإسلام أعطى للهجرة بعداً جديداً, حيث وسع البعد الأمني ليكون أمناً للرسالة و الدعوة

معا⁵, فأصبحت الهجرة والارتحال سنة من سنن الأنبياء والمرسلين فكلما ضاقت بهم سبل الدعوة

في أوطانهم انتقلوا إلى مكان آخر, من لدن آدم عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه و

سلم.⁶

¹ محمد حسين فضل الله: "الهجرة والاعتراب" تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة جمع وتقديم عادل القاضي, مؤسسة العارف للمطبوعات, بيروت 1999م, ص9.

² سورة البقرة: الآية 58.

³ سورة المائدة: الآية 22.

⁴ سورة قريش: الآية 4.

⁵ فضل الله: المرجع السابق, ص10.

⁶ جعفر بن منصور اليماني: سرائر وأسرار النطقاء, تحقيق وتقديم مصطفى غالب, دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت 1984م, ص28.

هذا الذي نقل مفهوم الهجرة من إطارها الذاتي إلى مداها الرسالي باعتبارها "هجرة في الله"¹ أو حسب تعبير القاضي النعمان "غربة في الله".²

ذلك أن الرسالة لها أتباع وأعداء يتصارعون دائما ولكل منهما حزب ينصره، فيجب على أنصار الرسالة السماوية عدم الفشل و الانهزام بل عليهم الثبات و الصبر حتى يكون النصر لهذه الرسالة و مبادئها، وهذه هي الغاية من الهجرة.³

فكانت كل أرض يتمكن المهاجر فيها من تأدية شعائر دينه، بحرية مطلقة، و يأمن فيها من شر الظالمين، و يعمل على نشر الدعوة فيها، تعد أرض هجرة أو دار هجرة بالنسبة للمهاجر إليها.⁴

ومذ ذاك عرف المسلمون أن هناك هجرتان، هجرة إلى الدنيا التي يصيبها الإنسان كما جاء في الحديث: "... فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"⁵، وهجرة يراد بها الاغتراب والانتقال من مكان إلى مكان آخر في سبيل الله تعالى.

وقد برزت في القرآن الكريم سور وآيات عديدة تهتم بشأن الهجرة وتظهر مكانتها، فمن ذلك، اقترانها بعبادات أخرى، كالصبر والجهاد وإتباع دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.⁶

فما اقترن به ذكر الهجرة، الصبر، وذلك في قوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قَاتَلْتُمْ جَاهَدُوا وَصَبِرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ"⁷، كما اقترنت الهجرة بالجهاد، حيث تعتبر السبيل الممهّد له وكان الجهاد الخطوة التي يليها⁸، حيث قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ"⁹.

ومما اقترنت به الهجرة أيضا، إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يدل على المكانة العظيمة للهجرة، وأن الله سبحانه وصف المهاجرين والأنصار بأنهم يتبعون الرسول وما يدعو

¹ فضل الله: المرجع السابق، ص10.

² القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت 1970م ص38.

³ أحزمي سامعون جزولي: الهجرة في القرآن الكريم، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض 1996م، ص ص46 - 47.

⁴ أبو يعقوب إسحاق بن محمد السجستاني: كتاب الإفتخار، حققه وقدم له إسماعيل قربان حسين بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م، ص175.

⁵ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح عبد العزيز بن باز وآخرون، دار المعرفة، بيروت 1379هـ، ج1، ص9.

⁶ أحزمي: المرجع السابق، ص44.

⁷ سورة النحل: الآية 110.

⁸ محمد عيش الأزهري: وجوب الجهاد والهجرة، مخطوط، دار الكتب الوطنية، تونس رقم 2481، ورقة 6 و.

⁹ سورة البقرة: الآية 218.

إليه¹، كون الهجرة مرحلة من مراحل الدعوة، لذلك قال الله تعالى: "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"².

2- الهجرة سعة واستقلال:

ثبت القرآن الكريم أتباعه على عمل الصالح، والتوصل من الضعف والبعية، وحضهم على الهجرة وإن عجزوا عن الاستقلال في العمل، وإلا ظلموا أنفسهم باستمرارهم في إطار التبعية³، قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَنْكُ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ"⁴. فكانت الهجرة هي الحل، وذلك لما يترتب عنها من استقلال واستمرار للدعوة، وليس البقاء في ظل التبعية للظالمين⁵، ولا أن يعرض المؤمن نفسه للتهلكة، وقد جعل الله له مخرجاً، فكون "أرض الله واسعة" مذكور للدلالة على المقدر، وهو كالتوتونة لما بعده لأنها مع سعتها وإمكان التفسح فيها لا ينبغي الإقامة فيما لا يتيسر بها للمرء ما يريد⁶.

كما تحدث القرآن الكريم عن إمكانية الحركة والتحرك بعيداً عن التضييق لحركة العاملين، لذلك قال جل و علا: "يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَّايَ فَاعْبُدُون"⁷ أي غادروا هذا الضيق إلى الأرض الواسعة ناجين بدينكم أحراراً في عبادتكم⁸. لذلك كان الحرص على الهجرة والرغبة في مفارقة الظالمين والمخالفين للدعوة، ذلك أن المؤمن حينما ذهب وجد عنهم مندوحة وملجأ يتحصن فيه⁹.

فقال سبحانه وتعالى في كتابه: "وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعاً كَثِيراً وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ

¹ أزمي: المرجع السابق، ص45.

² سورة التوبة: الآية 117.

³ محمد أحمد خلف الله: مفاهيم قرآنية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984م، ص 95.

⁴ سورة النساء: الآية 97-98.

⁵ أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، الرد على الملحد أبي بكر الرازي، دار الساقى بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتحديث الفكري، بيروت 2003م، ص 156.

⁶ محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت 1978م، مج 8، ج 13، ص 159.

⁷ سورة العنكبوت: الآية 56.

⁸ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص 40.

⁹ أبو الفدا إسماعيل بن عمر عماد الدين بن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار اليقين، المنصورة، مصر 2003م، ج 1، ص 668.

عَفُوراً رَجِيماً"¹، والمرامع من المصادر تقول العرب: راعم فلان قومه مراغما ومرا غمة ونحو هذا المعنى قول النابغة الجعدي:

كطود يلاذ بأركانه *** عزيز المراعم والمهرب.²

والمرامع: التحول من أرض إلى أرض، وقيل التمتع الذي يتحصن به ويراعم به الأعداء³ والسعة سعة البلاد وهذا أشبه بفصاحة العرب، فإنه بسعة الأرض وكثرة المعامل تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج.⁴

3 - الهجرة قانون رباني عام:

قال تعالى: "وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"⁵ جاءت الآية بصيغة عامة وهي التي نزلت تعقيباً على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة، إلا أنها تقرر الفوائد العامة المنتظرة من عملية الهجرة، لذلك استدلل العلماء بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على كل من كان بدار الشرك، أو بدار يعصى فيها الله تعالى جهاراً، إذ كان قادراً على الهجرة ولم يكن من المستضعفين لما في هذه الآية من عموم وإن كان السبب خاصاً⁶، وإن كانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة وبمجرد فتح مكة المكرمة انقطع الاختصاص، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر إلى أي أرض⁷، لمن قدر عليه باقياً⁸، ولتدبر القرآن بمنهج العموم واستنباط الفوائد والسنن العامة وضع علماء الأصول قاعدة هامة لكل متدبر للقرآن الكريم وهي: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"⁹.

¹ سورة النساء: الآية 100.

² من بحر المتقارب.

³ ابن كثير: المصدر السابق، ج 1، ص 668.

⁴ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي وغيث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت 2006م، ج 7، ص 66-67.

⁵ سورة النساء: الآية 100.

⁶ محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت 2001م، مج 1، ج 5، ص 497.

⁷ القاسمي: المرجع السابق، مج 3، ج 5، ص 404.

⁸ قيل: المراد بهذه الأرض المدينة، ولكن الأولى للعموم وذلك لاعتبار عموم اللفظ لا خصوص السبب، كما هو الحق، فيراد بالأرض هنا كل بقعة من بقاع المعمورة تصلح الهجرة إليها، ويراد بالأرض الأولى كل أرض ينبغي الهجرة منها، للمزيد أنظر، الشوكاني: المرجع السابق، مج 1، ج 5، ص 497.

⁹ الجليلي الميرني: القواعد الأصولية وتطبيقاتها الفقهية عند ابن قدامة في كتابه المغني، دار ابن القيم، دار ابن عفا، مصر 2002م، ص 386.

وهذا ما يؤكد مسألة بقاء صلاحية القرآن الكريم ليكون منهاجا عاما صالحا لكل زمان ومكان¹، كما في قوله تعالى: "وَمَنْ يُهَاجِرْ" فكانت من العموم² و يُهَاجِرُ فعل مضارع للشرط كذلك يفيد العموم والاستمرارية³.

ذكر صاحب كتاب "الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" أن النكرة الواقعة في سياق الشرط تفيد العموم، ذلك أن الشرط يعم والنكرة في سياقه تعم⁴.

كما أن هذا الأسلوب القرآني يفيد الطلب كقوله تعالى: "وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ"⁵ وقوله تعالى أيضا: "... وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ"⁶.

فكانت هذه الآيات التي تبتدئ ب: " وَمَنْ يُهَاجِرْ "، " وَمَنْ يَعِشْ " " وَمَنْ يُرِدْ " تفيد التقييض⁷ وهي الإتاحة والتهيئة لملازمة عمل الشيء حتى يتمه⁸.

أجل ذلك كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة لإنجاز الوعد، وإظهار الدين والذي تمثل في بناء المجتمع وتأسيس المسجد⁹ الذي كان النواة الأولى لبناء الدولة.

وتأسيسا على ما سبق ذكره، يتبين أن الهجرة والارتحال عرفها الإنسان منذ القدم، وكان فعل الهجرة لتحقيق أهداف معيشية وأمنية فقط، وبمجيء الإسلام أعطى الهجرة بعدا دينيا، تمثل في جعلها مرحلة من مراحل الدعوة، وسنة من سنن الأنبياء والمرسلين، وخطوة نحو قيام الدولة، وقد أفادت عديد الآيات القرآنية أن الهجرة قانون رباني عام صالح لكل زمان ومكان، وأن فعل المهاجرة من أجل الدعوة مطلوب دائما لاستقلالها من التبعية وانتصارها وظهورها بعد ذلك.

¹ مناع القطان: مباحث في علو القرآن، الطبعة الحادية عشر، مكتبة وهبة، القاهرة 2000م، ص14.
² "من" هي عبارة عن ذات من يعقل، وبه تحتمل الخصوص والعموم، فمتى وصلت هذه الكلمة بمعهود كانت للخصوص، وإذا وصلت بغير معهود احتملت الخصوص والعموم معا والأصل فيها العموم، للمزيد أنظر، الجليلي المريني: المرجع السابق، ص386.
³ بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل "من سورة آل عمران إلى نهاية سورة النساء" دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت 1993م، ج2، ص362.
⁴ ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي: حاشية الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1977م، مج3، ص488.
⁵ سورة الزخرف: الآية 36.
⁶ سورة الحج: الآية 25.
⁷ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، باب الضاد، فصل القاف، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت 1990م، ج3، ص1104.
⁸ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 1997م، مج10، ج25، ص209.
⁹ زين الدين أبو بكر بن الحسن بن عمر العثماني المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، مخطوط، المدرسة الأحمدية، تونس، رقم94، ورقة 13، ظ.

ثانيا: الهجرة تعريف وبيان.

1- التعريف اللغوي للهجرة:

الهجرة ضد الوصل، هجره يهجره، وهجرانا صرمة، وهما يهتجران ويتهجران والهجر، هو الترك وما لا يلزمك تعاذه¹، وفي الحديث: " لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"²، يريد به الهجرة ضد الوصل، وتعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حدود العشرة والصحبة دون ما كان ذلك من جانب الدين.³ والهاء والجيم والراء في كلمة هجر أصلان، يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه، فالأول، الهجر ضد الوصل، وكذلك الهجران، وهاجر القوم من دار إلى دار، إذا تركوا الأولى للثانية.⁴ والمُجرة من أرض إلى أرض، ترك الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون لما هاجروا من مكة إلى المدينة.⁵ والهجرة والهجرة، الخروج من الأرض إلى أرض، والمهاجرون هم الذين ذهبوا مع النبي صلى عليه وسلم، مشتق منه، وتهجر فلان، أي تشبه بالمهاجرين، ومن هذا قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، " جروا ولا تهجروا"، بمعنى أخلصوا الهجرة لله، ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم، فهذا هو التهجر.⁶ وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشؤ بها الله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة. والهجرة بالكسر والضم، الخروج من أرض إلى أخرى، ولأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن.⁷

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، باب الراء، فصل الهاء، (مادة هجر)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1968م، ج5، ص250.

² أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجرة فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1981م، مج8، ج16، ص117.

³ ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص250.

⁴ أبو الحسن احمد بن زكريا بن فارس: معجم مقاييس اللغة، باب الهاء والجيم وما يتلثهما، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1972م، ج6، ص34.

⁵ الجوهري: الصحاح، باب الواو، فصل الهاء، (مادة هجر)، ج2، ص851.

⁶ ابن منظور: المصدر السابق، ج5، ص251.

⁷ أحمد المرتضى الزبيدي: تاج العروس في جواهر القاموس، فصل الهاء، باب الراء، (مادة هجر)، دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ، ج3، ص611.

أما القرطبي¹ فيرى أن: الهجرة والمهاجرة من أرض إلى أرض هي: ترك الأولى للثانية، ومن قال المهاجرة هي: الانتقال من البادية إلى الحاضرة فقد أوهم، بسبب أن ذلك كان الأغلب عند العرب.

قال ابن منظور²: أن كل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة.

والهجرتان: هجرة تطلق على الهجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة المنورة وذو الهجرتين من الصحابة من هاجر إليهما³.

وفي تتبعنا لموارد "هجر" وجدناها تحمل عدة معاني أهمها:

- ضد الوصل: هجر بالفتح وهجرانا بالكسر صرمة وقطعه والهجرة ضد الوصل،

وهجر الشيء يهجره هجراً تركه وأغفله وأعرض عنه⁴ وهجر الرجل هجراً إذا تباعد ونأى⁵.

- الحسن والجمال فالهجر بالفتح، الحسن الكريم الجيد الجميل في كل شيء يقال: كبش

هجر وجمل هجر أي كريم⁶، قال الجوهري: يتنازع الناس ويهجرون بذكره، أي ينعته وهذا أهجر من هذا أي أكرم⁷.

- الهذيان: والهجر بالضم، القبيح من الكلام والفحش في المنطق والخنا⁸ وهو الهذيان،

وإكثار الكلام فيما لا ينبغي، قال ابن فارس: يقال هذا كله لأنه من المهجور الذي لا خير فيه⁹.

- نصف النهار: والهجير والهجرة والهجر والهجرة نصف النهار عند زوال الشمس

إلى العصر، وقيل في كل ذلك أنه شدة الحر¹⁰.

- لا نظير له: يقولون هذا شيء هجر، أي كأنه في جودته ومباينته الأشياء قد هجرها،

ويقولون هذا أهجر من هذا¹¹.

- ما يشد به الحبل: والهجار حبل يشد في رسغ رجل البعير¹² قال لزيدي: الهجار

الطوق والتاج¹.

¹ المصدر السابق، ج 3، ص 432.

² المصدر السابق، ج 5، ص 251.

³ نفسه.

⁴ ابن فارس: المصدر السابق، ج 6، ص 34، ابن منظور: المصدر نفسه، ج 5، ص 251.

⁵ الزبيدي: المصدر السابق، ج 3، ص 611.

⁶ ابن منظور: المصدر السابق، ج 5، ص 251، الزبيدي: المصدر نفسه، ج 3، ص 611.

⁷ الجوهري: المصدر السابق، ج 2، ص 851-852.

⁸ الجوهري: المصدر السابق، ج 2، ص 852، الزبيدي: المصدر السابق، ج 3، ص 613.

⁹ المصدر السابق، ج 6، ص 35.

¹⁰ الجوهري: المصدر السابق، ج 2، ص 852.

¹¹ ابن فارس: المصدر السابق، ج 6، ص 35.

¹² الجوهري: المصدر السابق، ج 2، ص 852.

- الحوض الكبير: والهجير الحوض المبني العظيم.²

2- التعريف الشرعي للهجرة:

تعددت أقوال العلماء في معنى الهجرة من الناحية الشرعية، وذلك لأن الهجرة لها معان كثيرة على لسان الشرع الإسلامي، فعرفت الرواية السننية³ على أنها: ترك دار الكفر والخروج منها إلى دار الإسلام، وعرفت الرواية الشيعية الإسماعيلية⁴ بأنها خروج من دار الضد إلى دار الهجرة.

وأما سبب الخروج والهجرة فيعود إلى المحنة الجارية على الأتباع لقلّة صبرهم من جهة، ولقصر اليد عن النصر لضعفهم وقتلهم من جهة ثانية.

والهجرة في الشرع، هي: ترك ما نهى الله عنه، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه"⁵ وهي أعم وتشمل الهجرة الباطنة والمعنوية، والهجرة الظاهرة الحسية.

أ- الهجرة الباطنة المعنوية:

هي ترك ما تدعو إليه النفس من الباطل والسوء، وما يزينه الشيطان لها، مصداق ذلك، قوله صلى الله عليه وسلم: "المهاجر من هجر السيئات، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده"⁶. وفي تعريف للهجرة الباطنة المعنوية، يشير جعفر بن منصور اليماني المتوفى سنة (347هـ/958م)، وهو أحد منظري المذهب الإسماعيلي، إلى التعريف الخاص بالشيعية الإسماعيلية، فيقول: "إنها هجرة من معصية الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى إتباع ما أمر الله به"⁷، ويتفق علماء المذهب الإسماعيلي، أن معنى: "ما أمر الله به"، هو ترك الباطل وإتباع الحق المتمثل في ولاية علي بن أبي طالب وذريته من بعده وترك ما دونه.⁸

¹ المصدر السابق، ج3، ص613.

² الجوهري: المصدر السابق، ج2، ص852.

³ محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار ابن حزم، الأردن 2002م، مج4، ج5، ص255، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي: أحكام القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت 2000م، ج1، ص526.

⁴ أبو القاسم محمد القائم بأمر الله: الرسالة الإمامية إلى أهالي ممالك اليمانية، مخطوط ضمن مجموع المكتبة الوطنية الجزائر رقم 604، ورقة 4، و، جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص39، القاضي النعمان: الرسالة المذهبية ضمن خمس رسائل إسماعيلية، تحقيق وتقديم عارف تامر، منشورات دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر، سلمية 1956م، ص60.

⁵ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: السنن الكبرى، كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت (الحديث رقم 2481)، إعداد وتحقيق عبيد دعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت 1997م، ج3، ص9.

⁶ ابن حجر: فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، (الحديث رقم 10)، ج1، ص54.

⁷ جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص40.

⁸ جعفر بن منصور اليماني: كتاب الكشف، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر

ب- الهجرة الظاهرة الحسينية:

وهي الفرار بالدين من الفتن، والأولى- الهجرة الباطنة المعنوية- أصل للثانية- الظاهرة الحسينية- لما كانت الثانية: الفرار بالدين من الفتن، أعظم أمارات الأولى وأكمل نتائجها، فحضر بعض العلماء التعريف بها كما تقدم.¹ وانطلاقاً من وجهة نظر سنية وشيعية اسماعيلية للهجرة، يمكن حصر أنواع الهجرات الموجودة إلى أربعة أنواع:

- هجرة النبي صلى الله عليه وسلم:

وهي انتقال النبي صلى الله عليه وسلم، بشخصه إلى المدينة المنورة من مكة المكرمة وتعتبر هذه الهجرة من أشرف الهجرات، وأشهرها على الإطلاق، حيث يصرف لفظ الهجرة عند الإطلاق إليها.²

وتمثل الهجرة النبوية المنطلق العلمي والموقف الحاسم في تاريخ الدعوة وكل ما تحقق بعدها من منجزات، وتتابع من نجاحات وانتصارات محسوب عليها، وراجع إليها.³

- هجرة الإمام الإسماعيلي:

وهي الانتقال من موطنه إلى مكان آخر، فراراً بنفسه، وبدعوته من المخالفين له، وتعتبر جرة الإمام في المذهب الإسماعيلي طاعة لله وامتنال لأمره.⁴ جرة من العبادات التي افترضها الله على الأئمة، لذلك فهم يذنبون فيه بأنفسهم، ويهجرون أوطانهم، وينفقون فيه ما حولهم من أموالهم ويبلغون عنه ما قدروا عليه وأمكنهم وذلك فرضه الذي فرضه عليهم.⁵

- هجرة الأتباع إلى الإمام:

وهي هجرة الأتباع والمؤمنين بالمذهب الإسماعيلي إلى حيث يوجد الإمام في عصره ومكانه، حيث يرى الإسماعيليون أن الإمام يمثل النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه¹

والتوزيع، بيروت 1984 م ص ص 94-95، القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأخيار تحقيق محمد الحسيني الجبالي، منشورات دار الثقليين، بيروت 1994م، مج 1، ج 1، ص 89، علي بن الوليد: دامغ الباطل وحتف المناضل، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1982م، ج 2، ص 86.

¹ ابن حجر: المصدر السابق، ج 1، ص 54.

² نفسه.

³ شوقي أبو خليل: الهجرة حدث غير مجرى التاريخ، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق 1985م، ص 9.

⁴ عماد الدين إدريس القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1986م، ج 4، ص 352.

⁵ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، تحقيق إبراهيم الفقي وإبراهيم شيوح ومحمد اليعلاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، تونس 1978م، ص 466.

وتعتبر هجرة الأتباع في المذهب الإسماعيلي من أركان الولاء والطاعة ومظهر من مظاهر الإخلاص للإمام²، ونظرا لأهميتها عدت هجرة الأتباع والمؤمنين من الواجبات التي أوجبها الله تعالى على عباده، وفي هذا الشأن ينقل القاضي النعمان عن المعز لدين الله الفاطمي قوله: "إن الله تعالى أوجب على جميع خلقه ولايتنا، ومعرفتنا، وإتباع أمرنا، والهجرة والسعي من قرب ومن بعد"³.

ويمكن تقسيم هجرة الأتباع إلى مرحلتين مهمتين هما:

أولاً: الهجرة في مرحلة الدعوة.

وهي هجرة الأتباع من مكان يكونون فيه مضطهدين، بسبب عقائدهم ومبادئهم إلى مكان يتمكنون من نشر معتقداتهم فيه، وقد استند جعفر بن منصور اليماني لإثبات مشروعية هذه الهجرة إلى حديث نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم مفاده: "من لم تكن له عشيرة تمنعه من ضده فليفر إلى الحبشة"⁴.

ثانياً: الهجرة في مرحلة الدولة.

وهي هجرة الأتباع إلى مكان يكون فيه للمذهب الإسماعيلي دولة قائمة وإمام ظاهر، حيث يعمل هؤلاء الأتباع على موازنة هذه الدولة، والعمل على تقويتها بالتصدي للتحديات السياسية والعسكرية والمذهبية التي قد تواجهها⁵.

- الهجرة إلى الشام آخر الزمان عند ظهور الفتن:

فالشام هي من خيرة أرض الله، ويجتبي إليها خيرته من عباده وذلك لعدة أسباب وميزات حازتها أرض الشام، فهي أرض هجرة إبراهيم الخليل ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم ومبعث الأنبياء كما وصفها الله تعالى بأنها الأرض التي بارك فيها، لذلك تكون الهجرة إليها في آخر الزمان عند ظهور الفتن⁶.

وللهجرة من الناحية الشرعية معان أخرى، فقد توسع ابن العربي في نكرها، حيث رأى: أن السفر في الأرض نوع من أنواع الهجرة الشرعية⁷.

¹ جعفر بن منصور اليماني: كتاب الكشف، ص111، القاضي النعمان: المهمة في آداب أتباع الأئمة، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت1985م، صص22-23.
² أحمد إبراهيم النيسابوري: إثبات الإمامة، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت1996م، ص26.
³ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص467.
⁴ جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص123.
⁵ القائم بأمر الله: مخطوط، ورقة 04، و، أنظر الرسالة رقم01.
⁶ أبو داود: السنن الكبرى، كتاب الجهاد، باب سكن الشام، (الحديث رقم 2482)، ج3، ص9.
⁷ ابن العربي: المصدر السابق، ج1، صص526-527.

من حصاد ما سبق, يمكن القول: أن الإنسان عرف الهجرة منذ القدم, وهاجر من مكان إلى آخر لسببين مهمين هما: السبب الاقتصادي, والأمني.
ومع مجيء الإسلام أعطى الهجرة بعداً دعوياً, فأصبح الإنسان يهاجر فراراً بما يعتقد ويؤمن به, ويدعو له.

كما أن الهجرة تنقسم إلى أربعة هجرات مهمة هي:

1- هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

2- هجرة الإمام الإسماعيلي.

3- هجرة الأتباع.

4- الهجرة إلى الشام في آخر الزمان.

ثالثاً: التقليد الإسماعيلي للهجرة.

1- الهجرة والدعوات السياسية:

تعتبر الأرض المصدر الأساسي للثروة, ومن استحوذ عليها واحتكرها فقد صارت له من السيادة على الآخرين, لما اجتمع له من أسباب القوة, وموجبات الإتياع, ومن أبعدها فقد عرض للفاقة والتبعية والاستضعاف, فلا بد, والحالة هذه من أن تكون الأرض دولة بين الناس.¹

وتبعاً لذلك ينقسم الناس إلى صنفين: مستضعفين, ومتكبرين, ويتطور هذا التقسيم الواقعي إلى تقسيم عقدي, نجم عنه إخراج الفئة المستضعفة أو تهجيرها من الأرض المتصارع عليها, وهكذا أصبح لدينا دار إسلام, ودار كفر.²

وحسب التأويل الإسماعيلي لمعنى "الإخراج من الأرض" أنه: "الإخراج من الدعوة", ومن ذلك اتضح التقسيم العقدي للأرض جلياً, فأصبح هناك دار ضد, ودار هجرة.³

وقد نجم عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى إبراز هدفين مهمين تتشدهما كل دعوة دينية سياسية وهما: البحث عن سند اجتماعي وموقع جغرافي⁴, كون هذين الهدفين المهمين ييسران للدعوة الانطلاق من جديد وتمكنها من بناء دولة.

¹ عبد القادر حامد التيجاني, أصول الفكر السياسي في القرآن المكي, دار البشير للنشر والتوزيع, عمان 1995م, ص59.

² رضوان السيد: الدين والمجتمع والدولة في العلاقات والمرجعيات والمصائر, مجلة التسامح, العدد 17, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, مسقط 2007م, ص19.

³ القاضي النعمان: أساس التأويل, تحقيق وتقديم عارف تامر, منشورات دار الثقافة, بيروت 1970م ص173.

⁴ المراغي: مخطوط, ورقة 07, ظ.

ذلك أن الدعوة من دون سند اجتماعي قوي في إطار جغرافي لا ينتظر منها تغييرا، كما لاحظ ذلك بن خلدون حين نص في إطار عملية التدافع على أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم.¹

ولهذا كان الإعداد لبناء الدولة هدفا استراتيجيا، وحيويا بعد الهجرة، كما هو الشأن في تجربة الأنبياء والمرسلين السابقين، والتي عرضها القرآن الكريم كتطبيقات عملية متمثلة في الخروج والهجرة ومفارقة الجماعة الأولى، في محاولة لتأسيس جماعة جديدة، يتسلم فيها السلطة نبي أو رسول قد قاد عملية الصراع الاجتماعي، والهجرة الجماعية.²

ويشكل المكان - الأرض المهاجر إليها- محور التحام هذه الجماعة الجديدة³ كنواة لبناء مجتمع جديد، ودولة جديدة قائمة على الدعوة التي هاجر من أجلها أصحابها وجاهدوا في سبيلها بعد ذلك.⁴

وقد عبر أحد الباحثين عن هذه المراحل التي تبدأ بالدعوة ثم الهجرة والانتقال إلى مكان آخر، وما يترتب على ذلك من قيام الدولة التي تحمل المبادئ التي كانت تدعو إليها في السابق، "بالهجرة والتأسيس بزعامة نبي".⁵

وقد اتخذ هذا المنهج في الدعوة، ثم الهجرة إلى مكان آخر، ثم قيام الدولة الحامية لهذه الدعوة عند الأنبياء بصفة عامة وفي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة كنموذج، حاول الكثير من أصحاب الدعوات الدينية السياسية إتباعه والاقتراء به، حيث نظر إلى الهجرة النبوية كنموذج، أو بالتعبير القرآني "أسوة حسنة" أو بالمصطلح السوسيولوجي المعاصر "نموذج عمل".⁶

ولقد حاولت عديد الحركات الدينية السياسية إعادة السياق النبوي للمعارضة والمقاومة بالهجرة إلى مكان آخر، تتمكن فيه من استئناف نشاطها الدعوي، ثم العودة بعد ذلك من المحيط إلى المركز.⁷

¹ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، وهي الجزء الأول من كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، دمشق 2000م، ص 199.

² رضوان السيد: الأمة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت 1984م، ص 33.

³ محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002م، ص 56.

⁴ الأزهرى: مخطوط، ورقة 11، و.

⁵ رضوان السيد: المرجع السابق، ص 34.

⁶ برنارد لويس: لغة السياسة في الإسلام، ترجمة إبراهيم شتا، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص 1993م، ص 143.

⁷ نفسه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الطبري في حوادث سنة 61هـ، أن ابن عباس-رضي الله عنه- قد عرض على الحسين بن علي بن أبي طالب، لما أزمع الخروج على الدولة الأموية (40هـ-642م/132هـ-749م)، أن يهاجر إلى اليمن بدل الكوفة، وذلك لما تتوافر عليه من سند اجتماعي وموقع جغرافي يساعده على نجاح دعوته.

حيث قال له: "إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم، فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم فإن أبيت إلا أنه تخرج فسر إلى اليمن، فإن بها حصونا وشعابا، وهي أرض عريضة طويلة، لأبيك بها شيعة، نت عن الناس في عزلة، فنكتب إلى الناس وترسل وتبث دعواتك، فأنا أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية"¹.

وإذا كانت ثورة الحسين بن علي لم تبلغ أهدافها في حينها، وانتهت إلى مقتله ومن معه في موقعة كربلاء سنة 61هـ/663م²، فإن دعوات أخرى قد كتب لها النجاح، كونها سارت على السياق النبوي متخذة من الهجرة إلى مكان مخصوص بالدعوة، وبعيد عن مركز الخلافة³، مثل خراسان⁴ بالنسبة للعباسيين، والمغرب بالنسبة للفاطميين، وذلك إلى أن يحين أو ان ظهورها⁵، في محاكاة وتقليد تطبيقي للهجرة النبوية، حيث نجد أصحاب هذه الدعوات قد اختاروا الأقاليم والأطراف البعيدة عن مركز الدولة⁶.

ولقد تولى العباسيون بعد اتخاذ خراسان دار هجرة، للكفاح والنضال انطلاق منها ضد الدولة الأمرية، حيث تمكنوا من القضاء عليها بالجند القادم من خراسان، وبعد قيام الدولة العباسية (132هـ/750م)، حمل العلويين لواء المعارضة والمقاومة ضدهم، على اعتبار أنهم أحق

¹ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر 1971م، ج5، ص453.

² أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، منشورات الشريف الرضي، قم 1416هـ، ص84.

³ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي الفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت بلا تاريخ، ص13.

⁴ وحول اختيار خراسان كمكان مخصوص بالدعوة ودار للهجرة، قال محمد بن عبد الله العباسي: "عليكم بخراسان فإن بها هناك العدد الكثير، والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقاسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل، ولم يقدح فيها فساد، وهم جند...، وبعد فأنتي أتفاعل إلى المشرق، سراج الدنيا، ومصباح الحق"، للمزيد أنظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت 2003م، ص213.

⁵ العبادي: المرجع السابق، ص13-14.

⁶ Shafique N.virani; the Ismailis in the Middle ages: A History of Survival a Search for Salvation, oxford university press, London 2007 p.47.

بالخلافة منهم، وأصبح بيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مركزا للثورة ضد العباسيين.¹

وكان البيت العلوي قد تبلور في العهد الأموي إلى عدة فرق، أهمها: الزيدية والأمامية الإثنا عشرية اللتين أصبحتا فيما بعد من أبرز فرق الشيعة وأكثرها أنصارا في العصر العباسي الأول (132هـ-750م/232هـ-847م)، وهما الفرقتان الشيعيتان اللتان قامتتا بدور واضح في التاريخ السياسي لهذا العصر.²

وقد لجأت الفرقة الزيدية ، القيام بحركات ثورية مسلحة في العهد الأموي حيث اتخذت من الكفاح المسلح وسيلة لتحقيق أغراضهم السياسية³، وقد بلغ الصدام العسكري أوجه في عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (136هـ-754م/158هـ-775م)، فكانت حركة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم سنة 145هـ-762م.⁴

بالمقابل كان هناك منهج بديل سانه الإمام الخامس جعفر لصادق المتوفى سنة (148هـ-762م)، لأتباعه وهو منهج سلمى بعيد عن الممارسة السياسية أو التفكير في الثورة على السلطة بياسية، وقائم على الجانب العلمى والمذهبى لأتباعه ومريديه، حيث أنصرف جعفر الصادق بعد فشل الثورات التي قامت بها بعض الفرق والحركات السياسية الشيعية كردة فعل عن رفضها للدولتين الأموية والعباسية إلى العمل على السيطرة الثقافية والإيديولوجية، ليكتسب التشيع بعد ذلك أبعادا دينية نظرية.⁵

وقد عزى إدريس القرشي سبب إقبال جعفر الصادق على هذا المنهج السلمى وتركه للسياسة والثورة، والإقبال على العلم وتلقينه لأتباعه ومؤيديه إلى قوة الدولتين الأموية والعباسية في عصره، حيث قال: "وأبان جعفر بن محمد عليه السلام الأحكام وبين شرائع الإسلام، وعرف الحلال من الحرام في أوان تغلب الظلمة على الناس، وقوة دولة بني أمية وبني العباس".⁶

2- الهجرة والدعوة الإسماعيلية:

¹ الأصفهاني: المصدر السابق، ص 166.

² سميرة مختار الليثي: جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت بلا تاريخ، ص85.

³ للمزيد حول فرقة الزيدية أنظر، صاحب بن عباد: الزيدية، تحقيق ناجي حسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1986م، ص17 وما بعدها، أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي (132هـ-749م/365هـ-975م)، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000م، ص22 وما بعدها.

⁴ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت 1991م، ج1، ص154.

⁵ محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، الطبعة السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1999م، ص326.

⁶ القرشي: المصدر السابق، ج4، ص278.

بعد موت جعفر الصادق سنة 148هـ-765م، انقسمت الشيعة الإمامية على قسمين، قسم قال: بإمامة ابنه البكر، إسماعيل وسموا بالإسماعيلية¹، وقسم ثان ساق الإمامة في ابنه الأصغر موسى الكاظم وسموا بالإمامية².

وقد دافع الإسماعيلية عن إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، حيث قالوا: بأن جعفر نص عليه فعلا، وأن الإمامة لا ترجع القهقري، بل هي مستمرة في أولاده من بعده³.

ومع اختلاف الإمامية والإسماعيلية الزيدية في مسألة الإمامة، اختلفوا أيضا في المنهج الذي يجب إتباعه في مواجهة عدوهم المشترك، وهو الدولة العباسية، هذه الأخيرة التي اتبعت سياسة ديدة وقاسية تجاههم، خاصة في عهد الخليفة العباسي موسى الهادي (69هـ-785م / 170هـ-786م)، "الذي جد في طلبهم، وأخافهم خوفا شديدا وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم"⁴.

وقد أدت هذه السياسة بالعلويين، وخاصة البيت الحسن بن علي بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب، وقت الحج سنة 169هـ-785م، فضرب ونكل بهم، في واقعة فخ⁵ بين مكة والمدينة، وكانت تلك الواقعة مهمة بنتائجها إذ هرب منها إدريس بن عبد الله بن الحسن إلى المغرب، وأقام بها دولة للعلويين⁶، بالإضافة إلى ذلك فقد أدت هذه الواقعة إلى القطيعة النهائية بين العلويين والعباسيين، حيث استحك العدا بينهما⁷.

وفي الوقت الذي كانت فيه الإمامية الموسوية، ترى وجوب الكف عن إثارة النظم القائمة ضدها عن طريق الثورات، وجهوا طاقاتهم إلى تقوية التراث الشيعي، والتمكين للشيعة في

¹ الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص100، الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة، حققه وصححه نصوصه عبد المنعم الحفني، دار الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1992م، ص ص77-78.

² محمد بن يعقوب الكليني: روضة الكافي، ضبطه وعلق عليه محمد جعفر شمس الدين، دار المعارف للطبعات، بيروت 1990م، ج8، ص187، النوبختي: المصدر السابق، ص105.

³ القاضي النعمان: دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة 1963، ج1، ص37.

⁴ احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، تاريخ البيهقي، دار صادر، بيروت، ج2، ص404.

⁵ الطبري: المصدر السابق، ج8، ص192، الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص154، الأصفهاني: المصدر السابق، ص164.

⁶ للمزيد حول الدولة التي أقامها إدريس بالمغرب أنظر: أبو عبد الله التنسي: تاريخ دولة الأدارسة، تقديم عبد الوهاب حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

⁷ عبد العزيز النوري: العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، الطبعة الثالثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1997م، ص102.

الأرض¹، وقد تعزز هذا الاتجاه بعد دخول الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري في السرداب، واختفائه بعد ذلك سنة 270هـ/865م.²

نرى أن الفرقة الإسماعيلية قد اتجهت إلى سبيل الهجرة والانتقال إلى النواحي البعيدة عن ز الخلافة العباسية، لتحقيق مشروعها السياسي والمذهبي، حيث بدأت تعرف بنفسها وتدعو لأنتمتها، وقد أثنى إدريس القرشي على هذا المنهج واعتبره منهج الأنبياء والمرسلين في الدعوة، وانتقد في نفس الوقت نهج الثورة الذي اتبعته بعض الفرق الشيعية الأخرى المدعية للإمامة، "ر نص جلي ولا برهان معني، وهم بين مقتول أو مأسور، أو مشرد مغلوب مقهور، وأولياء الله عليهم السلام تحت أسجاف الستر والتقية، ودعاتهم يدعون إليهم، ويوضحون لمتبعيهم أنهم سلالة رسول الله والبقية".³

وكان أول من هاجر من الأئمة الإسماعيليين، هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي تمثل إمامته بداية لدور جديد في تاريخ الإسماعيلية، هو دور الستر⁴، وقد استتر عن أعين العباسيين، زمن الخليفة هارون الرشيد (170هـ-786م/199هـ-809م)، الذي علم بأمره، بعدما انتشرت دعوته، فأصبح متخفياً بنفسه من بلد إلى بلد.⁵

وابتداء من هذا التاريخ، سنّ الإسماعيليون أئمة وأتباعاً، الهجرة سبيلاً للدعوة إلى معتقداتهم من جهة، وإلى الاستتار عن أعدائهم من جهة ثانية، حفاظاً على سلامة أنفسهم من أذى مخالفيهم كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم، تجاه أذى المشركين⁶، حيث هاجر محمد بن إسماعيل من المدينة المنورة إلى فارس، متخذاً منها داراً للهجرة.⁷ كما خرج دعاته وحججه مبشرين به، وداعين له في كافة الأقطار⁸، لقرابة قرن ونصف القرن، بعد وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق، ظل أئمة الإسماعيلية مخبوءين، ويتنقلون من مكان إلى آخر، حتى أطلق عليهم "الأئمة المستورون في ذات الله".⁹

¹ محمد الرحمنوني: الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، بحث في مواقف العلماء المسلمين، في القرنين الرابع والخامس للهجرة، تقديم عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2002م ص 60.

² النوبختي: المصدر السابق، ص 99، هنري كوربان: الإمام الثاني عشر، ترجمة وتحقيق وتقديم نواف محمود الموسوي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2007م، ص 73.

³ المصدر السابق، ج 4، ص 348-349.

⁴ القرشي: زهر المعاني، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1991م، ص 205.

⁵ جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص 259، القرشي: عيون الأخبار، ج 4، ص 352.

⁶ القاضي نعمان: أساس التأويل، ص 362.

⁷ القرشي: زهر المعاني، ص 205-206.

⁸ أبو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة: رسالة الأصول والأحكام، تحقيق وتقديم عارف تامر ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف، سلمية 1956م، ص 120.

⁹ وهم ثلاثة أئمة مستورين في ذات الله، وهم الحسين بن عبد الله بن محمد بن، أبو العباس شمس الدين

لم يعرف عن هذه المرحلة، من مراحل الدعوة الإسماعيلية، سوى القليل عن أوجه نشاطهم ودعاتهم وتعاليمهم، ولكن مرحلة جديدة بدأت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، عندما بدأ الضعف الواضح للخلفاء العباسيين.¹

ومنذ ذلك الوقت بدأت الإسماعيلية، كفرقة شيعية لها أئمتها وأفكارها الخاصة بها في الظهور والنشاط، كتنظيم ثوري يعتمد على دعاة نشطين، انتشروا في أرجاء العالم الإسلامي، يدعون إلى قرب ظهور المهدي من آل فاطمة.²

ويكون ظهور المهدي في مكان آمن يسيطر عليه أتباعه و أنصاره بحيث يستطيع أن يجاهد منه أعدائه، ويقوم دولة يحكمها باسم آل البيت، كما جاء في الحديث الذي ذكره القاضي النعمان: " أن للمهدي هجرة تنبؤ عن الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان"³

وقد اعتبر الصوري⁴ وهو أحد دعاة المذهب الإسماعيلي- ن هجرة الإمام الإسماعيلي، هي من صميم قول وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال⁵:

وألحق القادر ذو الجلالة *** إمامة تلحق بالرسالة
فلم يبق من بعده نبي *** يخلفه من نسله وصي
لكن يكون فاضل من أهله *** متبعا لقوله وفعله.

وعليه يمكن القول، أن الهجرة والاستتار والتخفي ونشر الدعوة في الأقطار، وما ينجم عن ذلك من اتخاذ دور للهجرة، وبناء القلاع فيها، كل ذلك كان من النتائج التي تمخض عنها التنظيم السياسي والفكري للإسماعيلية، التي بدأ أئمتها بدور الستر منذ عهد الإمام محمد بن إسماعيل.⁶ فما هي الدعوة الإسماعيلية وما هي أهم مراتبها، وما علاقة الدعوة بالهجرة واتخاذ دور للهجرة في كافة الأقطار؟.

أحمد بن أبي بكر بن خلكان: معجم مقيدات ابن خلكان، جمع وتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، القاهرة 1987م، ص 309.

¹ برنارد لويس: الحشاشون، فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة 2006م، ص 52.

² أيمن فؤاد السيد: تطور الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية في المغرب، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهدية من 4-7 أوت 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م، ص 39-40.

³ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 73.

⁴ محمد بن علي بن الحسن: الرسالة الصورية، تحقيق وتقديم عارف تامر، ضمن كتاب الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية، دار بيبليون، باريس 2008م، ص 105.

⁵ من بحر الرجز

⁶ محمد علي زهرة: دولة القلاع، قراءة في المذهب الإسماعيلي وأحلام المدينة الفاضلة، دراسة وتحليل، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 2004م، ص 115.

الفصل الثاني:

دار الهجرة بين التنظير الإسماعيلي والواقع المغربي

أولاً: الدار والهجرة، دراسة من خلال المذهب الإسماعيلي.

ثانياً: ماهية الدعوة الإسماعيلية ومراتبها.

ثالثاً: المذهب الإسماعيلي والواقع المغربي.

أولاً: الدار والهجرة، دراسة من خلال المذهب الإسماعيلي.

اهتمت الفرق الإسلامية بأن تكون لها آراء وأن تفكر في وضع نظريات، ثم لا تقف عند هذا الحد فقط بل تنظم نفسها وتتكلل سعياً لتحقيق هذه النظريات وتجعلها مطبقة في الحياة الواقعية، وهذه إحدى الصفات العامة التي تتميز بها الفرق الإسلامية حيث لم تكن مجرد مدارس فكرية تصل إلى تكوين آراء وتصورات يقوم بها الذهن فقط وتكتفي بإبدائها وتدوينها.¹

بل كانت هذه الفرق أحزاباً بالمعنى السياسي الذي نفهمه اليوم في ميدان السياسة العملي فلها مبادئ معينة أشبه بالبرنامج المرسوم ولها نشاط وفيها نظام، ثم هي تسعى وتكافح حتى تحقق هذه المبادئ والآراء وتجعل منها إن استطاعت منهاج حكم وذلك من خلال محاولة التخلص من الواقع التطبيقي لتنفيذ ما وراءه من أفكار تحكم هذا الواقع.²

السرف في ذلك، أن هذه المبادئ لم تكن مجرد أفكار نظرية أو خيالية، ولكنها كانت في عقيدة الفرق أو الأحزاب دينا وفلسفة وقانونا يجب أن يتبع وينفذ، ومثلاً أخلاقياً ينبغي أن يحتذى، ومن هنا كان أثرها في التاريخ، وصلتها القريبة به، وتوجيهها لوقائعها.³

و لإثبات صحة هذه المبادئ والآراء التي تدعو لها هذه الفرق والمذاهب، كان اعتمادها في تنظيرها وتأسيسها قائم ومنصب على حجية القرآن الكريم ثم السنة النبوية وسنة الأئمة عند الشيعة عامة، الإجماع والقياس.⁴

و يخضع التنظير و التأسيس لعاملين مهمين، يكونان في الغالب الدافع وراء نشأة هذه الآراء و الأفكار للمذاهب والفرق الإسلامية، وهما:
* الوضع السياسي السائد في الواقع المعيش.

* الصراع والثورات، وأثرها على الحياة الثقافية والفكرية والمذهبية، فليس هناك ثقافة - حسب رأي أحد الباحثين⁵ - تنشأ دون إرهابات وصراعات وتحديات متنوعة.

في إطار هذا الصراع المذهبي والسياسي، في محاولة لكسب الشرعية على المستوى المذهبي أولاً، وعلى المستوى السياسي ثانياً، عمل علماء الفرق والمذاهب على التنظير لمذاهبهم

¹ محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، الطبعة السابعة، مكتبة دار التراث، القاهرة 1976م، صص 24-25.

² جمال الدين عطية: التنظير الفقهي، بلا ذكر لدار الطبع، الدوحة 1987م، صص 13.

³ الرئيس: المرجع السابق، صص 25.

⁴ محمد أركون: الفكر الأصولي، واستحالة التأسيس، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت 1999م، صص 7.

⁵ إبراهيم محمود: الفتنة المقدسة، عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، رياض الرئيس للكتب، بيروت 1999م، صص 249.

وعقائدهم ومنهجهم من خلال استعادة السياق التاريخي للنبوّة، والتأسيس منها بشكل خاص ذلك أن " النبوّة في نظر التاريخ الإسلامي مرحلة تأسيس"¹، ثم الانتقال بعد ذلك من الاعتقاد النظري إلى التطبيق والممارسة والتنفيذ الفعلي لهذه الأفكار والمبادئ ثم التنظير والتأصيل لها.² ويعتبر اتخاذ دور الهجرة من أبرز المواضيع التي نظرت لها المذاهب والفرق الإسلامية اتخذت منها موقفاً، وفي طليعة هؤلاء المذاهب، المذهب الإسماعيلي الذي جعل من اتخاذ دار الهجرة مرحلة من أهم مراحل الدعوة إلى أفكاره ومبادئه، بل أعطاها بُعداً عقدياً وفلسفياً. فكيف صاغ المذهب الإسماعيلي هذا الفكر؟.

1- دار الهجرة من النبوّة إلى الإمامة:

يصح القول أن النبوّة ظاهرة كلية عامة غير مخصوصة بشعب دون آخر أو بعصر دون عصر، فهي ظاهرة شائعة على مستوى العالم بأسره منذ أقدم العصور، واللافت أن شمول النبوّة يرجع بالأساس إلى ارتباطها بجانب خاص في الإنسان ينزع به إلى تجاوز تحديات الزمان وقهره.³

فقد ارتبط النظر إلى النبوّة بالوضع المعرفي للبشر، أي في إطار الوضع العام للبشرية حيث تقوم على التصور العام للوجود من جهة، وعلى تحصيل بعض التجارب الإنسانية كالاغتراب والهجرة وانتظار الأمل والخلاص من جهة ثانية، بالإضافة إلى أنها تزود الأفراد والجماعات بهويتهم، وتحدد اتجاهاتهم.⁴

ويُعد المذهب الإسماعيلي من المذاهب الإسلامية التي اهتمت بعلم النبوّة وأولته عناية فائقة،⁵ وانه ميراث الأئمة حسب اعتقادهم، قال البيت ورثة النبوّة، وحملة لواء الحقيقة العرفانية⁶، وقد ظلت هذه الأفكار حاضرة في الذهن لقرون.⁶

¹ محمد جلال شرف: نشأة الفكر السياسي في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1982م، ص 23.

² محمد جديدي: الحكم الفاطمي، الشرعية السياسية والمرجعية ضمن كتاب، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تقديم وتنسيق بوبه مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة 2007م، ص 66-67.

³ علي مبارك: النبوّة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1993م، ص 57.

⁴ محمد الرحموني: الدين والإيديولوجيا جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2005م، ص 21.

⁵ جعفر بن منصور اليمن: كتاب الكشف، ص 14.

⁶ هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، الطبعة الثانية، راجعه وقدم له موسى الصدر وعارف تامر،

ويتضح ذلك من خلال المصادر الإسماعيلية والرسائل التي دونت وألفت في هذا المجال وكررت تاويلات قصص الأنبياء، والتي غلب عليها الشرح الفلسفي والتأويلي أكثر مما هو لغوي وتفسيري.¹

ويعود ذلك إلى اعتقاد الإسماعيليين أن الظاهر من التشريعات الدينية التي نطق بها الرسل تعرض للتغيير مع مرور الزمن، أما الباطن الذي يتضمن الحقائق، فهو ثابت وأبدي، والذي يمكن الكشف عنه بواسطة التأويل.²

ويعد جعفر بن منصور اليماني في كتابه أسرار وسرائر النطقاء، والقاضي النعمان في كتابه أساس التأويل، من أبرز علماء المذهب الإسماعيلي الأوائل الذين اهتموا بتأويل قصص الأنبياء، وأبرزوا لنا وجهه النظر الإسماعيلية في ك، بالإضافة إلى محمد بن علي بن الحسن الصوري³، والداعي صاحب القصيدة الشافية⁴ وآخرون.

وقد أجمعوا على أن طريق الأنبياء والرسل هو طريق واحد، من لدن آدم عليه السلام، إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم - أي الإسماعيليين - على هذا الطريق المستقيم كونهم، " اتبعوا الأنبياء على سننهم، وتعلقوا بمن خلفوه من بعدهم، من أهلهم وأصحابهم الذين تركوهم لهداية الأمم من بعدهم..."⁵، والسبب في ذلك كما يرى دعاة المذهب الإسماعيلي، أن أمر الله متصل من أول أنبيائه ورسوله، وأئمة دينه إلى آخرهم، وعليه فمن أطاع آخرهم فكانه أطاع أولهم لاتصال أمر الله إلى من بعده إلى الآخر.⁶

وقد أراد منظرو المذهب الإسماعيلي الوصول إلى حقيقة مفادها أن سبيل الأنبياء هو نفسه سبيل الأئمة من بعدهم، ولا بد لهذا السبيل من أصدقاء وأعداء مخالفين لما جاءت به الأنبياء من قبل، ولما يدعو له الأئمة من بعد، لأن أمر الله تعالى واحد لا يتبدل " فمن عادى النبي، فقد عادى الإمام ".⁷

ترجمة نصير مروة وحسين قبيسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت 1998م، ص44.
¹ أبو يعقوب إسحاق السجستاني: إثبات النبوات، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت 1982م، المقدمة ص يا.
² فرهاد دفتري: الحياة الفكرية بين الإسماعيليين: نظرة عامة، ضمن كتاب المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام، تحقيق فرهاد دفتري، ترجمة ناصح ميرزا، دار الساقى، بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت 2004م، ص145.
³ الرسالة الصورية، تحقيق وتقديم عارف تامر، ضمن كتاب الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية، دار بيبليون، باريس 2008م، ص97 وما بعدها.
⁴ مجهول: القصيدة الشافية، تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت 1986م، ص31 وما بعدها.
⁵ إخوان الصفا: جامعة الجامعة، تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت 1986م، ص99.
⁶ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص31.
⁷ القاضي النعمان: اختلاف أصول المذاهب، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثالثة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1983م، ص76.

و تأسيسا على ما سبق، فإن أعداء الإسماعيليين هم الذين حادوا عن طريق الأنبياء، واستكبروا على أولياء الله تعالى، واغتصبوا حقهم في الحكم، تكبرا وإدعاء لمقاماتهم¹، في إشارة إلى الأمويين والعباسيين ومن أعانهم وتابعهم من طالبي حطام الدنيا وعاجل نعيمها، بما نالوه من مستعجل عزها ودوام أمرها، يستنزلون أنبياء الله وأبناء الرسالة وذرية النبوة².

وأمام تجارب سابقة خاضها الأنبياء مع المخالفين من أقوامهم، لم يتوقفوا عن الدعوة، ولم يركنوا للظالمين، مصداقا لقوله تعالى: " وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ " ³.

وكان عمل الأنبياء والمرسلين، الانتقال من دار الظالمين و المخالفين، إلى مكان آخر يسمى دار الهجرة، يستطيعون من خلالها الدعوة بحرية، وإقامة أحكام الدين فيها، والجهاد انطلاقا منها⁴، وفي هذا المعنى يقول صاحب القصيدة الشافية⁵، أن عيسى عليه السلام، بحث عن دار للهجرة، ليجاهد أعدائه منها، حيث قال⁶:

وراح في الوقت لدار الهجرة *** يقاتل الأعداء منها جهرة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول، أن علماء المذهب الإسماعيلي قد أولوا عناية كبيرة بالتاريخ الديني للأنبياء⁷، واتبعوا منهجهم في اتخاذ دورا للهجرة في مكان آخر لاستمرار الدعوة ومواجهة التحديات التي تتعرض لها، وتحقيقا لأهدافها.

ونظرا لأهمية الهجرة في المذهب الإسماعيلي، جعلوا الدعامة الخامسة⁸ في المذهب- وهي دعامة الحج – تمثل حسب التأويل الباطني، الهجرة إلى الإمام.

وهذا الجدول، يمثل أهم النطقاء عند الإسماعيلية، الذين هاجروا، مع اسم المكان المهاجر إليه.

¹ مجهول: مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار السامية، ضمن أربع كتب إسماعيلية، عني

بتصحيحها. ر. شتروطمان، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2006م، ص 138.

² علي بن الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1982م، ص 79، القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، ج 4، ص 367-368.

³ سورة هود: الآية 113

⁴ جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص 239.

⁵ مجهول: ص 81.

⁶ من بحر الرجز

⁷ للمزيد حول هذا الموضوع أنظر، المعز لدين الله الفاطمي: أدعية الأيام السبعة، تحقيق وتعليق إسماعيل قربان بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006م، ص 34 وما بعدها.

⁸ بني الإسلام – حسب المذهب الإسماعيلي- على سبعة دعائم وهي: الولاية، الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد. للمزيد أنظر: القاضي النعمان: الدعائم، ج 1، ص 2، وأيضا شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ص 104، القرشي: زهر المعاني، ص 181.

| الزمن | النطقاء | الدعائم | التأويل الباطني للدعائم | اسم دار الهجرة |
|----------|---------|---------|----------------------------|-----------------|
| الأحد | أدم | الطهارة | التطهر بالعلم | غير مذكور |
| الاثنين | نوح | الصلاة | إقامة الدعوة | غير مذكور |
| الثلاثاء | إبراهيم | الزكاة | معرفة الأسس والحدود | القدس |
| الأربعاء | موسى | الصوم | السر والكتمان | القدس |
| الخميس | عيسى | الحج | الهجرة إلى الإمام | عين شمس |
| الجمعة | محمد | الجهاد | قتال الظالمين | المدينة المنورة |
| السبت | القائم | الولاية | إقامة الأحكام وقيام الدولة | غير مذكور |

2- البعد العقدي لدار الهجرة:

تعتبر دار الهجرة من المواضيع التي اهتمت بها الفرق الإسلامية ونظرت لها وأعطتها أحكاماً فقهية، يتم من خلالها الحكم على الأتباع والمخالفين بوجودهم فيها من عدمه. وقد عقد أبو الحسن الأشعري (ت 330 هـ/941 م) في كتابه: "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، فصلاً قصيراً لمسألة الدار تحت عنوان "هل الدار دار إيمان أم لا؟" وفيه ذكر آراء مفكري الفرق والجماعات الإسلامية من معتزلة وخوارج وشيعة ومرجئة وزيدية في دار الإسلام آنذاك، في القرن الثاني الهجري.¹

والظاهر من نص الأشعري أن باعث إثارة هذا المبحث هي النزاعات الداخلية التي نشأت بين المسلمين منذ أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (23هـ-35هـ) والمعروف أن تلك النزاعات لم تنته بمقتل الخليفة الثالث، بل استمرت حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (35هـ-41هـ) وأدت إلى مقتله، وما نجم عن ذلك من جدل فكري وعقائدي حول مواضيع شتى أهمها: الإمامة وشروطها، ومدى السلطة المخولة للخليفة.²

¹ الأشعري: المصدر السابق، ج2، ص191.

² نصر حامد أبو زيد: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1996م، ص12.

ويبدو أن الخوارج الذين سرعان ما تحولوا إلى فرقة دينية سياسية، هم أول من أثار مسألة اعتقادات خصومهم، هل هم مؤمنون أم كفار؟ و نتيجة لذلك انسحب هذا الاعتقاد على الدار أو المستقر، وهل المقيمين منهم في هذه الدار كفار أم لا؟.

وبناء عليه شنت هذه الفرقة حرب عصابات استمرت زها القرن ونصف القرن، وذلك قبل أن يتمكن خلفاء الدولة الأموية من ضبطهم وإرغامهم على الانسحاب إلى أطراف دار الإسلام.¹ ونتيجة النزاعات الداخلية التي نشبت بين المسلمين، معارضة وسلطة في العهد العباسي، فرضت على المذهب الإسماعيلي إستراتيجية في الدعوة تمثلت في اختيار الحياة في دار الهجرة قبل البحث عنها في دار القرار، بعيدا عن مركز الدولة العباسية.²

وقد أعطت الإسماعيلية لهذه الخطوة أبعادا عقائدية وفلسفية نابعة من الفكر الإسماعيلي حيث اعتبرت الرقعة الجغرافية التي تخضع للدولة العباسية بدار الضد³، في حين اعتبرت الخروج عن هذه الرقعة، إلى حيث يوجد الإمام من أجل أخذ العلم منه واستئناف الدعوة مرة أخرى بدار الهجرة.⁴

إذ يرى علماء المذهب الإسماعيلي أن الهجرة إلى الإمام والبقاء معه لأخذ العلوم عنه من فرائض الدين⁵، إذ بمعرفته وطاعته والتخلي عن ضده صلاح للمؤمنين⁶، بالإضافة إلى كون اتخاذ دار الهجرة سنة من سنن الأنبياء والمرسلين، وأن هذه السنن ميراث للأئمة بعد الأنبياء إذ في كل زمان هناك إمام يهدي الناس إلى ما جاء به الأنبياء.⁷

ونظرا لأهمية اتخاذ دار الهجرة، جعل منها منظروا مذهب مادة احتجاج على المخالفين عقائديا، ودليل ضد المدعين للإمامة من الفرق الشيعية الأخرى، وإن كانت تتفق معها في كون الولاية لإمام من آل البيت، إلا أنها تختلف بأرائها ومناهجها مع الإسماعيلية.⁸

¹ رضوان السيد: الدار والهجرة وأحكامها عند ابن المرتضى، دراسة في ظهور المسألة وتطورها عند الزيدية، مجلة الاجتهاد، العدد 12، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت 1991م، ص 214.

² محمد جديدي: الحكم الفاطمي من البحث عن الحرية إلى ممارسة السلطة، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي، ص 111.

³ الضد: هو الذي استكبر عن قبول الدعوة وعن أولياء الله تعالى وادعى مقاماتهم في كل عصر وزمان، مجهول: مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار السامية، ص 138.

⁴ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص 238.

⁵ نفسه، ص 240.

⁶ أبو فراس شهاب الدين: مطالع الشموس في معرفة النفوس، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1978م، ص 15.

⁷ جعفر بن منصور اليماني: كتاب الكشف، ص 120، القاضي النعمان: دعائم الإسلام، ج 1، ص 22.

⁸ محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية تاريخها- نظمها- عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1959م ص ص 155-156.

فقد استدل جعفر بن منصور اليماني، بحديث ينسبه للرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فاثنتان وسبعون فرقة هالكة، وفرقة ناجية، وهم الهراب بأديانهم، المعتكفين على أئمة زمانهم، ومنهم مشردون من شياطين بني أمية، وولد العباس".¹ كما انتقد الفرق الشيعية الأخرى المدعية للإمامة حسب رأيه- حيث يعتبرها من زمرة الفرق الضالة والهالكة والمخالفة لسنن الأنبياء، والمتبعة لأهوائها، إذ يرى أن أكبر الدلائل على بطلان دعواها للإمامة، تركها اتخذ دار هجرة، في إشارة إلى مذهب الإمامية الإثنا عشرية التي رضيت بالركون للظلمة²، ومذهب الزيدية الذي يدعو للخروج على الظلمة، وإشهار السيف في عقر دارهم واستعجالهم للجهاد قبل اتخاذ دار للهجرة.³

وفحوى هذا النقد هو منهاج هذه الفرق الشيعية والتي يرى جعفر بن منصور اليماني أنها مخالفة لمنهج الأنبياء في الدعوة، فالأنبياء لم يأمرنا باتباع الظلمة والركون إليهم ولم يجاهدوا عدوهم في عقر دارهم حتى اتخذوا دار هجرة وفي هذا الصدد يقول: " ولا رأينا نبيا ولا وصيا ولا إماما أمرنا باتباع الظلمة، ولا الوقوف تحت رأيهم، فهذه الأنبياء والأوصياء وأنهم لم يجردوا سيفا إلا بعد اتخاذهم دار هجرة، وإقامة الأحكام، فكيف بهذه الأمة المنكسرة الأحكام المدعية للإسلام؟ ومواقفهم من المدعين للتشيع⁴؟

أ- الرد على الزيدية:

ينسب المذهب الزيدي إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومذهبه أن كل فاطمي من ولد الحسن والحسين، وهو عالم زاهد شجاع سخي واجب الإتياع⁵. ويشترط الخروج حتى يكون الإمام إماما⁶، وينكرون على من يدعي الإمامة وهو قاعد في بيته مرخي عليه ستره.⁷

وتنكر الإسماعيلية على الزيدية منهجهم في الدعوة وأنهم ليسوا على خط الأنبياء والأئمة وذلك لكونهم يستعجلون الخروج بالسيف من دار عدوهم دون اتخاذ دار للهجرة، وتبعاً لذلك فادعائهم للإمامة ادعاء باطل.⁸

¹ جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص243.

² مما يؤيد هذا الاتجاه حديث ينسب إلى الأئمة مفاده: "إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا في أحكامهم ولا تشتهروا فقتلوا"، ابن بابويه: من لا يحضره الفقيه، ج3، ص6.

³ الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص136، الأصفهاني: المصدر السابق، ص124.

⁴ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص243.

⁵ النوبختي: المصدر السابق، ص70، الأصفهاني: المصدر السابق، ص124.

⁶ الأشعري: المصدر السابق، ج1، ص136-137، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير مهنا وعلي حسن فاعور، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت 1993م، ج1، ص38.

⁷ القاضي النعمان: المناقب والمثالب، تحقيق ماجد بن أحمد العطية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 2002م، ص333.

⁸ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص248.

وحجتهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، أقام دهرًا من نبوته لا يقاتل وكذلك الأئمة من بعده من ولده لا يقاتلون في غير نال الإمكان¹، ويعود السبب في ذلك أن الخروج على

المخالفين في دارهم ليس من منهج الأنبياء وأنهم لم يبيتوا على أضدادهم في دارهم حتى اتخذوا دار الهجرة لأنفسهم.²

وتكمن أهمية اتخاذ دار الهجرة في توفير أسباب النجاح والنصر للدعوة والتي تتمثل في سببين مهمين:

أولاً: السبب الديني: إقامة أحكام الدين بكل حرية بعيداً عن المخالفين.

ثانياً: السبب العسكري: الاعتصام بدار الهجرة من العدو في حالة الدفاع، والجهاد منها حالة الهجوم.³

وقد ذكر القاضي النعمان: أن الإمام محمد الباقر⁴، كان يحذر أخاه زيد من مسألة الخروج على الدولة الأموية، قبل الأوان، وأنه بذلك يخاطر بنفسه وبأتباعه كونه لم يتخذ داراً للهجرة، يأوي إليها ويحارب منها عدوه، وهو بهذا الفعل بمنزلة "فرخ طائر طار من وكره، قبل أن يستوي جناحاه، فأخذه الصبيان يتلاعبون به"⁵، وفي هذا المعنى قال القاضي النعمان⁶ عن الزيدية:

وقالت الطائفة الزيدية *** مقالة لم تك بالمرضية

بأن كل قائم يقوم من *** نسل الحسين بن علي والحسن

بسيفه يدعو إلى التقدم *** فهو الإمام دون من لم يقم

من كل من يُعرف بالزيدية *** ميته ميته جاهلية⁷.

¹ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص333.

² جعفر بن منصور اليماني: كتاب الكشف، ص248.

³ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص248.

⁴ هو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالباقر، كان عالماً وسيداً كبيراً، وقيل له الباقر لأنه تفر في العلم، وقيل أنه توفي سنة تسع عشرة ومائة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، ودفن بالبقيع، للمزيد: القاضي النعمان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، مج1، ج3، صص276-277، أيضاً، حسن بن نوح بن يوسف البهروزي: كتاب الأزهار ومجمع الأنوار، الجزء الأول، نشره عادل العوا، ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1958م، ص233، مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت 1964م، ص480.

⁵ القرشي: زهر المعاني، ص191.

⁶ الأرجوزة المختارة، تحقيق وتعليق إسماعيل قريان بوناوالا، معهد الدراسات الإسلامية، بالاشتراك مع جامعة مجيل، مونتريال، كندا 1970م، صص214-216.

⁷ من بحر الرجز

ب- الرد على الإمامية الإثنا عشرية:

بخلاف الزيدية التي استعجلت الخروج، عمدت الإثنا عشرية إلى فلسفة الانتظار وذلك بسبب غياب إمامها الثاني عشر، وعدم إمكانية الرجوع إليه شخصياً في مسألة التعامل معه في الحالات المعاشة، حيث اشتدت الحاجة إلى قواعد فقهية عامة يمكن الركون إليها، والنظر في حالاتها التفصيلية.¹

لذلك أثرت الإثنا عشرية الركون إلى الظلمة والخضوع لهم ولإرادتهم، وعلى هذا الأساس فإن مجمل مؤلفات هذه الفرقة كانت تتجه إلى التمسك بدعائم الإسلام ممثلة في التمسك بالولاء للإمام الغائب، كما رأوا أن الجهاد يجب أن يشمل مجالات جديدة في انتظار تكوين القوة التي تسمح بالخروج وذلك كله في انتظار الإمام المختفي.²

ويرى ابن بابويه - هو أحد منظري المذهب - أن هذا التوقف عن الهجرة والجهاد وإبطال السيف ولو قتلت، حتى يظهر الإمام فيأمر بذلك للحاجة الملحة إلى ممارسة البقية، هذه الأخيرة كما يقول عنها: فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين فمن تركها فقد خالف الإمام وفارقه.³

هذا المنطلق يرى أصحاب مذهب الإمامية الإثنا عشرية وجوب إتباع خطوة هامة قبل الهجرة والجهاد، ألا وهي إرجاع الناس إلى الإيمان الحقيقي وبلغة المصطلحات لا بد من تغيير دار الإسلام إلى دار الإيمان، ويقصد بالأولى: الأرض التي يحكمها المسلمون الذين لا يقبلون بإمامة علي بن أبي طالب وذريته ويحاربونهم وهؤلاء هم أهل البغي.⁴

وأمام الوضع الاضطراري للإمامية الإثنا عشرية، نتيجة غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري، توقفت معها معاني المعارضة السياسية للدولة العباسية ممثلة في الهجرة والجهاد فكان انتقاد المذهب الإسماعيلي لهذه الفرقة أو المذهب أكبر، كون غيبة الإمام تعني غياب أي فعل لهذا المذهب أمام مستجدات الحياة وتحدياتها إذا التبس عليهم أي شيء من أمور دينهم.⁵

ومع فشل المنهج الزيدي في تحقيق مشروعه السياسي لتسرع في الخروج على الحكام الظالمين قبل اتخاذ دار الهجرة، وغيبة الإمام عند الإثنا عشرية وما نتج عنه من توقف لأي

¹ رضوان السيد: الجماعة والأمة والدولة، دراسة في الفكر السياسي العربي الإسلامي، دار اقرأ للطباعة والنشر، بيروت 1984م، ص 249.

² محمد الرحموني: الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، ص 164.

³ ابن بابويه: كتاب المقنع والهداية، ص 129، نقلاً عن الرحموني: المرجع السابق، ص 164، وللمزيد حول هذا الموضوع أنظر أيضاً، الكليني: المصدر السابق، ج 8، ص 211.

⁴ الرحموني: المرجع السابق، ص 57.

⁵ جعفر بن منصور اليمن: المصدر السابق، ص 264.

نشاط سياسي أو عسكري لهذا المذهب¹، ازدادت المكانة التي أعطيت للإمام في المذهب الإسماعيلي ومنحته القدرة على إدخال المخلصين الصادقين في الولاء معه إلى الجنة². ويستدل بعض منظري المذهب الإسماعيلي على صدق إمامتهم بتركهم العيش في دولة الظالمين والتي يسمونها بدار الضد والسلطان الجائر³، ومن هنا نشأت فلسفة الهجرة وأهمية اتخاذ دار الهجرة في المذهب الإسماعيلي.

3- البعد الفلسفي لدار الهجرة:

عمل الإسماعيليون على ضم أفكار مستعارة من الفلسفة، ودمجها في منظور إسلامي، حيث كان لهم اطلاع واسع على الترجمات العربية لبعض المصادر الأفلاطونية المحدثة إبان القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي⁴.

وقد أدى اهتمام دعاة الإسماعيلية بالفلسفة إلى إحلال انسجام بين الثيولوجيا الإسماعيلية، وعقائد الأفلاطونية المحدثة، مما نتج عنه نشوء منهج عقلائي للثيولوجيا الفلسفية ضمن العقيدة الإسماعيلية، كما أنه أصبح يشار إلى هذا الاتجاه بأنه يعبر عن المنهج الفلسفي للإسماعيلية⁵. ونتيجة لذلك استطاع الإسماعيليون من خلال هذه الاطلاعات الفلسفية والإضافات عليها من السيطرة على مسارات التفكير الإسلامي وعقول الفلاسفة، وذلك بواسطة تغلغل تأثيرهم الموجه في نظم ومبادئ وحركات ثورية في البلاد الإسلامية في صيغة معارضة للنظام العباسي القائم، فكان من ذلك حرارة العمل المعارض⁶.

وأمام العمل المشوش لحركات شيعية سابقة، كالاتتماد على ثورات عاطفية، وركون البعض الآخر للظلمة، حكم عدد من فلاسفة المذهب الإسماعيلي ذوي القدرات العالية والعقول الجبارة، أما للعقيدة الإسماعيلية على مستوى فلسفي في غاية الرقي والشمول⁷، ويكمن المغزى وراء استعانة علماء المذهب الإسماعيلي بالفلسفة في محاولة منهم لتغيير المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ولا يتاح ذلك إلا بتغيير عملي وثقافي على أساس من الفكر الفلسفي، لأن التغيير

¹ نقاد الإسماعيلية لمسألة الغيبة في المذهب الإثناعشري كون الغيبة لا تجوز للإمام، فإله تعالى لا تخلو أرضه من حجة ولا يكلف عباده بطاعة رجل ثم يغيبه عنهم، فالباطل أن تكون الغيبة من الله تعالى وهذا من المحال، علي ابن الوليد: تاج العقائد، ص 69.

² القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص 55.

³ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص 260.

⁴ تعتمد المدرسة التي أنشأها أفلاطون (ت 270م) على تفسير آيات الكتاب المقدس، واستنباط نصوصه واعتبارها رموزاً تخضع للتأويل العقلي، للمزيد أنظر، محمد عبد الحميد الحمد: الأفلاطونية المحدثة والتوحيد الإسماعيلي، منشورات الحمد للنشر والتوزيع، دمشق 2003م، ص 23.

⁵ فرهاد دفتري: الحياة الفكرية للإسماعيليين، ص 154.

⁶ دفتري: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ترجمة سيف الدين قصير، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1995م، ج 2، ص 122-123.

⁷ سهيل زكار: الفكر الإسماعيلي في تطوره الإفريقي، ملتقى القاضي النعمان من 12-15 أوت 1975م بالمهديّة، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1977م، ص 34.

بالثورة أو العنف دون مسموح أو أفق فكري لا يحقق الأهداف المرجوة¹، وبذلك أصبح المذهب الإسماعيلي- حسب أحد الباحثين المحدثين²- مذهب ديني فلسفي سياسي اجتماعي لأنه كان أول فرقة انتبهت لأهمية الفلسفة في التفكير فدمجتها مع المعتقدات الدينية.

وقد بلغت الفلسفة عند الإسماعيليين أوجها بتصنيف "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" المشهورة على أيدي جماعة من المؤلفين من ذوي الارتباط الوثيق بالإسماعيلية³، حيث اعتبرت الرسالة الجامعة تاج الرسائل منسوبة إلى الإمام المستور الثاني⁴ أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، كونها جاءت جامعة لكل فن من فنون العلم لجملة أصيلة مشفوعة ببرهان الباهر.⁵

وصنف الجابري هذا الاهتمام الإسماعيلي بالفلسفة في إطار الصراع السياسي الدائر آنذاك بين الإسماعيليين كمعارضة وخصومهم العباسيين كسلطة، حول فرض السيطرة الثقافية على قطاع واسع من رعايا الدولة حيث بدأ هذا الفكر يتحول إلى قوة مادية، ثم إلى تنظيم سري محكم.⁶

ولقد وجدت هذه الرسائل رواجاً كبيراً بين قطاع واسع من المهتمين بالفلسفة الإسماعيلية، لما تحمله في طياتها من عقائد وأفكار إسماعيلية تعمل حسب الداعي إدريس القرشي: "على تبين المراد وإيضاح المعنى المرتاد".⁷

وكان ذلك زمن الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ / 813-833م) حيث فرقت في جميع الجهات وعمت سائر المدارس والاجتماعات⁸، ومن أهم المواضيع الفلسفية التي عالجها فلاسفة المذهب الإسماعيلي هي تلك التي تؤيد أفكارهم ومعتقداتهم، وتدحض حجج خصومهم وأهمها: كنه الله تعالى وكنه النفس وعلاقتها بالموضوع الرئيسي للإسماعيلية وهو الإمامة.⁹

¹ بوبة مجاني: دراسات إسماعيلية، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة 2002-2003م، ص9.

² هاشم عثمان: الإسماعيلية بين الحقائق والأباطيل، تقديم عارف تامر منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1998م، ص5.

³ فرهاد دفنري: الإسماعليون في العصر الوسيط، تاريخهم وأفكارهم، ترجمة سيف الدين قصير، منشورات دار المدى للثقافة والنشر، سوريا 1999م، ص13.

⁴ مما جاء من نصائح الإمام لأحد الدعاة: عرفهم بأداب الأنبياء وصفات الحكماء وأخلاق المؤمنين، وأتل عليهم هذه الرسائل من أولها إلى آخرها، رسالة رسالة، ومقالة مقالة، وبينها لهم بأوضح دلالة، الرسالة الجامعة، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1981م، ص53.

⁵ القرشي: زهر المعاني، ص212.

⁶ محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي (1)، الطبعة الرابعة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1989م، ص255.

⁷ زهر المعاني، ص214.

⁸ علي بن الوليد: دماغ الباطل وحتف المناضل، ج2، ص38، القرشي: عيون الأخبار، ج4، ص229.

⁹ أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الملقب بالإمام المستور الثاني: الرسالة الجامعة، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت 1981م، ص492.

ولم كانت النفس هي المعنية بالهجرة، ذهب اهتمام الإسماعيليين إلى التركيز على دراستها، ومحاولة معرفة أسرارها من أجل إخراجها من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى الفعل¹، فالمذهب لا يتيسر بقاءه و يقوى إلا بتعبئة مذهبية عقديّة، فبقدر حجية العقائد ومدى شحذها للهمم، وعلى قدر تغلغلها في النفوس يتمكن المذهب من التعاضم والصمود.² ولا يتم ذلك - حسب فلاسفة المذهب الإسماعيلي- إلا من خلال مرور النفس بمرحلتين مهمتين هما:

أ- مرحلة الانتقال من الضعف إلى القوة

ب- مرحلة الانتقال من القوة إلى الفعل

أ- مرحلة الانتقال من الضعف إلى القوة:

وهي مرحلة الإعداد النفسي للإنسان الذي ينشأ ضعيفا فيقوى بالتدرج حسب التربية التي يحاط بها والعلم الذي يتلقاه، وتأثير حوادث الزمان والمكان والأسوة والتجارب فيه وجعل هداية الدين له أمرا اختياريا لا وصفا اضطراريا، فهي معروضة فيه بقدر استعداده وفكره كما هو شأنه في الأخذ بسائر أنواع الهداية والاستعانة من منافع الكون، فهذه هي سنة الله تعالى في الإنسان.³

ويعتبر طريق التعليم من أهم المبادئ الإسماعيلية التي ترى وجوب أخذ العلم من الإمام لمعرفة الحق⁴ فالإمام له القدرة على التأويل الذي هو البحث في أسرار الدين فمما يقرب من جوهر العالم الروحاني- حسب الإسماعيلية- هو الاستعانة بالفلسفة في فهم القرآن فهما تأويليا أو فلسفيا.⁵

فالإمام هو الإنسان الكامل الذي يحوز على الفضائل والصفات الحسنة فكان لزاما الأخذ عنه والهجرة إليه حيث يوجد، والابتعاد عن الجبابة والظالمين، مصداقا لقوله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ".⁶

¹ السجستاني: كتاب الينابيع، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت 1965م، ص 102.

² ساعد خميسي: المنظومة العقدية الفلسفية لدى الإسماعيلية الفاطمية، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ص 29.

³ محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ، ج 3، ص 8

⁴ أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية، اعتنى به وراجعها محمد القطب، الشركة العصرية للطباعة والنشر، بيروت 2001م، ص 25.

⁵ بوبة مجاني: دراسات، ص 87.

⁶ سورة الأنعام: الآية 68.

والظالمون حسب التعريف الإسماعيلي هم المخالفون لسنتن الأنبياء الجالسين مجالسا لم يستحقوها بأعمال قدموها، ولا علوم اكتسبوها، إلا بالتناهي في علوم الضلال وسبيل الجهالة.¹

وتبعاً لذلك تتمثل هذه المرحلة في نشر الدعوة وإظهار العلوم وتبيين الحقائق من الإمام لأتباعه من أجل نقلهم من الضعف إلى القوة، مصداقاً لقوله تعالى: " وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ " .²

وتتلخص هذه العلوم في جعل المستجيب يقبل على الدعوة الإسماعيلية، فيدخل في مذهب الحكماء الإلهيين، وسلوك طريق العلماء الربانيين أصحاب بيت النبوة وشجرة الحكمة ومملكة الإمامة من آل البيت الطاهرين.³

وبذلك يسعى صاحب النفس إلى الانتقال من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة بمجانبة أهل الجهل والفساد، ومن خالف الأوامر والنواهي، ويسعى إلى الانتقال والهجرة حيث يوجد الإمام حتى "إذا مر ببعد الأقارب والمحبوبين في الله، وصلة الأبعد في الله امتثل"⁴، وهنا يكمن دور الداعي في دار الهجرة، حيث يعمل على نشر العلم وبسط العقيدة، وتنظيم المجتمع الشيعي مع التعدد في المراحل والتدرج في الخطوات.⁵

ب- مرحلة الانتقال من القوة إلى الفعل:

يعتبر باب القوة والفعل من صميم المعتقدات الإسماعيلية الفلسفية وتحتل المرتبة الثانية بعد حد الانتقال من الضعف إلى القوة، وتتمثل أهمية المرحلة الثانية في كونها مرحلة الظهور بعد الحصول على القوة النفسية والعسكرية، بعد سنوات التدريب والتعليم في دار الهجرة، ثم الظهور للعلن، فكل الأشياء تظهر بالفعل بعد وجودها بالقوة⁶، فبالقوة تكتمل الدعوة وتظهر آيات الإمام.⁷

وقد عبر الشاعر ابن هاني الأندلسي⁸ عن المرحلتين في قوله:

لنعم وكور الدين تدرج بينها *** فإننا رأينا دراج الطير يفرخ.¹

¹ الإمام المستور الثاني: المصدر السابق، ص313.

² سورة الشعراء: الآية 5-6

³ شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي: الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت 1978م، ص51.

⁴ الإمام المستور الثاني: المصدر السابق، ص539.

⁵ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص9.

⁶ السجستاني: كتاب الينابيع، ص88، أبو فراس: المصدر السابق، ص24.

⁷ جعفر بن منصور اليماني: النطقاء، ص263.

⁸ هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الألبيري، ولد سنة 320هـ/931م بالبيرة، وهو من كبار شعراء عصره، طرد من الأندلس لتبنيه الفكر الشيعي الإسماعيلي فتقرب من الفاطميين ومدح خلفائهم وقوادهم، للمزيد حول ترجمة ابن هاني الأندلسي أنظر، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة، بيروت 1968م، ج1، ص360.

والمعنى أن جنود أولياء الإمام وأبناء الدعوة الإسماعيلية، درجوا في وكور دولته وأعشاش دعوته لما كانوا ضعافا فتم وكور الدين دارجة بينها فنتج عنها هذه الجيوش القوية كالطيور.²

ثانيا: ماهية الدعوة الإسماعيلية ومراتبها.

1- ماهية الدعوة الإسماعيلية:

تعتبر الدعوة الإسماعيلية حركة دينية سياسية اجتماعية، تعمل على إقامة دولة باسم "المهدي" أو القائم من آل محمد، وكانت الدعوة الإسماعيلية تتمي عن سائر الدعوات الأخرى في العصر الوسيط بأنها منظمة تنظيما دقيقا، حيث كان الدعاة يدعون الناس لآرائهم ومعتقداتهم في جميع الأقطار المختلفة.³

و اعتمدت الدعوة الإسماعيلية على طريقة خاصة بها في تنظيم عناصرها، ساعدها على ذلك حسن اختيارهم من جهة، وعلى انتشارهم في جميع الأقطار من جهة أخرى، بالإضافة إلى ذلك كانت تنظيماتها الهرمية تستمد مقوماتها وترتيبها من دورة نظام الفلك.⁴

وعلى ذلك كان لا بد للباحث أن يتعرف على نظام الدعوة الإسماعيلية وماهيتها، لأنه بدون ذلك لا يمكن له التعرف على أفكارهم ومبادئهم المنبثقة من هذا النظام، وكذلك مراتب دعواتها ورجالها وأتباعها، ومكانتهم في المذهب الإسماعيلي ومنزلتهم عند الإسماعيليين.⁵

وحسب الاعتقاد الإسماعيلي، فإن الدعوة بدأت في العالم الروحاني، لما دعا العقل الأول⁶ جميع عالم الإبداع، على توحيد مبدعه⁷، وتسبيحه وتقديسه، وذلك لتمامه وكماله وعلوه وجلاله.⁸

¹ من بحر الطويل.

² علي زاهد: تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف، مصر 1963م، ص 204.

³ محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة 1950م، ص 23.

⁴ حسين بن علي بن محمد بن الوليد: المبدأ والميعاد في الفكر الإسماعيلي، تحقيق خالد مير محمود، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق 2007م، ص 31.

⁵ علي نوح: الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1994م، ص 61.

⁶ العقل الأول يماثل الناطق أو الرسول في العالم الجسماني عند الإسماعيلية، للمزيد أنظر، مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1965م، ص 17.

⁷ المبدع من المصطلحات الخاصة المستعملة للتعبير عن خلق الله المطلق من لا شيء.

⁸ الطاهر بن إبراهيم الحارثي: الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والميعاد، ضمن كتاب الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية و الإثنا عشرية، جمع وتقديم محمد حسن أعظمي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م، ص 101.

ثم وضعت الدعوة لذلك العالم ، فأجاب البعض بالتلبية والإنابة والتسبيح والتقديس والتمجيد له، لمن دعاهم إليه ودلهم عليه، لكونه قد صار غيباً لا يدرك لما احتجب به، وتفاصر الذين أجابوا فئة بعد فئة، وكانت سبع فئات.¹

أما في العالم الجسماني فكان بدأ الدعوة مع ظهور آدم الأول من مغارات سرانديب²، على اختلاف الأقوال من بين الثمانية والعشرين شخصاً علم بغير معلم ولا ملهم، فأقر به مثل العقل الأول، ثم أقبل على السبعة والعشرين الذين ظهروا معه، فدعاهم إلى الإقرار بمبدعهم والاعتراف له بالألوهية فأجابوه إلى ذلك، فأيدوه في دعوته وشهدوا له بما شهد به، فسموا حدوده أي المؤيدين لدعوته والمعينين عليها والمناصرين له، وهم أركان الدعوة³.

ثم وزع آدم أو الشخص الفاضل كما تسميه الإسماعيلية، على هؤلاء السبعة والعشرين أعمال الدعوة وفوض إليهم أمورها، ورتبهم على مراتب، ونصب لهم مناصب، ودعاهم إلى السير في الأرض لطلب دار هجرة.⁴

وحول كيفية تنظيم الدعوة في بداياتها الأولى، يقول الداعي طاهر بن إبراهيم الحارثي: "...واختار منهم ستة عشر شخصاً أقام أفضلهم بابا والثاني حجة وداعيين أحدهما داعي بلاغ والثاني داعي مطلق واثنان عشر جعلهم حجج الليل وتركهم بحضرته لا يفارقونه، وفرق أحد عشر شخصاً، وهم الباقون في جزائر الأرض الإحدى عشر؛ والثاني عشر هو الكائن معه في جزيرته، التي هو فيها، ورتبهم محفوظة في جميع جزائر الأرض إلى الآن، وإلى آخر الزمان وأمر كل واحد منهم بالدعوة له في جزيرته التي جعلها له، ويقال لهم حجج النهار الإثنا عشر فقامت له الدعوة كما أمر، في جميع جزائر أهل الأرض عما نهى وأزجر".⁵

ومن هنا بدأت الدعوة في العالم الجسماني، كما كان بدء الدعوة في العالم الروحاني من آدم عليه السلام، ثم أخذت هيئة الدعوة وعلى أساسها قام نظامها، فهذه المراتب حسب الإسماعيلية محفوظة لا تنقطع مع كل ناطق روحي في عصره وإمام في زمانه.⁶

ويذكر القاضي النعمان⁷، حدود الدعوة في العالم الجسماني حيث يقول: "والحدود السفلية هم الأسس والأئمة، والحجج النقباء وأصحاب الجزائر (جمع جزيرة)، والأجنحة وهم الدعاة

¹ الحارثي: المصدر السابق، ص102.

² هي جزيرة في بحر هوكندا، بأقصى بلاد الهند، طولها ثمانون فرسخاً في مثلها، وفيها الجبل الذي هبط فيه آدم عليه السلام. يقال له الرهون وهي: جزيرة سيلان بسيريلانكا حالياً، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1977م، ج3، ص215.

³ حسين بن علي بن الوليد: المصدر السابق، ص40.

⁴ جعفر بن منصور اليماني: المصدر السابق، ص28.

⁵ المصدر السابق، ص102.

⁶ حسين بن علي بن محمد بن الوليد: المصدر السابق، ص41.

⁷ أساس التأويل، ص ص70-71.

والسادس من الحدين هو القابل وصار إبليس عدو آدم وضده، وكل من والى الله تعالى من ناطق بامت وإمام وحجة وتولاهم وانتم بهم فهو من حزب آدم الذي هو من حزب الله تعالى، وكل من عادى أولياء الله وناصرهم وبعد عن أمرهم أو ادعى مقامهم فهو من حزب إبليس الذي استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله".

وكان القاضي النعمان أكثر تحديدا حيث فصل القول في موضع آخر من كتابه عن حدود الدعوة، ذلك في تأويله لقوله تعالى، "وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ"¹، حيث قل: قباطن المدينة حد حرم الباطن، ورهط الحرم تسعة أصناف، فكان بإزاء كل صنف منهم رهط من أضدادهم يفسدون حدود الدعوة.²

فأول صنف من رهط الحرم، النطقاء والثاني الأسس والثالث الأئمة والرابع الحجج والخامس النقباء والسادس الأيادي والسابع الأجنحة والثامن المأذونون والتاسع المستجيبون.³

¹ سورة النمل: الآية 48.

² القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 104-105.

³ نفسه.

2- مراتب الدعوة الإسماعيلية:

نظم الإسماعيليون دعواتهم تنظيمًا دقيقًا جدًا، بأن جعلوا لكل داعية عملاً خاصاً به لا يتعداه، كما قاموا بإصباح شيء من التقديس على هؤلاء الدعاة، بأن أطلقوا عليهم اسم "حدود الدين"، وكان ذلك من أهم عوامل نجاح الداعي في مهمته، لما كان للدين من أثر قوي في نفوس الجماهير.¹

وبفضل هذا التنظيم المحكم، انتشرت الدعوة الإسماعيلية في جميع الأقاليم، وبين كل طبقات المجتمع وقوي بذلك نفوذ الإسماعيلية في بعض البلاد، وقد بين القاضي النعمان عمل كل واحد من هؤلاء الدعاة، ومرتبته، فقال: إن الناطق يقوم بظاهر الشريعة، والحجة بباطنه...، إن علم الناطق قد قسم بين حجته وعامة أهل دعوته، فهو يفيد أهل الدعوة بظاهره، ويفيد حجته بباطنه، وحجته يفيد اللواحق، واللواحق يفيدون الأجنحة، والأجنحة يفيدون المؤمنين.²

هذا وقد ذكر الداعي الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرمانى³ (ت 408_411هـ / الحدود وأسماءهم وأعمالهم الموزعة عليهم ومراتبهم بأسلوبه الفلسفي بقوله: "وكانت مراتب الحدود المؤثرة في الأنفس ما يفيدها كمالها الذي فيه تمامها، وانتقالها إلى درجة العقول خروجاً إلى الفعل من حد القوة، وحصولاً في خير البقاء والأزل عن البركة الممنون بها عليهم في عالم الوضع، الذي هو مجمع السنن الإلهية العشر، ثلاث كلية وسبع تابعة وهي كالاتي:

المراتب الكلية هي: الرسالة والوصاية والإمامة

والمراتب التابعة هي: الباب والحجة وداعي البلاغ، وداعي المطلق والداعي المحصور والمأذون المطلق، والمأذون المحصور.

أ- المراتب الكلية

1- الناطق:

الناطق: جمع نطاء، ويطلق هذا المصطلح على الرسول صاحب الوحي والكتاب، والرئيس الأعلى للرسالة والدعوة⁴، كما يطلق هذا المصطلح عند الإسماعيلية على ستة رسل وهم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ومحمد عليه الصلاة والسلام⁵ والناطق السابع هو القائم

¹ محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص 134.

² القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 103.

³ راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

1983م، ص 252-253.

⁴ عارف تامر: بين الإسماعيلية الباطنية والصوفية، مجلة الباحث، العدد الثاني، سوريا 1994م، ص 115.

⁵ القاضي النعمان: تأويل الدعائم، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار المعارف، القاهرة 1972م، ج 1، ص 122.

ويسمى أيضا بقائم القيامة¹، ويشير السجستاني إلى معنى هذا الاسم عند الإسماعيلية، فيقول: "والرسول يسمى ناطقا لوقوع اسم الناطقية عليه، وذلك إضافة إلى قوته وغلبته ونصرته، إلى النطق إلى شيء من أسباب الجسد وهيئاته، مثل الشجاعة والجود والعشرة، وإن قدرته على تسخير الأمة، وغلبته على الحق إنما هو من أجل نطقه، وصفوة نفسه، إذ ليس من آثار النفوس أظهر من النطق، فمن أجل ذلك، قيل له ناطقا، أي قاهر لأمته بالنطق².
تعتبر حدود النطقاء أرفع من حدود الأئمة المتمين، وبين كل ناطقين، أئمة سبعة يتمون أمر الناطق الأول، حيث يتصل أمر الله بهم إلى الناطق الثاني، فالنطقاء مراتبهم وأسماءهم ثابتة لا تدور، إلى أن تنتهي إلى سابع النطقاء³.

2- الوصي:

تعتبر مرتبة الوصاية عند الإسماعيلية أسمى من مرتبة الإمامة، وهي دون مرتبة النبوة، ويقولون أن لكل نبي ناطق وصي يوكل إليه أمر المؤمنين وتأويل الشريعة، وأن الله تعالى هو الذي يوحى إلى نبيه بإعلان من اختاره الله وصيا وخليفة له⁴.
فكان وصي آدم ابنه هابيل، ووصي نوح ابنه سام، ووصي إبراهيم ابنه إسماعيل، وكان وصي موسى أخاه هارون، ووصي عيسى بن مريم حواريه شمعون الصفا، وكان علي بن أبي طالب وصي محمد عليه الصلاة والسلام⁵.
ويشير السجستاني إلى علة تنصيب الوصي للنبي أو الناطق، فيقول: "إن سبب ذلك حتى لا ينقطع التأييد الإلهي فتكون الهيبة بعده قائمة، والرعب في قلوب المنافقين قاذفا، لنلا يجسروا على إظهار نفاقهم، فيكون من ذلك ذهاب الملة وبطلان الإسلام"⁶.
للوصي أسماء أخرى يعرف بها، ومنها اسم الأساس، ومعناه أساس المؤمنين لبناء آخرتهم، ويقال له أساس الأئمة أساس دور الكشف¹، كما يسمى الوصي أيضا أرضا لما كان علم التأويل

¹ حسب النظرية الإسماعيلية، القائم هو متم النطقاء، فإذا ظهر ظهرت الآيات، وتكشفت المستورات، وفطر المؤمنون من صيامهم، وأن القائم هو نهاية الكل من الرسل، وهو يجمع بين النواميس المختلفة، بالكشف عن حقائقها، فتصبح كأنها شريعة واحدة، وأمها أمة واحدة، للمزيد أنظر، السجستاني: إثبات النبوات، ص 166-167، وأيضا كتاب الينابيع، تحقيق مصطفى غالب، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت 1965م، ص 158.

² السجستاني: تحفة المستجيبين، تحقيق عارف تامر، نشر ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية،

دار الأفق الجديدة، بيروت 1983م، ص 151-152.

³ يقول السجستاني، أن الدور على نوعين، دور كبير، ودور صغير، فالدور الكبير يبتدئ من آدم عليه السلام، إلى القائم، أما الدور الصغير، فهو بين كل ناطق ناطق، ويتخلل الدور، سبعة أئمة مستقرين إلا في الفترات التي تحدث لعل وأسباب، للمزيد حول الدور عند الإسماعيلية، أنظر: إثبات النبوات، ص 181-182.

⁴ القاضي النعمان: شرح الأخبار، مج 1، ج 1، ص 126.

⁵ جعفر بن منصور اليماني: كتاب الكشف، ص 32-33.

⁶ السجستاني: كتاب الإفتخار، حققه وقدم له إسماعيل قربان بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م، ص 153.

منه ، إذ من جهته ، وبقوته نبئت العلوم الحقيقية في أنفس المرئدين ، وعلى تأويله استقرت

الأنفس.²

3- الإمام:

تعتبر الإمامة أصل من أصول الإسلام، وقطب الدين وأساسه لدى الإسماعيلية، وهي دعامة من دعائمه³، فالإمام كالشمس في نظام الفلك قائما بالمقابلة من عالم الدين والدعوة الإسماعيلية.⁴

فحسب المذهب الإسماعيلي الإمامة فرض من الله سبحانه وتعالى، أكمل به الدين فلا يتم الدين به، ولا يصح إلا بالإيمان بالله ورسوله، والإيمان بالإمام، وبدل على ذلك - فرض الإمامة - إجماع الأمة على أن الشريعة والدين لا يقومان إلا بإمام.⁵

ويروي القاضي النعمان روايات كثيرة ينسبها للأئمة: "أن الإسلام بني على سبعة دعائم: الولاية وهي أفضلها، وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد".⁶

ونظرا لأهميتها-الدعائم- لا تقبل سائر العبادات إلا بالإقرار بها، وبالولاية لأصحابها الأئمة الطاهرين، سفن النجاة، وماء ينابيع الحكمة، والذين بولايتهم تقبل الطهارات والصلاة والزكاة وسائر الأعمال الصالحات المفروضات منها والمسنونات،⁷ لذلك تعد الإمامة عند علماء المذهب الإسماعيلي أعظم منة من الله تعالى على عباده.⁸

وتبعاً لذلك كان الإمام في المذهب الإسماعيلي مفروض الطاعة من الأتباع، فقد قال المعز لدين الله الفاطمي: "إن الله قد فضلنا وشرفنا واختصنا واصطفانا واجتباننا، وافترض طاعتنا على جميع خلقه، وجعلنا أئمة لجميع عباده، وأسبابهم لديه، ووسائلهم لديه، والوسائط بينهم وبينه، وكفى بهذا فضلا وشرفا".⁹

¹ القاضي النعمان: أساس التأويل، ص51.

² تنقسم العلوم عند الإسماعيلية إلى: علم الظاهر وعلم الباطن، ويقع الفقه وظاهر علم الشريعة والأخلاق والسير وغيره تحت علم الظاهر، وعلم الباطن يحتوي علم التأويل وعلم الحقائق، وهذا الأخير يتكون من الكوزمولوجيا والنظام الفكري، للمزيد أنظر: السجستاني: كتاب الإفتخار، تعليقات المحقق، ص366

³ النيسابوري: إثبات الإمامة، ص27.

⁴ علي بن الوليد: رسالة الإيضاح والتبيين، ضمن أربع كتب إسماعيلية، عني بتصحيحها ر. شتروطمان، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2006م ص165.

⁵ علي بن الوليد: تاج العقائد، ص65-67.

⁶ القاضي النعمان: دعائم الإسلام، ج1، ص2.

أيضا: تأويل الدعائم، ج1، ص51، كذلك: شرح الأخبار، مج1، ج3، ص252.

⁷ البهروجي: كتاب الأزهار ومجمع الأنوار، ضمن منتخبات إسماعيلية، ص185.

⁸ علي بن الوليد: تحفة المرتاد وغصة الأضداد، ضمن أربع كتب إسماعيلية، ص172.

⁹ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص420، الهمة في آداب أتباع الأئمة، ص50-51.

والإمامة عند الإسماعيلية إمامتان, إحداهما أفضل وأوسع من الأخرى, وهاتان الإمامتان هما:
إمامة استيداع, وإمامة استقرار.

3- أ- إمامة الاستيداع:

وتتعلق بالإمام الذي يتسلم الإمامة في ظروف استثنائية أمنية كانت أو مرضية, وبتفويض
مرحلي ومؤقت للسلطة, وإن كان يمارس في الظاهر كل مهمات الإمامة ويطلقون عليه "نائب
غيبية" وهو رئيس الدعوة في الدعوة الإسماعيلية.¹

وإمام الاستيداع لا يحق له توريث الإمامة لأحد من أولاده, إلى أن يحين موعد ظهور الإمام
الشرعي صاحب الحق الذي يمارس كل السلطات.²

3- ب- إمامة الاستقرار:

إمامة الاستقرار فتشير إلى الإمام الذي يتمتع بامتيازات الإمامة كلها فله الحق في توريث
الإمامة لأحد أولاده, وصاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده, ولدا نسبا طبيعيا يجمع النسب
والسبب معا, ويخلف أباه بعد انتقاله في أسن المراتب.³

ب- المراتب التابعة:

1- الباب

وهي من أرفع مراتب الدعوة الإسماعيلية, وتلي مرتبة الإمام الدينية مباشرة, وهي مرتبة
سرية للغاية, وعادة تمنح هذه الرتبة لولي العهد, وله مهمة فصل الخطاب, يمد ويستمد الفوائد
من الإمام بالذات, وحده من حدود الصفة واللباب.⁴

2- الحجة

وهي مرتبة تختص بصاحب التأويل في عصر الإمام, ومرتبته عند الإمام, كرتبة الوصي
عند الناطق, معنى اسم الحجة, أن الإمام لا يمكن له أن يقيم حجته على أهل زمانه من نفسه,
وذلك لطول الأرض وعرضها, فنصب في كل إقليم حجة ليندعو الخلق إلى دين الله تعالى,

¹ محمد علي زهرة: دولة القلاع, قراءة في المذهب الإسماعيلي وأحلام المدينة الفاضلة, دراسة وتحليل,
نينوى للدراسات والنشر والتوزيع, دمشق 2004م ص90.

² القاضي النعمان: المجالس والمسائرات, ص410, وحسب الاعتقاد الإسماعيلي فقد بدأت إمامة الاستيداع
منذ عهد علي بن أبي طالب, فالحسن حجب عن الحسين كإمام وهو أول استيداع وعلي زين العابدين بن
الحسين حجب عن عمه بن الحنفية, البهروزي: المصدر السابق, ص232.

³ برنارد لويس: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية, راجعه وقدم له خليل أحمد خليل, الطبعة الثالثة, دار
الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت 1993م, صص 125-126.

⁴ جعفر بن منصور اليماني: كتاب الكشف, ص24, الكرمانلي أحمد بن حميد الدين راحة العقل, تحقيق
مصطفى غالب, الطبعة الثانية, دار الأندلس للطباعة والنشر, بيروت 1983م, ص254.

وبذلك تكون حجته على خلقه قائمة، وللعلاقة القائمة بين الإمام والحجة، تمت تسميتهما

الفرعان.¹

3- داعي البلاغ

وهي رتبة التبليغ والاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية ومراتبها، وتعريف المعاد لإظهار معالم الدعوة ونشرها، والرد على كافة الفرق ودمغها بالباطل، وتعتبر هذه المرتبة من المراتب السرية أيضاً، ويبدو انه صلة وصل بين القيادة المركزية وقيادة الجزيرة.²

4- الداعي المطلق

وهو المسؤول الرئيسي عن الدعوة، ويتصرف بصلاحيات مطلقة في غياب حجة المنطقة وداعي البلاغ، مهمته نشر التأويل وتعريف الحدود.³

5- الداعي المحدود

ويتمثل دوره في تعليم مراسيم العبادة العلمية، وتعريف الحدود السفلية، وأدوارها للصغار والكبار.⁴

6- المأذون المطلق

وهو المنصب في نواحي صقعه، وأطلق له أن يجري الدعوة فيمن أحب من صقعه وهو مخول بأخذ العهد والميثاق، وبشرح شؤون تنظيمات الدعوة المتنوعة للملقين.⁵

7- المأذون المحدود (المكاسر)

وهو الذي يجذب الأنفس المستجيبة بالمكاسرة هذه الأخيرة التي تعني حرفياً من يقوم بمهمة الإقناع، ويتمتع بسلطة محدودة فقط، كما أنه المسؤول عن جذب المستجيبين،⁶ حيث يعمل على تشكيك الناس في عقيدتهم، وما يؤثر عندهم من الحيرة والتبدل، والتوقف عند مقاصدهم التي كانوا فيها جادين.⁷

¹ السجستاني: تحفة المستجيبين، ص 153، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 94.

² علي بن الوليد: جلاء العقول وزبدة المحصول، نشره عادل العوا، ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1958م، ص 114.

³ الكرمانى: المصدر السابق، ص 252، فرهاد دفتري: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، الإسماعيلية الفاطمية والمستعلية، ترجمة سيف الدين القصير، دار البنايغ، دمشق 1995م، ج 2، ص 110.

⁴ الكرمانى: المصدر السابق، ص 252، للمزيد حول معرفة العبادة العلمية أقسامها أنظر: الكرمانى: الرسالة الوضوية في معالم الدين وأصوله، دراسة وتحقيق محمد عيسى الحريري، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت 1987م، ص 133-204.

⁵ السجستاني: المصدر السابق، ص 154، دفتري: المرجع السابق، ج 2، ص 110-111.

⁶ المستجيب هو من استجاب لدعوة الحق، وانقاد لمعرفة التوحيد والحدود العلوية والسفلية، ومعرفة متشابهات التنزيل والشريعة، للمزيد أنظر، جعفر بن منصور اليمى: كتاب الكشف، ص 128، السجستاني: المصدر السابق، ص 151-154، القاضي النعمان: تأويل الدعائم، ج 1، ص 102.

⁷ علي بن الوليد: المصدر السابق، ص 116، أنظر أيضاً، الذخيرة في الحقيقة، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت 1971م، ص 75.

لا بد لنا من الإشارة إلى أن هناك بعض الاختلافات الشكلية في أسماء ورتب بعض الدعاة، قد يجدها الباحث في بعض المصادر الإسماعيلية، ومرد ذلك حسب أحد الباحثين الإسماعيليين¹ لعدم تعمق المؤلف ووقوفه عند التمييز بين كل داع وآخر.

هذا وقد ذكر جعفر بن منصور اليماني وهو أحد بناء المذهب وداعي دعائه، أسماء أخرى كما قدم على الباب منصبيين آخرين، مع العلم أن الباب هو أفضل الحدود وهو حد العصمة، ولا ينتهي إلى ذلك إلا الأحاد والأفراد وجاءت حدود الدعوة عنده كالاتي: "الإمام، الحجة، اليد، الباب، الداعي، المؤمن"².

أما الداعي إبراهيم بن الحسن الحامدي، فقد ذكر في كتابه الهام "كنز الولد"³ نقلاً عن أبي يعقوب السجستاني، الترتيب الآتي "الرسول ثم الإمام، الحجة، اللاحق، المجتهد، المستبصر، المستجيب"، وفي موضع آخر من الكتاب يذكر ترتيب مختلف لحدود الدعوة "الرسول ثم الإمام، ثم الباب، ثم الحجة، ثم الداعي، ثم الداعي المطلق، ثم المكاسر، ثم المؤمن، وأن الباب هو أقربهم إلى الإمام"⁴.

في حين نجد أن الداعي الإسماعيلي حاتم بن عمران بن زهرة ذكر من الحدود السفلية: "الناطق والأساس، الحجة، والداعي، وملحق، وداعي مأذون، وصامت، ومستوجب، ومحرم، ومستجيب، ومستفيد"⁵.

وقد اعتمدت مخطط الكرمانلي لهرم الدعوة الذي يبدأ بالباب، وينتهي عند المكاسر، وهو الأكثر دقة، لما قام به من جمع لأفكار سابقه المختلفة و تنسيقها.⁶

3- جغرافية الدعوة الإسماعيلية:

علماء المذهب الإسماعيلي، أن الأرض لله تعالى يورثها لمن يشاء من عباده الصالحين، كما أخبر في كتابه العزيز حيث يقول: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"⁷.

والإمام حسب الاعتقاد الإسماعيلي، هو الوارث الشرعي للأرض، وذلك عن أمر الله تعالى، يحكم فيها بموجب حكمه⁸ فالله تعالى لا تخلو أرضه من حجة على عباده، ومفزع وملاذ لخلقه،

¹ مصطفى غالب: المرجع السابق، ص34.

² كتاب الكشف، ص100.

³ تحقيق مصطفى غالب، دار صادر، بيروت 1971م، ص251.

⁴ نفسه، ص240.

⁵ رسالة الأصول والأحكام، نشر عارف تامر، ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف، سلمية

1956م، ص101.

⁶ دفتري: المرجع السابق، ج2، ص111، أنظر الملحق رقم01.

⁷ سورة الأنبياء: الآية 105.

⁸ القاضي النعمان: الدعائم، ج1، ص375، علي بن الوليد: دماغ الباطل وحنت المناضل، ج2، ص30.

وباب لرحمته، ودليل عليه لبريته¹، وينطلق هذا المفهوم الشامل من النظام الفكري للإسماعيلية، الذي تكون من نظرة دورية للتاريخ الديني للبشرية، بالإضافة إلى أنه اشتمل على عقيدة كونية (كوزمولوجية)².

ويمكن أن نتبين ذلك من تفسير الداعي إدريس القرشي لقوله تعالى: "... شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ...."³، حيث يؤول هذه الآية حسب التفكير الإسماعيلي السابق الذكر إذ يقول: "أن الزيتون هي الحق الذي تمثله الإسماعيلية وشجرة الله، ومعنى لا شرقية ولا غربية، أن هذه الدعوة ليست بالمشرق فقط فيخلو منها المغرب ولا أنها بالمغرب فقط فيخلو منها المشرق، فالمشرق هو الناص والمغرب هو المنصوص عليه في آخر دقيقة، وهذا هو المعنى المتحد لما غرب عنه، وبما شرق فيه"⁴.

وعليه يمكن القول أن الأرض بشرقها وغربها حسب التأويل الإسماعيلي، هي كلها للإمام، ولأوليائه وأتباعه من المؤمنين، يعمل على نشر دعاته فيها وبسط دعوته⁵.

وقد نظمت الدعوة الإسماعيلية تنظيماً دقيقاً، حيث قسم الإمام دعاته إلى أقسام عديدة، كل قسم حسب مقرته وضمن اختصاصه، واتخذ هذا التنظيم شكلاً هندسياً هرمياً، وكان بتنظيماته وفروعه مشابهاً لتقسيمات السنة على فصول وأشهر وأيام وساعات⁶.

وتبعاً لذلك قسم الإسماعيليون العالم إلى اثني عشر جزءاً وسموا كل جزء بجزيرة، وجعل الإمام الإسماعيلي على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً، وهو المسؤول الأول عن الدعوة فيها، ويطلق عليه داعي دعاة الجزيرة، أو حجة الجزيرة، أو صاحب الجزيرة⁷.

وقد جاء تقسيم الجزء على مختلف الأجناس والأعراف الموجودة، وذلك حتى تبلغها الدعوة الإسماعيلية، هذه الأجناس هي: جزيرة العرب، جزيرة الهند، جزيرة السند، جزيرة الزنج، جزيرة الحبش، جزيرة الصين، جزيرة الديلم، وجزيرة البربر⁸.

وحتى تعم الدعوة الإسماعيلية جميع أرجاء الجزيرة، جعل الإمام مع صاحب الجزيرة ثلاثون داعياً نقيب، كأيام الشهر الثلاثين، لمساعدته في نشر الدعوة، وهم قوته التي يستعين بها في مقارعة الخصوم، ومعرفة أسرار العامة والخاصة⁹.

¹ القاضي النعمان: الهمة في آداب إتباع الأئمة، ص46، علي بن الوليد: تاج العقائد ومعادن الفوائد، ص70.

² فرهاد دفتري: الإسماعليون في العصر الوسيط، ص13.

³ سورة النور: الآية 35.

⁴ زهر المعاني، ص230.

⁵ السجستاني: الإفتخار، ص175.

⁶ مصطفى غالب: المرجع السابق، ص29.

⁷ القاضي النعمان: أساس التأويل، ص46، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص133.

⁸ القاضي النعمان: تأويل الدعائم، ج3، ص48-49.

⁹ مصطفى غالب: المرجع السابق، ص29.

فهم بمثابة وزرائه ومستشاريه في كل ما يتعلق بجزيرته، ولما كان اليوم مقسما إلى أربع وعشرين ساعة، اثني عشر ساعة بالليل، واثني عشر ساعة بالنهار، لذا جعل الإمام الإسماعيلي لكل داع نقيب، أربعة وعشرون داعيا¹، تتوفر فيهم شروط العلم والتقوى والسياسة²، منهم اثني عشر داعيا ظاهرا ظهور الشمس بالنهار، واثني عشر داعيا مستترا استتار الشمس بالليل، وبعملية حسابية نجد أن عدد الدعاة الذين بثهم الإمام في العالم المكون من اثني عشرة جزيرة حوالي 8640 داعيا في وقت واحد.³

ولعل هذا العدد الضخم من الدعاة الموزعين على أقطار العالم حتى تصل الكلمة إلى من لم تكن له القدرة على الوصول إلى مقر الإمامة والاستماع منها، وذلك لاختلاف اللغات التي هي في العالم⁴، كان كافيا ليحول الدعوة الإسماعيلية إلى حركة سياسية تسعى إلى بناء دولة يحكمها إمام من آل البيت.

ثالثا: المذهب الإسماعيلي والواقع المغربي.

1- الدعوة الإسماعيلية بالمغرب:

بدأت الدعوة الإسماعيلية تأخذ طريقها إلى المغرب في وقت مبكر، ولكن ذلك على يد التجار والدعاة⁵، زمن الخليفة العباسي المأمون (198-218 هـ/813-833 م)، ثم بدأت في الذبوع والانتشار زمن الخليفة العباسي المعتصم (218-227 هـ/833-842 م).⁶

وقد بدأ هؤلاء الدعاة يروجون لأفكارهم ومبادئهم، مستغلين في ذلك ما آلت إليه الدولة العباسية من ضعف وتدهور في المشرق، حيث لجأوا إلى الأطراف والنواحي⁷، وتفرقوا في البلاد شرقا وغربا يظهرن التعسف، والزهد، والتصوف وكثرة الصلاة والصيام.⁸

¹ محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 133-134.

² علي نوح: الخطاب الإسماعيلي، ص 62.

³ محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص 134، مصطفى غالب، المرجع السابق، ص 29.

⁴ نظرا لأهمية عمل الدعاة في نشر الدعوة والإنابة عن الإمام، أفرد الداعي علي بن الوليد لهذه المسألة مبحث بعنوان: "في أن للإمامة رجال ينوبون عنها في أقطار العالم" للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: تاج العقائد ومعدن الفوائد، ص 117.

⁵ محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296 هـ / 800-909 م، نقله إلى العربية

المنجي الصيادي وحمادي الساحلي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م، ص 644.

⁶ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة 1988م، ص 249.

⁷ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطاء، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م، ج 15، ص 141.

⁸ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد أحمد، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة 1983م، ج 28، ص 71.

وبدأت أنظار الإسماعيلية تتجه إلى بلاد المغرب, وذلك لبعدها عن مركز الخلافة العباسية من جهة, وبسبب ما كانت تعانيه بلاد المغرب من إهمال وفوضى في الإدارة والحكم من جهة ثانية.¹

وبعد العمل الدؤوب للتنظيم الإسماعيلي من التنظير لأفكاره ومن العمل على أرض الواقع تحولت الدعوة الإسماعيلية إلى حركة سياسية عام(259هـ/873م), حسب ما رآه أحد الباحثين الإسماعيليين المحدثين², ثم إلى دعوة سياسية عامة تأخذ طريقها لتحريك العقول من جمودها الضيق وخروجها من عزلتها وانكماشها, إلى أفكار ذات أهداف ثورية.³ ومما ساعد على نشاط الدعوة الإسماعيلية, وتزايدها غيبة الإمام عند أتباع المذهب الإثنى عشرية, وكان ذلك عام, 260هـ/873-874م, وتحول البعض منهم إلى الإسماعيلية التي أعلنت أنها تمثل الشيعة, وتسعى لتحقيق الحلم الشيعي بالوصول إلى السلطة التي يقرها إمام ظاهر من آل البيت.⁵

وبعد منتصف القرن الثالث الهجري, عرفت الدعوة الإسماعيلية تحولا ونجاحا كبيرا, وذلك بعد إسناد قيادتها إلى أحد كبار رجال التنظيم, وهو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي, المسمى بمنصور اليمن, وذلك سنة 266هـ/879-880م.⁶ وقد أكد الإمام الإسماعيلي, علي ابن حوشب بالذهاب إلى اليمن, والنزول في عدن لاعة⁷, ليس في مكان آخر, حتى يكوّن مدرسة لإعداد الدعاة وإرسالهم إلى مختلف الجزر, ومن بينها جزيرة المغرب, حيث قال له: " إلى عدن لاعة فاقصد, وعليها فاعتمد, فمنها يظهر أمرنا, وفيها تعز دولتنا, ومنها تفرق دعائنا ".⁸

¹ الطالب: المرجع السابق, ص672.

² محمد حسن الأعظمي: عبقرية الفاطميين, أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت, بلا تاريخ, ص11.

³ فرهاد دفتري: الإسماعليون في العصر الوسيط, ص144.

⁴ النوبختي: المصدر السابق, 106, البغدادي: المصدر السابق, ص64, للمزيد حول ظروف نشأة واختفاء الإمام الثاني عشر, أنظر هنري كوربان: الإمام الثاني عشر, ص51 وما بعدها.

⁵ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية1999م, ج2, ص511.

⁶ سيف الدين قصير: ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن, دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق1994م, ص55.

⁷ لاعة, مدينة في جبل صبر, من أعمال صنعاء, وإلى جانبها قرية صغيرة لطيفة يقال لها عدن لاعة, وهي أول موضع ظهرت فيه الدعوة الإسماعيلية العلوية باليمن, للمزيد أنظر, الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: صفة جزيرة العرب, تحقيق محمد علي الأكوغ الحوالي, مكتبة الإرشاد, صنعاء1990م, ص124, الحموي: المصدر السابق, ج4, ص89.

⁸ القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة, تحقيق وداد القاضي, دار الثقافة, بيروت1970م, ص41, القرشي: عيون الأخبار, ج4, ص402.

ولم تنقض سنتان على هذا اللقاء، حتى كان ابن حوشب قد وصل إلى درجة رفيعة في الدعوة، وأصبح مهياً للذهاب إلى اليمن ليترأس أمور الدعوة هناك، وليؤسس أول دولة إسماعيلية في ذلك البلد.¹

وبحكم الموقع المتطرف والبعيد لليمن عن مركز الخلافة الإسلامية، جعل من هذه الدولة، محلية ذات صبغة إقليمية فقط، في حين كان التنظيم الإسماعيلي يطمح لإقامة دولة إسماعيلية ذات قوة سياسية، عسكرية، تتمكن من الثأر للعلويين من العباسيين، وتعيد إلى سلالة علي بن أبي طالب حقهم في الخلافة.²

ومثل هذه السياسة البعيدة الأهداف، الواسعة الأفاق، كان لا بد لإنجاحها من أن تنبثق من مكان وسط ليس بالبعيد عن العباسيين، وليس بالقرب منهم، ولكن في محاذاتهم، يقيم فيه الإمام لإسماعيلي دولته، فيدرك المشرق بإحدى يديه، ويدرك المغرب والأندلس باليد الأخرى، لذلك كان من أهداف التنظيم الإسماعيلي بناء دولة قوية تقوم من خلالها بمحاربة الدولة العباسية، والقضاء عليها والحلول مكانها.³

في حين اتخذ التنظيم من اليمن مكان أو مدرسة لإعداد الدعاة وإرسالهم إلى الجزر، ومن ضمن هذه الجزر: بلاد البربر والتي أرسل إليها ابن حوشب داعيين وهما: أبو سفيان والحلواني، وحدد لكل منهما المنطقة التي ينشطان بها.⁴

فنزّل أحدها وكان يعرف بأبي سفيان، بموضع يقال له: تالا⁵ فابتنى مسجداً، وتزوج امرأة، واشترى عبداً وأمة، وكان له من الفضل والزهد ما اشتهر به بين سكان المنطقة، وأصحاب القوافل الذين يَمرون بمسجده، ويستمعون إلى أحاديثه في ذكر فضائل آل البيت.⁶

وقد أدى هذا النشاط الدعوي إلى انتشار الدعوة الشيعية نحو الإربس⁷ شمالاً وامتدت حتى مدينة نفطة¹ جنوباً فأصبح جميع أهلها شيعة²، وكان أبو سفيان على اتصال دائم ومستمر بمركز

¹ سيف الدين قصير: المرجع السابق، ص 41.

² سعيد عبد الفتاح عاشور: عوامل نجاح الدعوة المبكرة للدولة الفاطمية، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهديّة من 04-07 أوت 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م، ص 67-68.

³ محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، الدولة والمدينة والاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1999م، ص 69.

⁴ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 54، القرشي: المصدر السابق، ج 4، ص 324.

⁵ تالا: وتكتب أيضاً تالة، وهي مدينة قديمة بتونس لا تزال قائمة إلى اليوم، وتقع على بعد 45 ميلاً إلى الجنوب من الكاف، وعلى بعد 17 ميلاً إلى الشرق في الحدود الجزائرية، في حين يقول الإدريسي: أنها حصن خراب قرب منطقة قسنطينة، أبو عبد الله محمد الشريف السبتي الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق مجموعة من الباحثين والمستشرقين، تحت إشراف المعهد الجامعي للدراسات الشرقية بنابولي (i.u.o.n) 1970-1984، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، بلا تاريخ، ج 1، ص 268.

⁶ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 54-55، القرشي: المصدر السابق، ج 4، ص 324.

⁷ مدينة قديمة تقع بالجهة الغربية من القطر التونسي، وكانت تسمى Iares أو Iarbus وكانت مسورة منذ

التنظيم الإسماعيلي في كل من اليمن وسلمية بواسطة التقارير التي كان يرسلها عن طريق الحمام الزاجل، حتى أصابه المرض الذي توفي إثره سنة (265هـ/878م).³

أما الداعية الثاني فكان يعرف بالحلواني⁴، وأنه تقدم حتى وصل إلى سوجمار⁵ فنزل بموضع يقال له الناظور⁶، فبنى مسجداً، وتزوج امرأة، واشترى عبداً وأمة وقام بالدعوة لآل البيت، ويبدو أن مساعي الداعيين أبا سفيان والحلواني قد كللت بالنجاح، حيث اشتهر أمرهما في المنطقة، وأقبلت إليها القبائل من كل جهة، وتشيع الكثير منهم وكان من أبرزهم قبيلة كتامة.⁷

بناء على ما سبق، يمكن لنا أن نستنتج مرونة الدعوة الإسماعيلية، وسرية تخطيطها، ودقة تنظيمها، وحسن اختيارها للأمكنة والمواقع الصالحة للدعوة، والبعيدة عن السلطتين العباسية لأغلبية، بالإضافة إلى إتباعها لأسلوب التدرج في نشر الدعوة، مع مراعاة الظرف السياسي، والعامل الجغرافي للمغرب.

فهل كان للعامل السياسي والجغرافي دور في نجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب؟.

544م، وتعتبر بوابة إفريقيا، وتحتل موقعا استراتيجيا هاما لوجودها في ملتقى الطرق بين القيروان الحصنة وبين تونس وبلاد الزاب، وللمزيد أنظر: اليعقوبي كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن 1860م، ص 138، أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار الحياة، بيروت بلا تاريخ، ص 86-87، أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد بلا تاريخ، ص 46.

¹ كانت تسمى قديما nepte، وهي إحدى أربع مدن ببلاد قسطنطينية إلى جانب (توزر- تقيوس والحامة) تقع في طرف الصحراء الشمالي على الحدود المؤدية إلى بلاد السودان على بعد حوالي 20 ميلا إلى الشرق من الحدود الجزائرية، ونظرا لتشيع الكثير من أهلها أطلق عليها اسم الكوفة الصغرى، للمزيد أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 88، البكري: المصدر السابق، ص 48، الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 278.

² القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 55.

³ مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، ص 243.

⁴ لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي توفرت لدي.

⁵ أصاب التحريف لهذا الاسم في المصادر كثيرا، فقد جاء عند ابن الأثير سوق حمار، في حين جاء في حاشية الاتعاظ للمقرزي بسوق حماد، ولم أجد موقعها في أي من المصادر الجغرافية التي توفرت لدي، للمزيد أنظر، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن الأثير الشيباني: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م، ج 6، ص 450، تقي الدين المقرزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1996م، ج 1، ص 41.

⁶ ذكر الإدريسي حصن الناظور وجعله في طريق بجاية - القلعة جنوب وادي بجاية على مرحلتين من قرية تاروت العامرة، المصدر السابق، ج 1، ص 262.

⁷ قبيلة كبيرة من بربر البرانس، ينتسبون إلى كتم بن برنس بن بر، ومن أهم مدنها بلزمة وباغاية وتيجس قسنطينة وميلة وجيجل وسطيف وغيرها من المدن، حول الموضوع راجع، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 93، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة 1982م، ص 500.

2- الواقع السياسي للمغرب:

كانت أحوال المغرب خير مساعد للدعوة الإسماعيلية، ذلك أن هذا الجزء من العالم الإسلامي كان يعاني من انقسام شديد، حتى النصف الأخير من القرن الثالث الهجري، حيث ازداد ضعف دولة الأغالبة التي كانت مهيمنة على جزء كبير منه، نتيجة لسياسة أمرائها¹ ونخص بالذكر عهود الأمراء الثلاثة الأواخر، وهم على التوالي: إبراهيم بن أحمد (261-289 هـ / 875-901 م)، وابنه أبو العباس عبد الله الثاني (289-290 هـ / 902-903 م)، وعهد زيادة الله الثالث (290-296 هـ / 903-909 م).²

وبالرغم مما اتبعه إبراهيم بن أحمد من سياسة رشيدة في السنوات الست الأولى من حكمه وما تخللها من إنجازات، فلم يلبث أن تخلى عنها بعد إصابته بلوثة جعلته يبالغ في سفك الدماء³، حيث ذكر ابن عذارى، أنه قتل إخوته الثمانية، وبناته الستة عشر، فضلا عن الكثير من الغلمان والجواري⁴ وامتد شره إلى الرعية فاشتط في فرض المغارم على الناس فتألبوا عليه، وأكثروا من الفتن والثورات.⁵

وفي سنة (268 هـ / 881-882 م) فتك أحمد بن إبراهيم بأهل الزاب⁶، واعمل فيهم السيف دون أن يفرق بين صغير وكبير، وحملهم جميعا على حفر أعدها لهم، فالقوا فيها⁷، وفي سنة (275 هـ / 888-889 م) حدثت ثورة الدراهم، والتي بدأت عندما أقدم الأمير الأغلبي على إحداث إصلاح مالي تمثل في تغيير العملة المتداولة بين الناس بعملة أخرى مما أدى على معارضة التجار الذين لم يجدوا بدا من غلق حوانيتهم احتجاجا على هذا الإجراء، كما ثار أهل القيروان تأييدا لهم، ولم تهدأ هذه الثورة إلا بعد توسط الفقهاء.⁸

¹ سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 67.

² ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتحقيق، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة 1988 م، ص 61.

³ محمود إسماعيل: الأغالبة (184-296 هـ) سياستهم الخارجية، الطبعة الثالثة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2000 م، ص 187.

⁴ أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و أ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1983 م، ج 1، ص 178.

⁵ نفسه، ص ص 178-179.

⁶ ناحية واسعة بالجزائر حاليا، تقع على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد، وعلى نحو 90 كلم، من الشرق إلى الغرب، وعلى حوالي 50-60 كلم من الشمال إلى الجنوب، ويحدها من الشمال هضاب الأطلس الصحراوي، وشط الحضنة، ومن الجنوب الصحراء، ومن مدنها بسكرة، وطنبة، والمسيلة ومقرة، للمزيد أنظر، اليعقوبي: البلدان، ص 141، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985 م، ص 171، الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص ص 123-124.

⁷ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 312، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 119.

⁸ ابن عذارى: المصدر نفسه، ج 1، ص 121.

أما في سنة (280هـ/893-894م) فقد نكل أحمد بن إبراهيم بعرب من بني مالك، المنتمين إلى بطن من بطون تميم، المستقرين بحصن بلزمة¹، فاغتال ألفا من رجالهم وفرسانهم غدرا². وفي نفس العام خرج أهل تونس والجزيرة والإربس، وقموة أي كامل الشمال والوسط الغربي للإمارة بسبب ظلم الأمير الأغلبي، وسوء سياسته في الرعية وتعيده على ممتلكاتهم ونهب أموالهم، وبلغ من شدة الثورة أنه لم يبق من نفوذ الأمير الأغلبي إلا على منطقة الساحل وطرابلس³، على الرغم من كثرة الثورات وتزامنها، وعدم التنسيق فيما بينها، إلا أنها أنهكت الإمارة الأغلبية، كما فقدت العامة الثقة في أميرها، وجهازها العسكري والإداري، لتبحث عن بديل آخر، فاغتنم الفاطميون التذمر لاستمالة العامة والإطاحة بالإمارة⁴. ويبدو أن ما أصاب عرب بلزمة من الأمير الأغلبي قد ساعد على انحلال عصبية الأغلبية من الجهة القريبة من إمارتهم⁵، والتي تبدأ من البحر غرب جبل كتامة، أي القبائل الصغرى، وينحدر إلى الجنوب مرورا بغرب سطيف، ووصولاً إلى أدنه⁶، والتي تبعد بمرحلتين من طنبنة⁷.

3- المغرب الأوسط وإشكالية المجال:

المغرب بالفتح ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كبيرة، ووعناء شاسعة وهذه التسمية محدثة لم عرف إلا في القرن الأول الهجري، أطلقها عليه الفاتحون من المسلمين لأنه يعتبر الجهة الغربية بالنسبة للمراكز التي توجهت منها الجيوش لفتح البلاد.

¹ هو حصن لمزاةة أولي في بساط من الأرض، يحدها شمالاً مرتفعات بلزمة، ومن الشرق جبل مسطاوة، أما من الناحية الجنوبية فيحاذيها وادي بريكة، والذي يمتد من طنبنة وشط الحضنة، وتتجلى أهمية الموقع في استمرار مناعته وتوظيف أسراره في الصراعات التي ميزت المنطقة خلال الفترة الإسلامية، للمزيد أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص 67، البكري: المصدر السابق، ص 50، محمد البشير شنياتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (اللييس الموريتاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999م، ج 2، ص 426.

² القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 88-89، ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 123.

³ ابن عذارى: المصدر نفسه، ج 1، ص 164.

⁴ دلال لواتي: عامة القيروان في العصر الأغلبي (184- 296 هـ / 800 - 908 م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف بوبية مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة 2001-2002م، ص 356.

⁵ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، حققه حسين نصار وراجع عبد العزيز الاهواني، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983م، ج 24، ص 131.

⁶ اليعقوبي: المصدر السابق، ص 141.

⁷ مدينة قديمة كانت تسمى tubunas، وكانت هذه المدينة التي يتصحف اسمها أحيانا إلى طنبنة من أكبر بلاد الزاب في الجزائر والتي اندثرت الآن، وتقع خرائبها على بعد ثلاثة أميال جنوبي بريكة وشرقي شط الحضنة، بين وادي بريكة في الشمال ووادي بيطام في الجنوب، وقد عدها سحنون بن سعيد آخر حدود دولة الأغلبية من الجهة الغربية، اليعقوبي: المصدر السابق، ص 140، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85، أحمد ابن نصر الداودي المالكي: كتاب الأموال، تحقيق محمد حسن الشلبي، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان 2001م، ص 120.

ولقد بدأت ملامح المغرب الإسلامي في الظهور مع انتهاء معارك الفتوحات الإسلامية، وبداية مرحلة جديدة من التفاعل مع الأحداث التي كانت جارية في المشرق، والتي صاحبت مثالك سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، ومحاولة أطراف المركز الانفصال والاستقلال، بالإضافة إلى التطورات المحلية التي كانت تجري ببلاد المغرب، حتمت على البعض الولاة التفكير في الاستقلال عن المشرق سياسيا.¹

ظهرت النزعة الاستقلالية لولاة المغرب أثناء فترة عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع (127-138هـ/745-755م)، الذي استولى على ولاية إفريقية، ورغم التطورات العديدة التي هدنت استقراره إلا أنه شق عصا الطاعة في وجه أبي جعفر المنصور (95-158هـ/714-755م).²

وكان ذلك إيذانا ببداية مرحلة جديدة لتشكيل المغرب الإسلامي على المستوى السياسي، والتي مرت على العديد من المراحل والفترات، كثيرا ما كانت الحروب والنزاعات ميزتها الرئيسية، في حين بقي على المستوى الجغرافي له معنى تطوري حركي، مرتبط في كل فترة من فتراته بين القاعدة والمحيط³، فهل تحديد المجال مرتبط بالمعنى الجغرافي فقط؟

ولا بد أن نلتفت إلى أمر هام وأساسي في هذه التحولات المصيرية، والتي تتمثل أساسا في الأدوار التي كانت تقوم بها المدن في تحديد معالم المغرب الإسلامي، ورسم حدود الإمارات المنشأة، وحتى الدول التي على ضوئها حدد الجغرافيون مجال بلاد المغرب، التي كثيرا ما لجأت إلى حاميات لها بالمدن، لتعطي صورة عن سيادتها على هذه المناطق. فتكوّن لهذه المدن مجالا لممارسة هذه السيادة، وفي نفس الوقت مكانا لإعلان الولاء لدولة معينة.⁴

ولكون مجال المغرب الأوسط يستوقفنا أكثر من المجالات الأخرى⁵، بحكم كونه الإطار الطبيعي لموضوع الدراسة، وأن مصطلح المغرب الأوسط، وعلى ضوء ما هو منشور من

¹ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بلا تاريخ، ص 2-3.
² وكان عبد الرحمن قد كتب لأبي جعفر: "أن إفريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انقطع السبي منها، فلا تسألني ما ليس قبلي"، الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994م، ص 77، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 4، ص 501، ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 61.
³ عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000م، ج 1، ص 33.
⁴ الطاهر الطويل: التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، إشراف محمد فرقاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2008/2007م، ص 3.
⁵ ونعني بها مجال المغرب الأدنى، ويشمل المسافة من غرب الإسكندرية إلى الشرق من مدينة بجاية في الغرب ومجال المغرب الأقصى، والذي يبتدئ من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، للمزيد

المصادر التي أتت لنا الإطلاع عليها، بغض النظر عن التطور الدلالي للمصطلح، فلم يكن متداولاً تماماً، بل المستعمل هو المغرب المجرد من أي قيد، حيث يراد به مجالاً أوسع من مجال المغرب الأوسط.

وقد أوجد هذا الإشكال صعوبة في وضع خريطة للبربر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، خصوصاً المغرب الأوسط الذي كان يفصل مملكة الأغالبة عن مملكة الأدارسة¹ تبعاً لذلك، فقد وجد الجغرافيون صعوبة في ضبط مجال المغرب الأوسط وتحديدته، وأنهم لم يستطيعوا ذلك بسبب فترة التكوين التي كان يمر بها، ومرحلة الشد والجذب بين قوى مختلفة، جعلت من حدوده ومجاله غير مستقر لسنوات عديدة، ويعود هذا إلى عاملين مهمين أساسيين هما: العامل السياسي والعامل القبلي.

أ- العامل السياسي:

كان للعامل السياسي تأثيراً كبيراً في تحديد المجال الجغرافي للمغرب الأوسط في القرون الأولى التي تلت الفتح الإسلامي للمغرب، الذي كان في أغلبه مرتبطاً بأقصى ما كانت تسيطر عليه السلطة السياسية، وتبسط سيادتها عليه، ويتضح ذلك من خلال المستعملين الأوائل لمصطلح المغرب الأوسط.

فالبيكري مثلاً يقول في سياق وصفه لمدينة تلمسان²، بأنها "قاعدة المغرب الأوسط"³، حيث نفهم من إحياء نص البيكري أن منطقة المغرب الأوسط في إطار جغرافي جد محدود، وإن لم يتعرض إلى وصف امتداداته، وذكر تخومه، وحدوده بدقة.

أما الإدريسي فنتضح معالم المغرب الأوسط لديه بإخضاع تقسيمه إلى مركزية المدن، التي كانت السلطة السياسية بالنسبة لإفريقية والمغرب الأقصى، حيث يقول عن المغرب الأوسط، أن

أنظر، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي جمال الدين محمود أبو الفدا: تقويم البلدان، عني بتصحيحه وطبعه رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس 1840م، ص 122، محمد جمال الدين عبد الله: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب، وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مع عناية خاصة بالجيش دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1991م، ص 12.

¹ جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف، الإسكندرية 1991م، ص 185.

² هي مدينتان في واحدة، متجاورتان ومسورتان، وبينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها المرابطون، وسموها تاقررت، أما القديمة فسميت بأقادير، وكانت تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ودار مملكة زناتة، البيكري: المصدر السابق، ص 76-78، الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 44، أيضاً، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت 1957م، ص 135-136.

³ المصدر السابق، ص 76.

مدينة بجاية¹ في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط²، أما مجاله فيحدده بمدينة تلمسان التي يصفها بقفل بلاد المغرب.³

في حين ذكر صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار⁴ أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، أما عند تطرقه لمجاله من جهة الشرق فيشير إلى أنه يبدأ من واد مجمع وهو في نصف الطريق من مليانة⁵ إلى تلمسان في الطول، وفي العرض من المدن الساحلية إلى أول الصحراء.

ب- العامل القبلي:

يعتبر مجتمع المغرب الأوسط، مجتمعا قريبا تتداخله أعراق مختلفة وتحكمه مصالح متباينة، وتمثل القبيلة الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها كيان المجتمع⁶، في منطقة جغرافية معينة، تسعى السلطة المركزية لإخضاعها بواسطة التحالفات أو فرض الضرائب، والمغرم عليها، التي عادة ما تكون مرتبطة بالموقع والحالة الاقتصادية والأمنية التي تفرضها درجات مختلفة من الخضوع مع السلطة.⁷

وتبعاً لذلك يكون المجال الجغرافي للقبيلة تابعاً للسلطة المركزية، ومن خلاله يتم تحديد حدود ومجال تلك الدولة، وفي ذلك يشير اليعقوبي إلى أن أدنه هي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب من آخر عمل بني الأغلب.⁸

وإلى الغرب نجد بلاد كتامة، والتي كانت شبه مستقلة عن السلطة المركزية إلا بما تدفعه لحامية المتمركزة بمدينة بلزمة، حيث كان الكتاميون يدفعون العشور والصدقات للجند

¹ مدينة ومرسى، والمدينة من تأسيس بني حماد في موقع استراتيجي هام، وكان القصد من بنائها تعويض القلعة التي أسسها الناصر بن علناس، سنة 457هـ/1065م، ولذلك سميت بالناصرية، البكري: المصدر السابق، ص 82، الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 59، مجهول: الاستبصار، ص 128-131، الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 339، الحميري: المصدر السابق، ص 80-81.

² الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 260.

³ نفسه.

⁴ المصدر السابق، ص 176.

⁵ هي مدينة قديمة من بناء الرومان، والتي أسموها ب ماكانانة (بالكاف المعقودة)، وحررها العرب إلى مليانة حسب قول الوزان، تقع على سفح جبل زكار الغربي على ارتفاع 720 متر عن سطح البحر، تفصلها عن تنس مرحلتان وعن تاهرت ثلاث مراحل، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 90، البكري: المصدر السابق، ص 61-63، الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 253-257، الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص 196، الحميري: المصدر السابق، ص 547، الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر، الطبعة الثانية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م، ج 2، ص 34، مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، منشورات الجمعية للتأليف والنشر والترجمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط 1989م، ج 2، ص 359.

⁶ محمد عابد الجابري: العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، الطبعة الخامسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1992م، ص 165.

⁷ بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ص 114.

⁸ اليعقوبي: المصدر السابق، ص 141.

المتركزين بالمدينة¹، ويبدو أن النكبة التي أصابت رجال بلزمة من قبل أمراء الأغلبية²، قد جعلت من الكتاميين يشعرون باستقلالية أكثر بمجالهم الجغرافي على السلطة المركزية في القيروان.

ونشير في الأخير، أنه من الصعوبة الفصل في مسألة مجال المغرب الأوسط، خاصة في القرون الثلاثة الأولى التي تلت مرحلة الفتح الإسلامي، كون المجال في أغلبه مرتبطاً بأقصى ما كانت تسيطر عليه السلطة السياسية، أو صور الولاء القبلي لهذه السلطات، وعليه فتحديد مجال معين ليس ذو معنى جغرافي فقط، بل هو ذو معنى جغرافي وسياسي وعسكري في نفس الآن.³

ويبدو أن إشكالية مجال المغرب الأوسط قد كان من أهم العوامل التي شددت انتباه التنظيم الإسماعيلي لنشر الدعوة الإسماعيلية، حيث وجدوا فيه ما ينشدونه من مميزات وخصائص، تحقق لهم أهدافهم السياسية والمذهبية، ومن هذا المنطلق نفهم سر طلب ابن حوشب من الداعيين الحلواني وأبو سفيان، الابتعاد عن المدن والمنابر، وأن يتجاوزا إفريقيا إلى حدود البربر⁴، وذلك لما تمثله هذه الحدود من نقطة هشة في البناء السياسي للمغرب، لذلك أخذ دعاة الإسماعيلية يعملون فيها.⁵

¹ النويري: المصدر السابق، ج24، ص131.

² القاضي النعمان: المصدر السابق، ص88.

³ محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، علائق وتفاعل، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء 1997م، ص42.

⁴ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص54.

⁵ سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص71.

الفصل الثالث:

العمران في مرحلة الدعوة الإسماعيلية

أولاً: كتامة القبيلة والعمران.

ثانياً: دار الهجرة تازروت، دراسة تاريخية.

ثالثاً: دار الهجرة إيكجان، دراسة من خلال المواصفات والبقايا.

أولاً: كتامة القبيلة والعمران.

1- العمران الخلدوني:

العمران ضد الخلاء، وهو من العمارة والتعمير¹ والعمران ليس شرطاً ولا نتيجة² بل حالة من أحوال المجتمع الإنساني الذي يحيى وفقاً لقوانين العمران الصحيحة، التي تعالج وضع كل موطن حل فيه الإنسان، وأخذ يستقر ويعمل من أجل البقاء فيه.³

غير أن هذا العمران ليس على درجة واحدة من حيث القلة والكثرة، والتخلخل والكثافة في جميع مناطق الأرض، فما السبب في ذلك؟ وما هي العوامل المؤثرة في اختلاف العمران، سواء نها ما يرجع إلى الفروق الفردية بين الناس في أخلاقهم وطباعهم وعاداتهم وسلوكهم الاجتماعي؟ أو ما يرجع إلى اختلاف نمط الحياة وأسلوب العيش لدى الجماعات البشرية المنتشرة في القسم المعمور من الأرض؟

مد ابن خلدون بالعمران الاجتماع الإنساني الذي به يتم "التساكن والتنازل في مصر أو حلة للإنس بالعشير، واقتضاء الحاجات لما في طباعهم (البشر) من التعاون على المعاش"⁴. وتنقسم الأسباب الموجبة للاجتماع عند ابن خلدون إلى قسمين: التعاون من أجل تحصيل الغذاء، و التعاون من أجل حفظ البقاء.

1- التعاون من أجل تحصيل الغذاء.

شدد ابن خلدون على حاجة البشر إلى الغذاء، إذ تحتم عليه الاجتماع، وركز على قدرة الفرد القاصرة على تلبية حاجته الأساسية، مما يدل وبشكل قاطع على حاجة الإنسان من الناحية الأساسية إلى الغذاء والملبس وغيرها من الضروريات.

2- التعاون من أجل حفظ البقاء.

البقاء الإنساني يكون ضد نوعين من العدوان في رأي ابن خلدون، النوع الأول عدوان الحيوانات وأما النوع الثاني فعدوان البشر فيما بينهم، لوجود هذه النزعة بشكل طبيعي فيهم حيث قال: "كذلك يحتاج كل واحد منهم في أيضا الدفاع عن نفسه، إلى الاستعانة بأبناء جنسه،

¹ ويقال: مكان عمير أي عامر، والعمارة أيضا بمعنى القبيلة والعشيرة، للمزيد أنظر الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، ص757.

² سفيتلانا باتسييفا: العمران البشري في مقدمة ابن خلدون، ترجمة عن اللغة الروسية رضوان إبراهيم، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس1978م، ص188.

³ سعيد محمد رعد: العمران في مقدمة ابن خلدون، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق1985م، ص400.

⁴ ابن خلدون: المقدمة، ص54.

لأن الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها, جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الإنسان...¹

كما يشير ابن خلدون إلى تأثير العوامل البيئية والجغرافية على التشكيل العمراني, حيث يرجع ذلك إلى الاختلاف الكائن بين الأقاليم² من حيث نسبة الحرارة والبرودة في المناخ, والتي تؤثر على الكائن الحي الذي هو منشأ من الرطوبة كتكوين أساسي.³

وقد اعتبر ابن خلدون أن الأقاليم الشمالية منقطع فيها التكوين لشدة برودتها, وكذلك الأقاليم الجنوبية لشدة حرارتها, واستنتج أن أكمل الأقاليم عمراناً هو الإقليم الرابع لتمتعه بالمناخ المعتدل, وتدرج هذه الأقاليم من خط الاستواء إلى القطب الشمالي, وتدرج معها الكثافة

السكانية, والتشكل العمراني نحو الأقاليم المعتدلة.⁴

أيضاً ركز ابن خلدون على الاختلاف الحاصل ضمن الإقليم الواحد, وذلك نتيجة العوامل الطبيعية من حيث الخصب والجذب, وقسم الجماعات البشرية إلى أربعة أقسام, يختلف فيها التشكيل العمراني من حيث الكثرة والقلّة, والكثافة والتخلخل والازدهار والانحطاط.⁵

أ- سكان البادية⁶: وهم الذين يعيشون من الإبل خاصة, ويضطرون إلى التنقل معها طلباً للماء والكأ, وتنصف حياتهم بالقسوة.

ب- سكان المناطق الخصبة من السهول والتلال والجبال: وهم الذين يعيشون على نتاج الحيوانات, مثل البقر ومن نتاج الأرض كالحبوب والخضار والفاكهة, وهؤلاء لا يعدون أكثر من صنف آخر من البدو بحسب رأيه, حيث مكنت الظروف هؤلاء السكان من الحصول على مستوى معيشة أفضل, وهم في شوق دائم للتمدن وهذا

غير محقق لهم بسهولة.⁷

¹ ابن خلدون: المقدمة, ص 54-55.

² الإقليم كلمة عربية من القلم الذي هو القطع, و المقلوم من الأرض المقطوع منها, فالإقليم هو الجزء من الأرض وقيل الجهة أو الناحية, ومنهم من ردها إلى الأصل اليوناني (klima), وقد قسم الجغرافيون الأرض إلى سبعة أقاليم ذات حدود وهمية بين المشرق والمغرب, وتقع كلها شمال خط الاستواء, وكل إقليم طوله من المشرق إلى المغرب, وعرضه من الجنوب إلى الشمال, وهي مختلفة الطول والعرض, للمزيد من التفاصيل حول الإقليم ومفهومه يراجع المقدسي: المصدر السابق, ص 33-35, الحموي:

المصدر السابق, ج 1, ص 25.

³ محمد عابد الجابري: العصبية والدولة, ص 144.

⁴ ابن خلدون: المصدر السابق, ص 63.

⁵ نفسه, ص 63-66.

⁶ يطلق اسم البادية على ما نسميه الأرياف, بالإضافة إلى الصحاري, وعليه فالمعنى من ذلك أهل الصحراء وما يجاورها, وأهل الأرياف المزروعة, غير أنه يغلب أن تطلق البادية على الصحراء وما يجاورها مباشرة من الأرض المزروعة من المطر خاصة, الجابري: المرجع السابق, ص 146.

⁷ ابن خلدون: المصدر السابق, ص 111.

ج- فاقدو الجاه من سكان المدن: وهم أولئك الذين اتسعت أموال معيشتهم بعض الشيء
روا في المدن والقرى، يعيشون من الزراعة في بساتينهم، أو مما يشتغلون به من
الصناعات بالمدن، ورأى أن حالتهم المادية ليست أحسن بكثير من الفئة الثانية،
واختلفهم عن الفئة الثانية راجع إلى الجاه والنفوذ.

د- الحضارة المفسدة للعمران: وهم في قمة التقسيم نتيجة رفاهية العيش والترف الذي
يعيشونه، وينظر ابن خلدون لهم على أنهم فئة مفسدة للعمران¹، حيث تشكل أساس
حضارة الاستهلاك بغير حساب ودون إنتاج².

ومما سبق نرى وبشكل واضح تداخل الأسباب البيولوجية والبيئية والجغرافية في تصنيف ابن
خلدون، وخصوصا التصنيفات ضمن الإقليم الواحد، وهذا التداخل منطقي في الظاهر غير أنه
من المؤكد يفتقد لعناصر مهمة في تقسيم المجتمعات في تلك الفترة، فهل نستطيع القول بوحداية
التشكل العمراني للمجتمعات المختلفة؟

بالطبع لا، فهناك مثال واضح وهو أن مجتمع الصحراء الذي يفتقد إلى بعض العناصر مثل
الزراعة والفلاحة مع أنه اكتسب صفة التجمعات الشبيهة بالمدن
في مكة والمدينة، وكان السبب الرئيسي في تبلور تجمعها السكاني، وتشكلها العمراني هو
الدين³.

وبيان ذلك أن الرسالة قد جعلت من الدين مشروعا تاريخيا أداته الفعل السياسي بكل شروطه
لتحقيق القيم في التاريخ الفعلي بأدوات الفعل التاريخي المادية والرمزية، وليس مجرد دعوة
عزلاء، لأن الأرض صارت عمارتها وإرثها من علامات صلاح وإرثها⁴.

أ نرى بما لا يصعب ملاحظته أن ابن خلدون قد اهتم بالظروف الطبيعية والبيئية لتشكيل
الجماعات البشرية، وما ينجم عن هذا التجمع من عمران وهي ظروف وأسباب يلتقي عندها
عامة الناس، ولذلك كانت المدن عند ابن خلدون توضع للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى
اجتماع الأيدي وكثرة التعاون⁵.

¹ نفسه.

² الجابري: المرجع السابق، ص158.

³ محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد128، الكويت1988م، ص99، عبد الجبار ناجي: دراسات في تاريخ
المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت2001م، ص13-14.

⁴ أبو يعرب المرزوقي: فلسفة التاريخ الخلدونية، دور علم العمران في عمل التاريخ وعلمه، الدار المتوسطة
للنشر، تونس2007م، ص173.

⁵ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص 426-427.

والجدير بالذكر أن ابن خلدون لم يتطرق إلى ذكر قبيلة كتامة في كتابه العبر إلا بالشيء القليل، فضلا عن ذكر منشأتها العمرانية في مرحلة الدعوة الإسماعيلية. فهل ارتبط العمران ببلاد كتامة في مرحلة الدعوة الإسماعيلية بالظروف الطبيعية والبيئية التي أشار إليها ابن خلدون فقط؟ أم بالظروف المذهبية والسياسية؟ وهل لدار الهجرة خصائص ومرافق عمرانية ترقى لأن تكون مدينة أو قرية أم لا؟.

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

2- الإطار الجغرافي لقبيلة كتامة:

تعتبر قبيلة كتامة من أشهر القبائل البربرية، التي نزلت بلاد المغرب منذ العهد القديم، حيث ورد في إحدى النقوش التي ترجع إلى العصر البيزنطي¹، على تمرکز مجموعات منها بالقرب من جيجل²، أي في بيئة كتامة الأصلية وبين حواضرها³.

تميز بيئة كتامة بالحصانة الطبيعية والمناعة، وقد امتدت من مرسى الخرز شمالاً⁴، إلى ما وراء تدلس⁵ بأرض زاووة، وفيما بين هذين الموقعين نجد موانئ ومدن⁶، أما جنوباً فنجدها تبدأ من جبل أعالي الناس، من سلسلة جبال أوراس، ثم جبال الحضنة بحدودها الشرقية، أما من جهة الشرق فالحد يبدأ من قرب القالة، ويمر عبر جبال النمامشة في اتجاه الجنوب⁷، وبالناحية الغربية يبدأ الحد من تدلس، ثم ينزل بمحاذاة جبل التيطري حيث مضارب صنهاجة، وبداخل هذا العمق توجد قرى زاووة الجبلية ومراكز ومدن كتامة المنتشرة هنا وهناك⁸.

وتحتضن بيئة كتامة كتلة جبلية شمال قسنطينة وبابور، كما توجد تجاورها جبال جرجرة، وقد كانت إيكجان إحدى أهم حصونها، وذلك لعلاقتها بنشأة فكرة التشيع بالقبيلة من جهة، وكونها مركزاً تحصن فيه الداعي لأول مرة من جهة أخرى⁹.

وتشمل حدود كتامة على مراكز عزلة، وأماكن نائية يستعصى عن يرومها وتفرض سيادتها الكاملة عن يسكنون حولها¹⁰، ويبدو أن طبيعة أرض كتامة الجبلية والوعرة قد فرضت عليها عزلة، ومنعتها من الاحتكاك بأهل المدن، كما طبعت بالحدة والشدة والمحافظة على التقاليد

¹ Gautier (E.F): le passé de l'Afrique du nord; les siècles obscurs, Paris Payot 1942 p.339.

² هي مدينة ومرسى فينيقية الأصل، ظلت تابعة لقرطاجة حتى ألحقها الرومان بموريطانيا السطيفية، وفي غضون القرون الهجرية الأولى كانت من مدن قبيلة كتامة، تقع على بعد 70 كلم غربي مدينة بجاية، و50 كلم، شرق مدينة القل، يحيط بمرساها غابات كثيفة ويطل عليها جبل كتامة المسمى بجبل زلوي، للمزيد انظر، ابن حوقل: المصدر السابق، ص76، البكري: المصدر السابق، ص82، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، صص268-269، مجهول: الاستبصار، ص128، الحموي: المصدر السابق، ج2، صص184-185.

³ موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1979م، ص95.

⁴ الخرز مرسى على بعد 80 كلم، إلى الشرق من مدينة عنابة، اشتهرت بصيد المرجان، للمزيد أنظر، ابن حوقل: المصدر السابق، ص76، البكري: المصدر السابق، ص55.

⁵ تدلس، تعرف حالياً بدلس، تبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 70 ميلاً، وأربعة أميال من نهر سبواو أهم أنهار بلاد القبائل، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص159، الحميري: المصدر السابق، ص132، الوزان:

المصدر السابق، ج2، ص42.

⁶ وهي القالة وعنابة و سكيكدة و جيجل و بجاية و دلس.

⁷ لقبال: المرجع السابق، ص98.

⁸ وهي سوق أهراس و سطيف و ميلة و قسنطينة

⁹ Cambuzat (Paul luis); L'evolution des Cites du Tell en ifrikya du VIIe au XIe Siècle Office de publication universitaire, Alger, 1873, T2. p.110.

¹⁰ لقبال: المرجع السابق، صص98-99.

الموروثة، فكانت تحيي حياة ريفية تعتمد على الزراعة والرعي والحرب¹، وبسبب هذه العزلة ظلت كتامة مهمشة بالنسبة إلى مجال قلب إفريقيًا ذاته.²

ولهذه الأسباب وغيرها، ركز التنظيم الإسماعيلي نشاطه في المناطق الريفية الأقل تحضرا والبعيدة عن المراكز الإدارية الحيوية - كما أسلفنا- ولهذا اختيرت منطقة كتامة الجبلية الوعرة لتكون مجالا لبذر المبادئ الشيعية الداعية إلى إمامة إسماعيلية.³

بالإضافة إلى محاولة التنظيم الإسماعيلي الاستفادة من عصبية قبيلة كتامة، ذات البطون المتعددة والطاعة في مواطن مختلفة من المغرب، فقد أشار ابن خلدون أن بطون قبيلة كتامة، " قد تشعبوا في المغرب وأنبتوا في نواحيها "⁴.

فمن هي قبيلة كتامة؟ وما هي أهم بطونها، ومواطنها في المغرب الأوسط؟
يجمع النسابة على انتماء قبيلة كتامة إلى فرع البرانس.⁵

وهي من أوفر القبائل عددا وأشدهم بأسا، وأقراهم شكيمة، وأعظمهم استقرارا وتمرسا على أسباب الحضارة.⁶

واتسم هذا الفرع من البربر بالوفرة العددية وسعة الانتشار في كامل بلاد المغرب، حتى زعم البعض أنهم يمثلون ثلثا البربر، وقد ساعدتهم تنوع بينتهم وخصوبتها، على ممارسة الزراعة وتربية المواشي.⁷

وينحدر بطون كتامة من فرعين أساسيين هما: غرس بن كتام و يسودة بن كتام⁸، وفي إطار بني يناوة بن غرس بن كتام، تندرج فروع وعشائر، أهمها: جيملة ومسالة ولهيصة وبني سكتان.

أبني ينطاس بن غرس بن كتام: فتندرج منها، أجانة وغشمان و أوفاس⁹، ويلاحظ أن قبيلة جيملة وفرعها بني سكتان الطاعنين في قلب بلاد كتامة وبالتحديد قرب جيجل¹⁰ على

¹ بوبة مجاني: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296- 362 هـ/ 909- 973 م) رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف محمود إسماعيل، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة 1415 هـ/ 1995م، ص302.

² هشام جعيط: تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن الميلادي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2004م، ص157.

³ فرهاد دفترى:الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ج2، صص 147-148.

⁴ ابن خلدون: العبر، ج6، ص148.

⁵ ابن حزم: الجمهرة، ص495، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص148.

⁶ ابن خلدون: المصدر نفسه.

⁷ ابن خلدون: المقدمة، ص214.

⁸ هو كتام بن برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، أنظر: مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب 2005م، ص143.

⁹ ابن خلدون: العبر، ج6، ص148.

¹⁰ لقبال: المرجع السابق، ص106.

البحر، وتتوغل في الداخل ربما إلى سطيف لعبت دورا حاسما في الدعوة الإسماعيلية منذ وفود الحجيج الكتاميين إلى مكة، إذ كان بينهم رجال من هذه القبيلة، ومن بني سكتان¹ من حصاد ما سبق، يمكن القول أن التنظيم الإسماعيلي قد اختار جزيرة البربر وبالذات ارض كتامة دون غيرها من الجزر لما تتوافر عليه من مقومات تساعد على نجاح الدعوة الإسماعيلية وتحولها إلى دولة.

ويبدو أن التنظيم الإسماعيلي قد قام باختيار كتامة القبيلة والأرض بعد تقارير مسبقة، ودراسة ميدانية عن إستراتيجية المكان، وقوة عصبية قبيلة كتامة للبداية الفعلية للدعوة الإسماعيلية في المغرب، ويمكن أن نوجز أهمية كتامة القبيلة والأرض بالنسبة للدعوة الإسماعيلية في الآتي:

- حصانة بلاد كتامة التي يغلب عليها الطابع الجبلي إذ تضم أراضيها أعظم الكتل الجبلية بالمغرب الأوسط، كما تحتضن مضارب كتامة جبال أوراس في الجنوب الشرقي، وجبال الحضنة في الجنوب، وجبال زاوارة في الغرب.²

- بعد كتامة الأرض عن مركز السلطة الأغلبية كما حدده القاضي النعمان³ بعشرة أيام فرض على كتامة العيش في عزلة و فراغ سياسي.

- امتياز كتامة القبيلة بعصبية قوية كان من بين أهم المرتكزات التي جعلت من التنظيم الإسماعيلي يعول عليها، لما صح عنده أنه ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا، ولا أشد شوكة، ولا أصعب مراسا على السلطان من كتامة.⁴

- مقدرة قبيلة كتامة على الدفاع وحماية دعاة المذهب الإسماعيلي، وذلك لما تتوافر عليه من خيل وسلاح⁵، وهو ما تتطلبه المهمة التي كلف بها الداعي بتنفيذها وهي الانتقال بالعمل الدعوي إلى العمل العسكري ومقاومة الخصوم، حيث يستطيع الداعي من خلال كتامة القبيلة والأرض القدرة على التحرك والتخطيط.⁶

- عدم تبني كتامة للأفكار الخارجية، وعدم مشاركتها في أي تمرد عسكري ضد الخلافة الإسلامية وعمالها بالقيروان، من الفتح الإسلامي، حتى أواخر القرن 3هـ/9م، مما سهل من مهمة الدعاة الإسماعيليين في بث أفكارهم الشيعية ومعتقداتهم الدينية.⁷

¹ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 63.

² ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص148، لقبال: المرجع السابق، ص ص98-99.

³ افتتاح الدعوة، ص64.

⁴ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص125.

⁵ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 66.

⁶ مجاني: دراسات إسماعيلية، ص ص80-81.

⁷ القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1984م، ج5، ص25، جعيط: المرجع السابق، ص157.

3- العمران الإسماعيلي ومقوماته:

تعد الدعوة الدينية شرطا مكملا للعصبية للوصول إلى السلطة وهي الوسيلة الوحيدة التي تمكن البدو من التسييس حسب تعبير علي أومليل¹, على أنها تحتاج ضرورة إلى عصبية تدافع عنها وتظهرها فالبداءة تعتبر البداية الضرورية للعمران والدولة, وعند الوصول إلى السلطة تظل هذه العصبية مساعدة على قوة الدولة بعد قيامها.²

ولما استيقن التنظيم الإسماعيلي أن كتامة القبيلة والأرض هي الموطن الصالح لنشر الدعوة الإسماعيلية, عمل على محاولة الاستفادة من طبيعة المجتمع القبلي المعتمد على العصبية, وما توافرت عليه من أرض جماعية مستعدين للدفاع عنها ضد مهاجميها³, مع ما تملكه القبيلة من نيل وسلاح, لأن هدف التنظيم لم يكن إلا للحصول على النصر السياسية والعسكرية من قبيلة كتامة.⁴

وهكذا جمع التنظيم الإسماعيلي بين قوة ومنعة قبائل كتامة, ومن أرضها كانت بداية العمل الإنشائي للتكوينات المعمارية الجديدة, والتي بدون شك كانت ذات صبغة سياسية واجتماعية ومذهبية, حيث أضفى على المكان طابع من القداسة, لما ذكر لهم الداعي أبو عبد الله الشيعي أن كتامة القبيلة والأرض هي بمثابة مأوى ونصرة للإمام المهدي وإلى ما يدعو إليه.⁵

وقد تطلب الانتقال من المرحلة الدعوية إلى المرحلة العسكرية وقتا, لتحقيق ذلك, رافقته إنشآت عمرانية مرتبطة بهذا الانتقال, ويمكن أن نميز بين نوعين من الإنشآت العمرانية التي قام بها أبو عبد الله الشيعي في بلاد كتامة, الأولى مرتبطة بالمرحلة الدعوية, والثانية بالمرحلة العسكرية, وتسمى المصادر الشيعية الإسماعيلية القرى والمدن التي كان يتوقع أن تظهر منها الدعوة الإسماعيلية, والتي اتخذت في ذات الوقت مستقرا للدعاة الإسماعيليين, وللإمام من آل البيت في الفترة السرية "بدار الهجرة".⁶

¹ الخطاب التاريخي, دراسة منهجية ابن خلدون, الطبعة الثالثة, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء 1985م, ص55.

² ابن خلدون: المقدمة, ص193, فالعصبية من حيث بعد القوة الناتجة عن التلاحم تتجدد بسر التلاحم وهو النسب, والمال, والشرعية العقديّة بداية ثم الحضارية غاية, للمزيد أنظر أبو يعرب المرزوقي: ما وراء جدلية البداءة والحضارة, ندوة ابن خلدون, مطبعة المعارف الجديدة, الرباط 2008م, ص130.

³ المختار الهراس: القبيلة والدورة العصبية, قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغربي, العدد 31, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2004م, ص145, بوبة مجاني: دراسات, ص81.

⁴ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة, ص13.

⁵ جمال شعبان: قراءة جديدة في فكر ابن خلدون, مجلة المستقبل العربي, العدد 319, يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2006م, ص98.

⁶ جعفر بن منصور اليماني: النطاق, ص39, القاضي النعمان: المصدر السابق, ص177, القرشي: عيون الأخبار, ج4, ص265.

استفاد الداعي الشيعي أبو عبد الله من الأسلوب الدعوي في اليمن على يد منصور اليمن، رافق هذا الأسلوب من إنشآت عمرانية تعمل على تثبيت الدعوة الإسماعيلية، وجعلها قوة سياسية وعسكرية على أرض الواقع، حيث تدرب أبو عبد الله الشيعي على يديه عندما توجه إلى اليمن، ونزل بقرية عدن لاعة، وهي الخطوات التي يتبعها الداعي عند قدومه إلى بلاد كتامة.¹ فعندما شعر ابن حوشب بحاجته إلى إظهار الدعوة و إعلان الحرب على أعدائه ومخالفه، استأذن الإمام في بناء الحصن، فأذن له، وابتنى حصنا بجبل عدن لاعة.² ويقول الحمادي أنه ابتنى حصنا لما كثرت الأموال في يده، فحصنه وحمل إليه كل ما يحتاجه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل وأخذ عليهم العهود والمواثيق.³ ويتبين أن أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي الذي عرف بمنصور اليمن، قد اتخذ جملة من الإنشاءات العمرانية مثل الحصن والقصر ودار الإمارة، وجعل منها قاعدته الدعوية والعسكرية التي يمارس منها نشاطاته، وسوف يصبح هذا الإجراء قاعدة يتبعها الداعي عندما ينزل ببلاد كتامة لتكون دار هجرته⁴، وبعد وصول أبي عبد الله الشيعي إلى بلاد كتامة بدأت تتغير معالمها العمرانية فجمع شتاتها، ووحدها، وجعلها مركزا حضاريا متكاملًا، يتناسب وذلك التغيير الذي طرأ على المجتمع الكتامي الجديد، الذي بدأ يستجيب للتشكيل الحضاري الجديد مع استقرار الداعي في بلاد كتامة التي وصلها سنة 280هـ/893م⁵، حيث أضحى رأس السلطة الجديدة بجانب الصفة الأساسية وهي داعي المهدي في بلاد المغرب إلى أمر قد حم وقرب.⁶ ومن ثم أصبحت بلاد كتامة مركزا سياسيا وإداريا، وبذلك اكتسبت الصفة المدنية، وكان لذلك أثره المباشر في تكوينها المادي الذي بدأ يتغير تلبية للمتغيرات المدنية التي طرأت عليها خلال تبنيها للمذهب الإسماعيلي.

¹ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 59-60، النويري: المصدر السابق، ج 28، ص 75.

² القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 43.

³ أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، حققه وعلق حواشيه محمد بن علي بن الحسين الأكوغ الحوالي، مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء 1994م، ص 89.

⁴ بوبة مجاني: الدعوة الإسماعيلية والعمران، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ص 150.

⁵ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 71، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 451.

⁶ القاضي النعمان: المصدر نفسه، ص 80.

ثانيا: دار الهجرة تازروت، دراسة تاريخية.

1- إيكجان التسمية والموقع:

أ- أصل التسمية:

إن منطقة إيكجان (ikdjan) التي استقر بها الداعي أبو عبد الله الشيعي أول الأمر تمتاز بوعورتها وحصانتها الطبيعية, وقد اختلفت آراء الباحثين في النطق بها حيث قال الإدريسي¹: "ويقرب سطيف جبل يسمى إيكجان بعد قبائل كتامة" كما حدد المسافة بين هذا الجبل وبين بجاية بمرحلتين.

أما ياقوت الحموي² فقد أطلق عليه اسم إنكجان, بالكسر ثم السكون وكسر الكاف وجيم, وألف ونون, لما أشار إلى أنه بناحية من المغرب من بلاد البربر, ثم من بلاد كتامة منهم, وكان أثر مقام أبي عبد الله الشيعي بها.

وكلمة إكجان, جمعها أقجون وتعني في اللغة البربرية -الكلاب- فيكون معنى الاسم بذلك "خربة الكلاب" ويظهر أن مرد التسمية منذ القديم يرجع إلى اعتماد السكان على الكلاب في الحراسة, التي توضع في المرتفعات والتي تشرف على سائر النواحي, ومنها قلعة إيكجان.³ وفي إمكاننا القول أن اسم إيكجان لا بد أنه انتشر نسبيا, ولم يكن اسم لجبل بالتأكيد, بل هو لقب مشتق من أكج تصغيرا لأكجون, أي الجرو, و إيكجان جمع المذكر السالم في البربرية لأكج فيصبح الاسم إيكجان.⁴

ب- الموقع:

تقع مدينة إيكجان على بعد حوالي 66 م شمال شرق مدينة سطيف, وحسب التقسيم الإداري الحالي فهي تابعة لدائرة بني عزيز, الواقعة بين خطي طول 5° و 39° شرقا, وبين دائرتي عرض 36° و 38° شمالا.

تقع قلعة إيكجان إحداثيات "لاميار" تقريبا بين (س س) 4039-4040, و (ع ع) 737-738.25, وهي مدينة على هضبة مرتفعة يبلغ ارتفاعها حوالي 983 متر, كما يمر بالقرب منها الطريق الوطني رقم 7.⁵

¹ المصدر السابق, ج 1, ص 269.

² المصدر السابق, ج 1, ص 273.

³ من أرشيف الدائرة الأثرية سطيف-البرج- المسيلة, التعريف بمدينة إيكجان الإسلامية

⁴ محمد الطالب: المرجع السابق, ص 692.

⁵ عن أرشيف الدائرة الأثرية لولاية سطيف-البرج- المسيلة, التعريف بمدينة إيكجان الإسلامية

تستند مدينة إيكجان من جهتها الشمالية إلى جبل سيدي ميمون الذي يصل أعلى ارتفاع به إلى حوالي 1509 متر على مستوى سطح البحر, وجبل سيدي الصالح مرزقان, كما نجد إلى الجنوب منها جبل بن دريس, وفي الجنوب الشرقي جبل جردة بالإضافة إلى قربها من جبل البابور.¹ ويتميز موقع قلعة إيكجان بوفرة الماء فيه, حيث تنتشر الينابيع والوديان وأهمها: وادي لكلاّب الذي يلف من حوله, وبالقرب منه وادي بورديم اللذان يصبان في الوادي الكبير, وهو بدوره يصب في البحر, هذا بالإضافة إلى العيون الينابيع, ونذكر من بينها عين أقادو التي تمتد من جبال بابور, وتزود القرية بالماء الصافي إلى يومنا هذا, وعين الصفصاف, وعين المكنم بأسفل القلعة, وهي دائمة الجريان, كما أن مياهها تسقي بساتين وحقول الناحية.²

بالإضافة إلى عين الرحابة بالجهة الجنوبية, وعين أنشام بالجهة الشرقية, وعين بورماد بالجهة الغربية, وعين المراء في الجنوب الشرقي, وعين لحمر وهي الأخرى تقع بالجهة الغربية, كذلك نجد عين أخرى تدعى بعين الأوقات.³

كما تنتشر في الموقع سهول عالية وخصبة أهمها: ظهر التين, وتاشودة وشعبة الزكار والمشوار وابن صالح, وتنحصر القلعة في منطقة غنية بالفجاج وهي عبارة عن طرق محصورة بين المرتفعات, والتي تلائم فترة الدعوة لحركة سرية مثل الدعوة الإسماعيلية.⁴

وأهم هذه الفجاج فجان, وهما قريبان من قلعة إيكجان, فج أمسيد, والثاني فج الضباب, الذي مباشرة بالقلعة, وينحصر بين جبلي سيدي ميمون, وسيدي صالح, وعلى مسافة 70 كلم منه يوجد فج مزالة الطويل والمؤدي إلى ميلة, والذي يعرف عند السكان هناك ب"غار أجري".⁵

وبالنظر إلى كل هذه المعطيات الجغرافية, يمكن القول أن مدينة إيكجان كانت محصنة طبيعياً, وهو أحد الشروط التي أكدت عليها كتب الفكر العمراني الإسلامي في كون الحصانة الطبيعية للمدن الإسلامية أمر لا بد منه في اختيار موقعها من أجل "تحصين منازلها من الأعداء و الذعار".⁶

¹ من أرشيف الدائرة الأثرية سطيف- البرج- المسيلة, التعريف بمدينة إيكجان الإسلامية

² موسى لقبال: المرجع السابق, ص158.

³ وللإشارة فقد اشتهرت ببلاد كتامة عين تعرف بعين الأوقات لأنها تجري في أوقات الصلوات الخمس وإذا اتهم رجلان أنت بالماء للصادق وشحت عن الكاذب, أبو الفدا إسماعيل: مناهج الفكر ومباهج العبر, مخطوط, نقله أحد المستشرقين ضمن مجموع c رقم 2321, المكتبة الوطنية الجزائرية, ورقة 129, ظ

⁴ عن أرشيف الدائرة الأثرية لولاية سطيف- البرج- المسيلة

⁵ موسى لقبال: المرجع السابق, ص156-157.

⁶ شهاب الدين بن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك تحقيق عارف احمد عبد الغني, دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق 1996م, ص101.

كما أشار ابن خلدون إلى الأمكنة الممتنعة كهضبة أو جبل، حتى لا يتمكن منها العدو " كأن
ون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعدة من الجبل أو باستدارة بحر أو
نهر بها، حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها من العدو،
ويتضاعف امتناعها وحصانتها".¹

ونظرا لأهمية اختيار الموضع، عرض ابن الأزرقي أصلا ن يجب مراعاتهما في أوضاع
المدن هما: دفع المضار و جلب المنافع، وأورد في دفع المضار " بأن تبنى المدينة في مكان
مرتفع".²

تأسيسا على ما سبق، نجد أن منطقة إكجان قد توافرت فيها مجموعة من الشروط الطبيعية
والجغرافية، ساهمت في تحصينها وذلك لما أحاط بها من جبال كونها بنيت فوق هضبة عالية،
بالإضافة إلى توافر مجموعة من الفجاج التي يصعب المرور عليها لضيق طرقها ومسالكها،
مما يسهل مراقبة العدو من مسافات بعيدة، فمكانها وعر صعب المرتقى يشبه في مناعته وكر
العقاب، وآثاره بادية إلى الآن.³

وهذه إحدى الميزات التي جعلت التنظيم الإسماعيلي يختار هذه المنطقة لنشر الدعوة وبناء
دار هجرة بها، كونها تستجيب للضروريات العسكرية التي تقتضيها الدعوة الإسماعيلية.⁴
وبمجرد وصول أبي عبد الله الشيعي⁵ لبلد كتامة عند بني سكتان بفتح الأخيار، بدأ يشيد
بالمكان وبأهله، قائلا لهم: " والله ما سمي هذا الفج إلا بكم، وقد جاء في الحديث أن للمهدي
هجرة تنبو عن الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان
قوم مشتق اسمهم من الكتمان، فأنتم هم كتامة وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخيار".⁶

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص ص432-433.

² أبو عبد الله محمد بن الأزرقي الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم،
الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس 1977م، ج2، ص764.

³ محمد صالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات
الجامعية، الجزائر 1983م، ص41.

⁴ علي حسن الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي، مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، دمشق 1972م،
ص47.

⁵ هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، وكان يعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب
الإمامية الباطنية، وقيل كان محتسب في سوق الغزل بالبصرة، للمزيد أنظر، القاضي النعمان: افتتاح
الدعوة، ص59، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص450، ابن خلدون: العبر، ج4، ص41، المقرئ:
اتعاظ الحنفا، ج1، ص51، أيضا المقفي الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية) اختيار محمد
اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م، ص ص25-35، الخربوطلي: المرجع السابق، ص13-
14.

⁶ القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص59.

سمعت كثير من قبائل البربر بأبي عبد الله فقدمت عليه من كل حذب وصوب، فعظم أمره إلى أن تقائلت كتامة عليه مع قبائل البربر، وهو لا يذكر في ذلك اسم مهدي¹، بل كان يكتفي بالحديث عن فضائل علي بن أبي طالب وأولاده وأحفاده.²

واتسع نطاق دعوة أبي عبد الله الشيعي، وتكاثر عدد أنصاره وشيعته إلى أن بلغت الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب³، الذي بعث بابن المعتصم المنجم ليأتيه بخبره، وليبلغه برسالة شفوية منه، وجاء في أول هذه الرسالة تساؤل للأمير الأغلب هو "ما حملك على سخطي والوثوب على مملكتي، وإفساد رعيتي والخروج علي؟" ثم قال: أنه على استعداد لإشباع أطماعه في عرض الدنيا، وله حرية الإقامة أو مغادرة بلاد كتامة، ثم هددته في آخر الرسالة بالعقاب والهلاك إن استمر فيما هو عليه.⁴

ما أبو عبد الله الشيعي فقد طلب من رسول الأمير الأغلب إبلاغه برده، فهو لا يعبأ بالتهديد الوعيد، وهو واقف على مواطن الضعف في دولة الأغالبة، عارف بمظالم بني الأغلب، وهو لا يطمع في عرض الدنيا، ثم دعا أبو عبد الله الأمير الأغلب في آخر رسالته الشفهية إلى طاعة الإمام عبيد الله المهدي، سليل الرسول عليه الصلاة والسلام.⁵

ثم تعرض أبو عبد الله لمؤامرة خطيرة ينسبها المقرئزي إلى حقد القبائل المعارضة للدعوة الإسماعيلية على بني سكتان الذين احتضنوا الداعي⁶، فما كان من أبي عبد الله إلا الاختفاء، والانتقال بعد ذلك من إكجان إلى تازروت.⁷

¹ نفسه، ص73.

² المقرئزي: المصدر السابق، ج1، ص57.

³ حكم من سنة (261هـ-875م / 289هـ-902م)، وسمي الأمير إبراهيم الثاني، للمزيد أنظر،

ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، صص116-132، النويري: المصدر السابق، ج22، صص82-92.

⁴ القاضي النعمان: المصدر السابق، صص78-79.

⁵ نفسه، صص80-81.

⁶ المصدر السابق، ج1، ص58.

⁷ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص99.

2- دار الهجرة تازروت

أ- أصل التسمية:

اختلف المؤرخون في ضبط رسم كلمة تازروت، فذكرها ابن الأثير¹ باسم ناصر بن النويري² بتازرات، أما الدرجيني³ و المقريزي⁴ فسمياها تاصروت، وقد ضبطها القاضي النعمان⁵ باسم روت، وهو الرسم الصحيح للكلمة حيث وجد مكتوب بنقيشة على إحدى صخور المنطقة ب (Tazrout) والتي ترجع إلى العهد الروماني، و أصل تسمية تازروت ذو معنى أمازيغي وهو الصخرة الكبيرة.⁶

ب- الموقع:

تقع تازروت في وسط سلسلة جبلية بين أعالي وادي الرمال ووادي الرجاص (Redjas)، على بعد عشرة أميال من مدينة قسنطينة⁷، ببؤرة تطل على كامل ضواحيها، فمن الجهة الشمالية: يمتد النظر إلى جبال موية وزواوة على مستوى فرجية وحتى أعالي جبال بابور، ومن الجهة الجنوبية تمتد على مدى سهول عبد النور، والتلاغمة وسهول زمور، كما يمكننا رؤية جبال أوراس من بعيد⁸، وتتبع المنطقة التي بنيت عليها تازروت حاليا إلى بلدية عين الملوك، دائرة تاجنانت ولاية ميلة.⁹

إن أبو عبد الله الشيعي، قد التحق بتازروت بعد استشارته لأتباعه وحصوله على رضاهم، فقد أعدوا للداعي وأنصاره إقبالا حارا من طرف قبيلة غشمان، بقيادة زعيمها الحسن بن هارون الغشمي.¹⁰

¹ الكامل في التاريخ، ج6، ص452.

² المصدر السابق، ج28، ص85.

³ أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث،

قسنطينة1974م، ج2، صص92-93.

⁴ المصدر السابق، ج1، ص58.

⁵ المصدر السابق، ص99 وما بعدها...

⁶ Leclerc. L: Une inscription du kaf-Tazrout, Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de la province de la Constantine, 1864, p.74.

⁷ وتسمى أيضا قسنطينة الهواء، لكثرة جسورها، وهي من مدن الشرق الجزائري، تقع على بعد حوالي 150 كلم على الجنوب الغربي من مدينة بونة (عنابة)، وهي مبنية على هضبة صخرية يبلغ ارتفاعها 2181 قدما في بعض نواحيها، ويحيط بها الوادي من جميع جهاتها، للمزيد أنظر ابن حوقل: المصدر السابق، ص 93، المقدسي: المصدر السابق، ص180، البكري: المصدر السابق، ص63، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، صص265-267، مجهول: الاستبصار، صص165-166، الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 349.

⁸ Leclerc. L: op,cit , p.74.

⁹ أنظر الخريطة رقم01.

¹⁰ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص100.

وقد كفل موقع تازروت غير المنعزل للداعي ميزة القرب من حواضر كتامة مثل ميله¹، التي لا تبعد عنها سوى ب40 كلم، من الجهة الجنوبية الغربية²، وأصبح بذلك قريب من مضارب قبائل هذه الناحية، وهي: مسالمة ولهيصة وملوسة ولطاية والتي كانت أصداء حادث الانتقال من إيكجان إلى تازروت قوية عندها، وفي سائر قبائل كتامة الأخرى.³

ولقد برهنت الأحداث التالية على صدق الداعي وصواب ما قام به من أعمال وتنظيمات أولية في تازروت، حيث عز جانبه وكثر أنصاره، واتسع نفوذه في تازروت التي غدت دار هجرته، وحصنا حصينا ومعقلا متيعا وحاضرة، مستودعا للمؤن والعتاد، والخيرة الأنصار، لذلك عمد التحالف المعارض من القبائل التي لم تدخل في الدعوة من محاصرتها والإجهاز على الحركة الإسماعيلية في قلب قبيلة غشمان.⁴

وتضمنت هذه الخطة اشتراك جميع المعارضين للدعوة من سائر أنحاء كتامة في فرض الحصار العسكري والاقتصادي على قبائل تازروت حتى تستسلم وتسلم الداعي للقتل أو تقع ادتهم جميعا، وتبعاً لذلك حوصرت المدينة من أربع جهات على عدد الكتل التي اشتملت عليها حركة المعارضة، وهي كتلة قبائل سطيف، كتلة قبائل ميله، كتامة الحواضر، وأخيراً مزاتة من الأحلاف.⁵

وكان موقف الداعي من هذه الحركة الخطيرة، تنظيم خطوط دفاعه وتحصين المدينة واستنفار جميع أنصاره من سائر الأنحاء للمجيء إلى تازروت، حيث برز بمن معه وعسكر منها وخندق على نفسه، وبدأ الهجوم العام بكل قواته ضد كل فريق على حدة⁶، وكانت من نتائج هذا الصراع مع القبائل المعارضة للدعوة الإسماعيلية.

- انتصار الداعي على جميع القبائل الكتامية المعارضة والقدرة على إخضاعها

- قيام دولة تازروت في قلب بلاد كتامة كحاضرة مدنية ودار هجرة مذهبية إسماعيلية،

رافقتها إنشاءات عمرانية تتناسب والظروف التي مرت بها الدعوة الإسماعيلية.

¹ مدينة قديمة محصنة، ظلت أحد أهم المحطات الأساسية في طرق سيرتا و سطيف، وبذلك ارتبطت تاريخياً بهاتين المدينتين، ولعل أهميتها الإستراتيجية تكمن في مراقبتها المعابر الشمالية المؤدية إلى منطقة جيجل والقل، وفي نفس الوقت تشرف فيه على المناطق الجبلية حول وادي الرمال، للمزيد أنظر، ابن حوقل: المصدر السابق، ص85، المقدسي: المصدر السابق، ص180، البكري: المصدر السابق، ص63، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص265، مجهول: الاستبصار، ص166، الحموي: المصدر السابق، ج5، ص244، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص60، عبيش: المرجع السابق، ص349.

² Leclerc. L: op,cit,p.74

³ القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، ج5، ص55، لقبال: المرجع السابق، ص251.

⁴ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص109، النويري: المصدر السابق، ج28، ص90.

⁵ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص109، لقبال: المرجع السابق، ص256.

⁶ القاضي النعمان: المصدر نفسه، ص115.

3- الإنشاءات العمرانية لمدينة تازروت

مكنت الحملات العسكرية العديدة التي قادها أبو عبد الله الشيعي على القبائل المعارضة للدعوة من الاستيلاء على غنائم ضخمة، كما انضمت إليه قبائل كتامة كلها إلى حزبه، فاتصلت طاعته وظهرت قي القبائل دعوته، وجر فيها أمره.¹

فعمل الداعي على القيام بترتيبات وتنظيمات داخلية تتناسب والتحديات التي تمر بها الحركة الإسماعيلية، فعمد إلى توحيد بطون القبائل وحثهم على احترام الشعائر الدينية، وذلك لما رأى أن أصل ما بنى عليه أمره وقطبه الذي عليه مدار الدين

وكان سر نجاحه أنه كان مثالا حسنا للورع، وكان سلوكه مستقيما يستهين بمظاهر الغنى والتزرف، كما طلب من الدعاة بمختلف الدوائر الإقتداء به، فاستمر العمل بالإعداد السياسي والديني، بكثير من العناية واليقظة من أجل الحفاظ على المكتسبات التي حققتها الدعوة

الإسماعيلية، وسعي إلى الانتصار في النهاية.²

وأعظم تدبير سنه الداعي هو تنظيم القبائل المؤيدة له في مضاربها، حيث قسمها إلى سبعة أقسام تبركا بالعدد وإشارة إلى العقيدة الإسماعيلية السبعية، ورتب لكل سبع منها جيشا متطوعا له قيادته الخاصة به³، حيث أطلق على الرئيس العسكري "مقدم" وعلى الرئيس السياسي اسم "داعي".⁴

كما قام الداعي بإنشاءات عمرانية تتناسب والمرحلة التي تمر بها الدعوة الإسماعيلية، وكانت هذه الإنشاءات العمرانية بلا شك في خدمة الدعوة والمذهب الإسماعيلي.

- بناء القصر:

أمر أبو عبد الله الشيعي بتشديد قصر ليقيم فيه ويمارس منه سلطانه، وسكنه بنفسه.⁵ يبدو أن هذا القصر كان بمثابة دار الإمارة، والتي منها يدير الداعي أبو عبد الله الشيعي أموره العسكرية والمذهبية لأتباعه من قبائل كتامة.

- بناء الدور والمساكن:

قام أبو عبد الله الشيعي بتوزيع قطع الأراضي منه على أنصاره الذين هاجروا معه إلى تازروت بعوائلهم، وذلك لبناء الدور والمساكن لهم لأسرهم¹، ولكون المنطقة تكثر بها الصخور الضخمة²، فلا نستبعد أن هذه الصخور قد كانت صالحة للبناء والسكن بها، وذلك بعد

¹ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص117.

² نفسه، ص123.

³ الطالب: المرجع السابق، ص699.

⁴ ويذكر ابن عذاري أن الداعي صير لهم ديوانا وألزمهم العسكرية، المصدر السابق، ج1، ص172.

⁵ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص127.

نقراها على شكل غيران، خاصة وأن هذا التصميم من البناء كان منتشرًا بكثرة في العصر الوسيط³، وبما أن العمران مرتبط بمدى الكثافة العالية التي يكون عليها⁴، يتضح لنا أن الهجرة الجماعية من المؤمنين بالدعوة الإسماعيلية إلى تازروت قد ساهمت في التوسع العمراني للمدينة.

- بناء السور:

يعتبر السور من أهم المعالم العمرانية في المدينة، وأبرز سمات تخطيط المدن في العصر الوسيط⁵، حيث كان لمدينة تازروت سور يحمي أهلها من المهاجمين، فقد ذكر النويري أن الداعي لما تمركز بتازروت اتخذ لها سوراً⁶، ثم أحاط هذا السور بخندق عند بدء الحرب مع القبائل المعارضة للدعوة الإسماعيلية⁷.

وبناء عليه كانت مدينة تازروت ملجأ لجميع أنصار الدعوة الإسماعيلية من قبيلة غشمان، والمهاجرين من القبائل الكتامية الأخرى في حال الشعور بالخطر وعدم الأمن داخل قبائلهم بالذات، وذلك نظراً إلى معتقداتهم، كما استخدمت مدينة تازروت أيضاً كقاعدة عسكرية شن منها الداعي حملات عسكرية متعددة، وكان المقصد منها إظهار قوة الأمة الجديدة وتوسيع رقعتها لتشمل جميع بلاد كتامة⁸.

و بذلك أصبحت مدينة تازروت، عامرة بالأنصار زاخرة بالخيرات، تمتلئ بالحيوية والنشاط، ولها علاقات واسعة مع بقية أرجاء البلاد الأخرى⁹، يرجع الأستاذ الطالبي أن تاريخ قيام دولة تازروت تقريباً في نهاية حكم إبراهيم الثاني أو على أقصى حد في نهاية عهد عبد الله الثاني، الذي تولى الحكم في 21 ربيع الأول 289هـ/05 مارس 902م.¹⁰

¹ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص117، النويري: المصدر السابق، ج28، ص90.

² Leclerc. L: Ibid,p.74.

³ وكان المنزل الواحد يحتوي على غرفة يبلغ عمقها ثمانية أمتار وكانت الغرفة معدة للسكن وتليها الثانية حيث يبلغ عمقها حوالي نصف عمق الأولى، وهي مخصصة لوضع المؤونة، للمزيد أنظر محمد حسن: المدينة والبادية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس الأولى، تونس1999م، ج1، ص67.

⁴ أحمد الطاهري: الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، من نظام التثمين التعاقدى إلى نمط الإنزال الإقطاعي، مركز إسكندرية للكتاب، الإسكندرية2004م، ص134.

⁵ عبد العال عبد المنعم الشامي: جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، المجلد 09، العدد01، الكويت 1978، ص138.

⁶ المصدر السابق، ج28، ص90.

⁷ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص110.

⁸ الطالب: المرجع السابق، ص699.

⁹ لقبال: المرجع السابق، ص251.

¹⁰ المرجع السابق، ص699.

غير أن هذه القاعدة تازروت- كان اتخاذها مؤقتا ومرحليا, وذلك من أجل إبعاد شبح الانقسام الذي كان يهدد القبيلة التي احتضنت الداعي وأزرتة لمعارضة بعض رجالها لوجوده بينهم, فتركها إلى غشمان ليعود إلى جيملة و إيكجان بعد أن زال خطر الانقسام بتوحد قبيلة جيملة والتفافها حوله.¹

بالإضافة إلى ذلك أصبحت مدينة تازروت غير منيعة ولا حصينة لحماية من الأعداء, خاصة بعدما عظمت التحديات في وجه أبي عبد الله الشيعي, وخير مثال على ذلك أن أبا الأحول تمكن من محاصرتها وإحراقها بعد ذلك,² فلم يكن أمام أبي عبد الله الشيعي من خيار سوى الانتقال إلى إيكجان, واتخاذها دار هجرة أصلية.³

¹ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي والقيادات الكتامية الدينية والعسكرية في المرحلة المغربية, ضمن كتاب

من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي, ص34.

² القاضي النعمان: المصدر السابق, ص138, المقرئزي: المقفى الكبير, ص29.

³ أنظر الصورة رقم01.

ثالثاً: دار الهجرة إيكجان، دراسة من خلال المواصفات والبقايا.

1- المظاهر العمرانية لمدينة إيكجان:

تقع مدينة إيكجان على هضبة مرتفعة يصعب الوصول إليها تبعد بحوالي 600 متر عن مقر بلدية بني بعزير، وأثناء سيرنا نحو القلعة في زيارتنا الميدانية لها للمعاينة، وجدنا عددا من البنايات التي يسكنها أهل المنطقة قريبة من مدينة إيكجان بالإضافة إلى أنها توسطت بساتين الزيتون، كما أنها محاطة بمجموعة من الحقول وبالتالي فهي لا تظهر من بعيد إلا بعد الاقتراب منها.

وتتمثل المظاهر الحضارية والعمرانية في بقايا سور المدينة المتباعدة والتي لا يظهر منها سوى الجزء العلوي فقط، في حين أن الباقي مازال مدفوناً تحت التراب، وقد انهار الجزء الأكبر منها لعدم الاهتمام والاعتناء بها، بالإضافة إلى الدور السلبي لسكان المنطقة الذين كان لهم الدور الكبير في تخریبها، إذ قاموا بأخذ الحجارة من الموقع واستخدامها في أغراض أخرى كاستخدامها في بناء بيوتهم، أو بناء القبور، أو حتى في تسييج بساتينهم.

والملاحظ على بقايا السور أنه يحيط بها متخذاً شكل الهضبة التي بنيت عليها، والتي تبدو شبه دائرية، كما تشير إلى أن المنطقة لم تحظى لحد الآن بحفائر رسمية، وربما يعود ذلك إلى عدم اتجاه الباحثين والأثريين إليها.

رغم الإقرار من طرف الجهات الرسمية أن بلدية بني عزير بها آثار إسلامية، وقد صنفّت هذه الأخيرة كتراث وطني بتاريخ 1978/11/20م، ونشر القرار بالجريدة الرسمية تحت رقم 52، بتاريخ 1978/12/26.

أ- بقايا السور:

يمثل الأمن والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري، وعكست نشأة المدينة أهمية التحصين لحماية وجودها وتنمية عمرانها الذي أوجب تحصينات دفاعية تمكن من دفع الخطر، وانطلاقاً من أهمية الأمن اعتبر السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن كونها أكثر نفعا من أي قدر من الشجاعة.²

¹ Sites et monuments, Historique de la wilaya de Setif, les monuments et sites médiévaux, p.7.

² عبد العال عبد المنعم الشامي: جغرافية المدن عند العرب، ص138.

ند اعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض.¹

ويبدأ تحصين المدينة باختيار الموقع، لأن الموقع المحصن تحصينا طبيعيا يساعد على الدفاع عن المدينة، وهذا لا يمنع إقامة الأسوار حولها لتحقيق هذه الغاية في ضوء الأساليب الدفاعية الهجومية، وآلات الحصار المستخدمة في العصور المختلفة، حيث أن تخطيط الأسوار والقلاع والحصون مرتبطين بتطور وسائل الدفاع والهجوم.²

وكانت الفكرة في إنشاء حصون عالية يصعب تسلقها، يجعلها عمودية تماما من أسفلها، وكان تحقيق ذلك ببناء السور، هذا الأخير الذي يبني أولا باللبن ثم بالحجر، وكان هذا التطوير لدفاع أكبر، حيث تبين أنه كلما ازداد طول الحصن ازدادت مساحة الأرض الحافة بأساسه، واخترعت السقاطات وهي عبارة عن بناء بارز من الأعلى في أرضيته فتحات يمكن إسقاط الزيت المغلي منها والسهام... وغيرها.³

ويعد السور من مجموعة الشروط التي وضعها الفكر العمراني الإسلامي لتكوين المدينة في أحسن مواصفاتها، إذ تعتبر أحسن مواضع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء، وهي: النهر الجاري، المحراث الطيب، المحطب القريب، والسور الحصين.⁴

والملاحظ على إيكجان من خلال المعطيات الأولية، أنها قد توفرت فيها الشروط السابقة الذكر، فقد كانت محاطة بالسور وكان شكله موافقا لشكل المدينة الذي يبدو شبه دائري، ولا ترى لها سوى منحدرات و روف تؤدي إلى الفجوج والأودية المحيطة بها⁵، كما انه يصعب الوصول من خلالها إلى المدينة.⁶

¹ عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص122، ونظرا لأهمية الجدار والسور والحائط في حياة الناس أفردت لها مؤلفات خاصة تبين الأحكام الفقهية في المسائل المتعلقة بها، نذكر منها على سبيل المثال: المرجعي الثقي: كتاب الحيطان وأحكام الطرق والسطوح والأبواب، ومسيل الماء والحيطان، حققه محمد خير رمضان يوسف، دار الفكر المعاصر، بيروت1994م، ص21، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الرامي البناء: الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق ودراسة فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس1999م، ص34 وما بعدها.

² بدر الدين شعبان: الأسلحة في عهد الدولة الفاطمية من خلال النصوص (الجزء الأول)، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي، ص167.

³ عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص123.

⁴ ابن الأزرقي: المصدر السابق، ج2، ص766.

⁵ أنظر الصورة رقم 02.

⁶ لقبال: المرجع السابق، ص160.

ومع طول المدة ومرور الزمن عليه فإن السور لم يبق منه سوى بعض الأجزاء المتباعدة عن بعضها البعض, ومما يبدو لنا أن نمط الأسوار وما حوله من الملاط الماسك للحجارة الذي يظهر أنه متطور عن الفترة القديمة عليه.¹

وقد تبين لنا من خلال زيارتنا الميدانية لقلعة إيكجان أن أول ما يصادفنا هو الجزء المتبقي من السور الذي لا يظهر منه إلا القليل, وهو مبني من الحجارة, ولا يزال جزؤه السفلي تحت التراب, ويبلغ طوله حوالي 2.25 متر وعرضه 01 متر.

و بعد التقدم بضعة أمتار يظهر جزء آخر يظهر ككومة من الحجارة, في حين لا يزال البعض الآخر ملتصقا ببعضه البعض, ويقدر طوله حوالي 11 متر, وارتفاعه 1.25 متر, أما أكبر الأجزاء فتتمثل في بقايا السور الشرقي.

و الذي يبدو أنه كان محيطا بالمدينة, وهو مبني بالحجر والطين لا يقل عرضه عن 1.5 متر, وارتفاعه حوالي 2 متر, وأما طوله فيبلغ حوالي 14.25 متر, وتظهر في أسفله فتحة يقال أنها غارة يحتمل أن تكون مدخلا لنفق يمتد أسفل المدينة, استعمل كدهليز لادخار بعض المواد, أو كان مستودعا للسلاح.²

كما تتخلل السور بعض الفتحات التي نجدها في أعلاه, يبلغ ارتفاعها 40 سم, وعرضها 30 سم, بالإضافة إلى وجود سور آخر يبلغ طوله حوالي 7.5 متر, وهو امتداد للسور الشرقي, كما يبلغ ارتفاعه حوالي 1.40 متر, وتوجد بقايا أخرى من الأسوار التي تقع داخل المنازل المجاورة للموقع.³

ب- البرج:

توجد كومة مرتفعة من الحجارة داخل السور الموجود داخل المقبرة, والتي يبلغ ارتفاعها حوالي 2.52 متر, وطولها حوالي 1.22 متر, وحسب شكلها تبدو أنها كانت عبارة عن برج مراقبة, وهي مبنية بالحجارة الملتحمة بملاط طيني.

ويعد موضع بناءها مكانا استراتيجيا وجيدا للمراقبة, لكونه يقع على مرتفع طل على منحدر, إذ من خلاله نستطيع مشاهدة كل النواحي المحيطة بها, وهذا ما جعلنا نميل إلى القول بأنه كان برجاً للمراقبة.

¹ عقاب محمد الطيب وآخرون: تقرير خبرة حول الموقع الأثري للفترة الإسلامية, بدائرة بني عزيز, جامعة الجزائر, الجزائر 1999م.

² عن أرشيف المركز الثقافي بدائرة بني عزيز.

³ أنظر الصورة رقم 03.

ج- الأعمدة:

كانت توجد بالمكان عدد من الأعمدة في بعض الأركان, ومن خلال روايات سكان المنطقة نلاحظ أن القلعة كان بها أسوار عديدة في وسطها, ومن الواضح أنها بقايا جدران لمسكن أو منشآت معمارية أخرى اندرست مع مرور الزمن, بقيت منها الأعمدة, ويشير موسى لقبال إلى أنها كانت قبل هذا الوقت أكثر ظهوراً.¹

2- طريقة بناء السور:

لاحظنا أن التقنية المستخدمة في بناء سور مدينة إيكجان, هي تقنية الحشو (Incertum), وهي وضع الحجارة بشكل تلقائي وإضافة الملاط كمادة لاصقة توضع كذلك بشكل غير منتظم, لفصل المجوف في وسطه يحشى ويملاً بالحجارة المتوسطة والصغيرة الحجم إلى أن يعمر الفراغ.²

أ- مواد بناء السور

- الحجارة

تعتبر الحجارة من أقدم المواد المستعملة في البناء, وقد شاع استعمالها لتعدد وظائفها في البناء الواحد بالإضافة إلى وفرتها وسهولة استغلالها, حيث يتم نقلها إلى مكان استعمالها كمادة خام ثم تشطف لتلائم موضعها وذلك قبل استخدامها في البناء, كما يمكن أن تستخدم كل الحجارة بالأشكال الموجودة عليها في الطبيعة.³

وقد استخدمت الحجارة الكلسية⁴ في بناء سور إيكجان بأحجام مختلفة في البناء منها الصغيرة لسد التجويفات وملاً الفراغات, ومنها أيضاً المتوسطة التي يتراوح حجمها من 20-30 سم, في حين استعملت الحجارة الكبيرة والتي يتراوح حجمها من 30-50 سم وأكثر في بناء الأسس, وذلك لتقلها وصعوبة حملها وبالتالي تؤمن حماية ودعم أكبر للسور, وغالباً ما يوضع الوجه المعتدل للحجر باتجاه الخارج.⁵

¹ المرجع السابق, ص160.

² أنظر الصورة رقم 04.

³ إسماعيل بن نعمان: مدينة دلس, دراسة معمارية وأثرية (10-13هـ/16-19م) مذكرة لنيل شهادة

الماجستير في التاريخ, إشراف بلحميسي مولاي, جامعة الجزائر 2006-2007م, ص138.

⁴ تعتبر الصخور الكلسية من أهم أنواع الصخور الرسوبية, وتتكون هذه الأخيرة على سطح القشرة الأرضية

التجوية والتعرية ثم الترسيب, وتتم هذه العمليات بفعل الماء والرياح وغالباً ما يحدث الترسيب في البحار

والمحيطات, للمزيد حول المكونات المعدنية للصخور أنظر: عادل محمد رفعت: جيولوجيا الصخور

النارية, مكتبة الفلاح, الكويت 1979م, ص215 وما بعدها.

⁵ إسماعيل بن نعمان: المرجع السابق, ص139.

- الملاط:

هو مادة معدنية لاحمة بين حبيبات الصخور, ويستعمل لالتحام الصخور بعضها ببعض مثل مادة الحديد والمعادن الأخرى, وعموما هو خليط متصلب مكون من مادة صخرية سهلة التفتت, وهي الرمل والطينة يضاف إليها الماء ويدعك الكل بإضافة الجير, ثم تتصلب نتيجة تفاعل المواد في بعضها البعض, وفي حالات أخرى يضاف للملاط قرميد مكسور, وعناصر نباتية كالقش وأخرى عضوية كالرماد, ويعمل هذا على تقليص الخصائص السيئة للملاط.¹

والملاط أيضا يعني الطلاء, ويجمع على ملط, فهو إن المادة الملونة التي توضع بين المداميك لتماسكها, وهو أيضا ما يطلى به الحائط بعد تمام بنائه², وهو ما نعرفه الآن بالتليبس, حيث يزيد الملاط من قوة الجدران كما يقوم بحمايتها من الأمطار وتهيتها للزينة والزخرفة.³ وقد اشتهر من الملاط في مناطق العالم الإسلامي, الملاط الذي يتركب من التراب والرمل بنسبة 2/3 في حين نجد نسبة الجير به 1/3.⁴

ويبدو أنه استخدم في سور إكجان نوعان من الملاط من حيث نوعية اللون, إذ يميل الملاط الذي استخدم في تلحيم الحجارة وإصاقها ببعضها البعض إلى اللون البني, في حين استعمل الملاط ذو اللون الأبيض في كسوة وتليبس الحجارة.

3- البقايا الأثرية بإكجان

أ- بقايا المقبرة:

يوجد بداخل القلعة من الناحية الغربية, مقبرة سيدي علي البصري, والتي أقيمت على مجموعة هامة من الحجارة المكونة لسور القلعة, ويقال أنه قد دفن بها رجال الدعوة الأولين الذين رافقوا الداعي أبو عبد الله الشيعي, وأنهم قضوا نحبتهم بسبب المرض أو المعارك.⁵ وحسب روايات أهل المنطقة فإن هذه المقبرة نسبت إلى علي البصري الذي جاء من البصرة, ولكن دون معرفة أدنى التفاصيل عن من يكون, والملاحظ لأول وهلة أن المقبرة مليئة بالقبور التي ترجع للفترة الحديثة كما أن معالم القبور القديمة قد طمست إن كانت فعلا قد وجدت هناك؟.

¹ حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية, أوراق شرقية للطباعة, لبنان 1999م, ج2, ص144.

² ابن فارس: صحاح اللغة, ج3, ص1164.

³ نوار سامي: الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية, دار الوفا للطباعة والنشر, الإسكندرية 2002م, ص176.

⁴ إسماعيل بن نعمان: المرجع السابق, صص 145-146.

⁵ بوجمعة لهواسة: تقرير حول آثار قلعة إكجان, بني عزيز.

ويعود السبب في ذلك إلى غياب أي شاهد يحمل كتابات أو أي إشارة من شأنها أن تبين لنا هوية الأشخاص الذين كانوا قد دفنوا بها، أو حتى إلى من سميت باسمه هذه المقبرة ن كان هذا هو الاسم القديم لها حقا؟.

ثم إن وجود الشواهد كان من الممكن أن يعطينا التواريخ والأسماء والأحداث التي جرت بهذا المكان تأكيدا لما تحدث عنه المؤرخون.

والجدير بالذكر أن المقبرة أقيمت على أجزاء من السور الذي قد طمست معالمه ولم يتبق منه إلا بعض الحجارة التي تظهر من تحت التراب، فالجزء الأكبر لا يزال مدفونا، وبقيت السور مازالت موجودة على حاشية المقبرة، إذ من الممكن أنها لم تكن بداخله، وعملية توسيع المقبرة في الوقت الحديث جعل منها تحتوي على ما تبقى من السور، وبالتالي يمكن القول أن هذه المقبرة كانت خارج سور القلعة، وهذا ما كان شأننا في تخطيط المدن الإسلامية فالمقابر دوما تقام خارج أسوار المدن.¹

وبالقرب من القلعة حوالي أربع مقابر منها: سيدي عباس، سوق الخميس، كدية شداد، ومقبرة الحارك هذه الأخيرة وجد بها مجموعة من الأواني والقطع الفخارية.²

ب- البقايا الفخارية:

يعتبر الفخار من أهم الفنون التطبيقية الإسلامية، كما أنه يعتبر من المواد الأثرية القديمة حيث دمت صناعته عبر العصور الإسلامية تقدا كبيرا، وسمي الفخار بالخزف المسامي وهو من منتجات الخزف الطيني ذات البنية المسامية البنية، والفخار خفيف الكثافة، وطابع طيني محمم، يصنع من طينات ثانوية وتشوى منتجاته في درجات حرارة منخفضة تتراوح ما بين 900° و 1300° درجة مئوية.³

وقد انتشر الفخار في المغرب الإسلامي الوسيط منذ عهود بعيدة وتطور واشتهرت مراكز صناعته ويمكن ذكر بعضها كتونس و تاهرت⁴ وتلمسان.

¹ محمد عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص116.

² لهواسة: التقرير السابق.

³ ناهض عبد الرزاق القيسي: الفخار والخزف، دراسة تاريخية وأثرية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن 2009م، ص108.

⁴ أو تيهرت ومعناها اللبوة بالأمازيغية، وهي مدينتان متقابلتان، إحداهما تسمى تاهرت القديمة، وقد بنيت عند موقع روماني وتسمى اليوم تيارت (Tiaret) وتقع على بعد نحو 200 كلم إلى الجنوب الشرقي من مدينة مستغانم، والثانية تسمى تاهرت الجديدة وتقع على بعد 10 كلم إلى الجنوب الغربي من تيارت، وكانت المدينتان في العصر الوسيط كثيرة الأشجار وافرة الثمار، وبهما كثرة الأمطار والأنداء والضباب، للمزيد أنظر ابن حوقل: المصدر السابق، ص86، المقدسي: المصدر السابق، ص185، البكري: المصدر السابق، ص63، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص255-256، الحموي: المصدر السابق، ج2، ص7-9.

فالفخار إذن يعد دليلاً مهماً على مدى تطور المدينة وعلاقتها بالمناطق المجاورة لها والبعيدة عنها، بالإضافة إلى معرفة أنواعه وتقنيات صناعته.¹

وأخبرنا سكان المنطقة أنهم وجدوا العديد من القطع الفخارية من مختلف الأحجام والألوان والأشكال، حيث عثر على جزء من هذه القطع و الشقوف داخل قلعة إيكجان ومجموعة أخرى الشقوف والأواني والكؤوس وقلعة حديدية لم يعرف مجال استعمالها بعد، وعثر عليها بمقبرة "الحارك" أثناء حفر قبر من طرف الأهالي لدفن أحد الأموات.

كما أنه قد عثر في موقع إيكجان على عدة قطع فخارية مختلفة الألوان والأشكال، وهي بعض الأجزاء من الأواني، وبسبب قتلها صعب تحديد هويتها لأنها قليلة جداً، كما أنه تم العثور على مواسير المياه.²

وعليه يمكن تقسيم فخاريات إيكجان إلى صنفين: الأواني الفخارية و القنوات الفخارية

- الأواني الفخارية

تم العثور على عديد الأنواع من الفخاريات بقلعة إيكجان وأهم ما عثر عليه هو:

- القلل:

والقلعة إناء خاص بتبريد الماء وشربه، وهي تختلف عن الإبريق، لها قاعدة ضيقة تفصل بينهما مصفاة بعضها ذات عرى³ مستديرة تثبت فوق كتفها، وبدون أسفل الرقبة التي يعلوها نتوء مقبب، وعلى العموم فالقلعة تنطلق من قاعدة واسعة صماء، تضيق قليلاً لتعاود الانفرج بشكل منح.⁴

أما فيما يخص فخاريات إيكجان نجد قطعة فخارية يعتقد أنها عبارة عن قلعة والتي لم يتبق منها إلا جزء الرقبة وجزء آخر صغير من البدن الذي يبدو مستدير الشكل، كما توجد من الداخل أسفل الرقبة نتوءات بارزة، من الواضح أنها تعود لمصفاة بها ثقب ذات أشكال ربما كانت هندسية، ويبلغ طول عنق هذه القلعة حوالي 15سم، أما سمك الحافة العليا فيصل إلى حوالي 4ملم، وسمك حافة البدن حوالي 3ملم، والملاحظ على سمك العنق من الداخل أنه غليظ جداً بالنسبة للبدن، كما يبلغ قطر العنق حوالي 8.5سم، بالإضافة إلى وجود نتونين بارزين من الجهة العليا للعنق، ويبدو أنها كانتا عبارة عن صدفتين تزينا رقبة الأنية، بالإضافة إلى وجود شقوف لأواني و مسارج⁵ تستعمل للإضاءة ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه التحف

¹ محمد الطيب عقاب: الأواني الفخارية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984م، ص99.

² لهواسة: التقرير السابق.

³ العرى جمع عروة، ويعتبر من الناحية الشكلية كعمود مستقيم مقوس عند التحامه بفوهة الإناء.

⁴ محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص105.

⁵ أنظر الصورة رقم 05.

وجدت في حالة سيئة من الحفظ، فمعظمها عبارة عن شقوق، وهي معزولة عن مستوياتها الطبقة، بسبب شساعة مساحة الحفرية، واستعمال الآلات الميكانيكية.¹

- الجرار:

الجرة هي: إناء له بطن كبير ومقبضان وفم واسع، تتميز ببروز رقبتها وبقاعدتها الصماء وأسفلها المستدق، أما مقابضها فقصيرة تشبه علامة الاستفهام ونجد ضمن فخاريات إيكجان بعض الشقوق التي يعتقد أنها تعود لجرة وهذه القطع جزء من عنق الأنية وهي ذات فم واسع يبلغ سمك حافته 2 سم كما زخرف عنقها بزخارف هندسية بسيطة، وتستعمل الجرار لنقل المياه.²

- القنوات الفخارية

عثر بالناحية الشمالية للقلعة في منبع "أقارو" الماني، على مواسير مياه أو قنوات فخارية على عمق ثلاثة أمتار، وعلى ما يبدو أنها كانت تزود القلعة بالماء الشروب، وتصنع هذه المواسير من الطينة الحمراء على شكل أنابيب سميكة نوعا ما، حتى لا تتكسر بسهولة، وتشكل طرفا كل أنبوب بحيث يكون أحدهما أكثر اتساعا من الآخر، وبالتالي يمكن إدماج الفوهة الضيقة للأنبوب الأول بالفوهة الواسعة للأنبوب الذي يليه، وهكذا يستمر الوضع حتى تتشكل القناة.

كما عثر سكان المنطقة بنفس المكان على آبار قديمة مغمورة بالتراب، وبداخلها مادة زيتية من المحتمل أن يكون مستودع لزيت الزيتون، أو اللحم المجفف والشحم وغير ذلك، وقد تكون أحواض تابعة لمعصرة.³

أما في خارج القلعة بالناحية الجنوبية بحوالي 20 مترا، عثر على بقايا لصنع الأسلحة حيث يحتوى الموقع على قطع حديدية مختلفة الأحجام، وهذا ليس بالغريب بمدينة إيكجان، كانت قلعة عسكرية بالدرجة الأولى، تنطلق منها فتوحات وحروب الداعي وبالتالي فالتحضيرات للحروب من تجهيز للأسلحة ووضع الخطط الحربية لمواجهة الخصوم والأعداء كان يتم في مدينة إيكجان.⁴

وتأسيسا على ما سبق يمكن جمع خصائص دار الهجرة الموجودة في الآتي:

* الصفة المؤقتة لعمران لدار الهجرة.

* انحصار دورها في الجانب الدعوي والعسكري فقط.

¹ حفيظة هادي: تقرير، سطيف النواة الأولى للدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، متحف سطيف

² التقرير نفسه

³ من أرشيف الدائرة الأثرية سطيف- البرج- المسيلة، التعريف بمدينة إيكجان الإسلامية

⁴ لهواسة: التقرير السابق.

* وجودها في مناطق ريفية معزولة, وبعيدة عن المراكز الحضرية مما يحد من إرساء العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية.

* ارتباط عمرانها بمدى انضواء سكانها إلى المذهب الإسماعيلي¹, لهذا فهي تشبه المدن الدينية المذهبية.

على العموم فإن هذا النوع من العمران قد أحدث تغييرات جذرية في الريف الكتامي, حيث ساهم في التعمير والبناء كما أطلعنا على جانب مهم من جوانب الحياة الحضرية في المغرب الأوسط في المرحلة الدعوية للمذهب الإسماعيلي.²

ونميل إلى الاعتقاد أن دور الهجرة كتازروت و إيكجان هي عبارة عن مدن وذلك لما احتوت عليه من مرافق ومنشآت عمرانية مدنية وعسكرية كالمسجد والسور والقلعة والقصر, بالإضافة إلى وجود سلطة دينية وسياسية.

¹ بوبة مجاني: المرجع السابق, صص 156-157.

² أنظر الرسالة رقم 02.

الفصل الرابع:

العمران في مرحلة الدولة

أولاً: حملة القائم وأثرها على العمران في المغرب الأوسط.

ثانياً: التخطيط العمراني لمدينة المحمدية.

ثالثاً: المحمدية من الحرب إلى الحياة الحضرية.

أولاً: حملة القائم وأثرها على العمران في المغرب الأوسط.

عرف الإنسان منذ القدم أشكالاً من النظم تحت مسميات مختلفة سعت في مجملها إلى تنظيم حياته وشؤونه العامة، ومع اتساع نطاق المجتمع إلى تنظيم أوسع وأشمل من نطاق الأسرة والقبيلة، كان لابد من ظهور نمط جديد من الحكم، عام في مظهره عمومي في توجيهه يمارس بصورة أوسع إدارة وتنظيم شؤون الجماعة وفق قواعد ارتضاها ورسمها لرعاية هذه الشؤون. فكان ذلك إيذاناً بظهور الدولة ككيان جديد يتولى السلطة العامة ويدير شؤون الحكم والأمن في المجتمع، الذي أصبح ضرورة ملحة لقيام الدولة ذات الشوكة والسلطان حتى تمنع العدوان الذي هو جبلة البشر وطبيعتهم.¹

وقد رأى ابن خلدون² أن الشوكة والسلطان لا يتحققان للدولة إلا بتولي أجيالها التابعة لها لمهام البناء والعمران و أن الاعتماد على العصبية فقط لا يكفي لما قال: "أن الدولة والعمران بمنزلة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ لنوعه لوجودها وانفكاك أحدها عن الآخر غير ممكن، على ما تقرر من الحكمة، فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دونها متعذر كما تقدم، وحينئذ فاختلال أحدهما مستلزم لاختلال الآخر، كما أن عدمه مؤثر في عدمه".

و نتيجة للارتباط العضوي بين الدولة والعمران، فقد لقي هذا الأخير اهتماماً خاصاً من قبل الخلفاء الفاطميين في المغرب وذلك من أجل توطيد ملكهم وتوسيع نفوذ دولتهم، فالملك كلما كان أعمر وأوسع كلما كان أعظم سلطاناً وأجل شأنًا.³ ونظراً لأهمية العمران بالنسبة للدولة حيث يعد من مظاهر عظمتها وواجباتها، توجهت اهتمامات الخلفاء إليه، بل اعتبر شرطاً من شروط الاجتماع الإنساني، بالإضافة إلى كونه يحقق غرضين مهمين للدولة هما: القوة العسكرية، والرخاء الاقتصادي والمادي. وفي هذا قيل أن "الملك بالجند والجند بالمال والمال بالعمارة"⁴.

ولم يكن الفكر الإسماعيلي بمنأى عن هذا التوجه بل أشار بوضوح إلى أن العمران هو المحرك الأساسي للحركة الاقتصادية والقوة العسكرية، لما اعتبر أن قوام الجند بما يُخرج لهم الله من الخراج والفيء الذي يقوون به على جهاد عدوهم⁵، فالزراعة مرتبطة بالاستقرار و الاستقرار يتطلب العمران.

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص56.

² نفسه، ص471.

³ الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت 1983م، ص196.

⁴ أبو القاسم بن رضوان المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق على سامي النجار، دار الثقافة، الدار البيضاء 1984م، ص432.

⁵ القاضي النعمان: الدعائم، ج1، ص366.

ولقد مثل العمران وبناء المدن محورا رئيسيا للسلطة الفاطمية¹، إذ اتجه اهتمام الخلفاء نحو اختطاط عديد المدن في المغرب واختيار مواقعها بأنفسهم وتحت إشرافهم.² وتبعاً لذلك عمد عبيد الله المهدي إلى تدعيم أركان دولته بالبناء والعمران³ لذي يعتبر من كان الملك، حتى أن بعض المصادر أشارت تحديداً إلى أنه الركن الخامس بعد نصب الوزير، وإقامة الشريعة وإعداد الجند وحفظ المال.⁴ ومما يدل على هذا الاهتمام قول أحد الباحثين أن المدن التي بنيت في عهد الفاطميين واتخذوها مقراً لهم، مثل المهديّة والمحمديّة والمنصوريّة والقاهرة، كانت أعظم ما أسس من المدن نجاحاً في القرن الرابع الهجري بل في تاريخ الإسلام.⁵ فهل كان للعمران دور في تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية في المغرب؟ كانت الدولة الفاطمية في بداياتها الأولى لا تزال مضطربة وفي حاجة ماسة إلى الاستقرار والتدعيم، وكان على الخلفاء الفاطميين أنفسهم أن يقوموا بتدعيم أركان هذه الدولة الجديدة في المغرب.⁶

وقد بدأت ملامح الفكر العمراني الإسماعيلي، تبرز أهدافها وتظهر للعلن مباشرة بعد تسلّم عبيد الله المهدي لزمام الأمور بالمغرب، يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 297هـ / 909م⁷، والتي تمثلت في بناء دولة شيعية إسماعيلية قوية، تعمل على نشر عدل الله في بلاده، وإقامة حدوده على عبادته، وحسم ما عليه ملوك بني أمية من إظهار المعاصي والعدوان وشرب الخمر وعزف القيان".⁸

ولتثبيت أركان دولته قام عبيد الله المهدي ببناء مدينة المهديّة⁹ والسبب في ذلك يرجع إلى شعور الفاطميين بالحاجة إلى مكان حصين يحتمون به من القبائل المناوئة لها، وكانت قبيلة

¹ الطاهر الطويل: التطور التاريخي للمدينة، ص 93.

² ناجي عبد الجبار: المرجع السابق، ص 181 وما بعدها.

³ أبو بكر عبد الله بن أبيك الدواداري: الدرّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للأثار، القاهرة 1961م، ج 6، ص 115.

⁴ ابن خلدون: المقدمة، ص 54، ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك، ج 1، ص 223.

⁵ ميتز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريّة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، ج 2، ص 694.

⁶ حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: عبيد الله المهدي، إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1947م، ص 170.

⁷ القاضي نعمان: الافتتاح، ص 253، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 461، المقرئزي: المقفى الكبير، ج 1، ص 64، البهروجي: كتاب الأزهار ومنبع الأنوار، ص 236.

⁸ القاضي نعمان: المثالب والمناقب، ص 226، مجهول: كتاب التراتيب، تحقيق ودراسة سهيل زكار، ضمن كتاب الجامع في أخبار القرامطة، الطبعة الثانية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1982م، ج 1، ص 140.

⁹ نسبة إلى عبيد الله المهدي، وهي مدينة ساحلية كبيرة تقع على بعد 29 ميلاً جنوب شرق مدينة منستير، وعلى بعد 43 ميلاً جنوب شرق مدينة سوسة، أسسها المهدي بين سنتي 303-306هـ / 916-919م،

وهران² شمالا إلى تاهرت وما حولها جنوبا إلى الرمال³، لذلك أسرع أبو القاسم إلى بناء مدينة تكون حاجزا وقاعدة عسكرية لصد تيار هذه القبيلة، لما رأى من إصرارها على التمادي في العصيان⁴، مع قوتها وكثرة عددها وتنوع بطونها، كبنى برزال و زنداج و هوارة، و صدراتة و مزاتة⁵، ولهذا السبب جاء بناء المدينة في وسط بنى برزال، وبنى كملان بالقرب من هوارة كما عمل على تهجير بعض سكانها كبنى كملان إلى فحص القيروان.⁶

يتضح إلى ما سبقت الإشارة إليه، أن حملة أبو القاسم على المغرب الأوسط قد تميزت عن سابقتها من الحملات العسكرية بالبناء والعمران، الذي بدوره يدعم ويساعد على نجاح الحملة، بناء مدينة تساعد على دفع الخطر عن دولته من خلال مراقبة تحركات قبيلة زناتة، بالإضافة إلى تقوية نفوذ الفاطميين اقتصاديا وماليا بمنطقة المغرب الأوسط خاصة وبلاد المغرب بصفة عامة، وهو ما يساعد على تحقيق مشروعها السياسي وهو العودة إلى المشرق.

2- تاريخ اختطاط مدينة المحمدية:

لقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ اختطاط المحمدية وانقسموا في ذلك إلى فريقين، فمنهم من ذكر بأن الشروع في اختطاطها كان سنة 313هـ/927م، ومن قال بهذا الرأي لم يذكر المناسبة التي تم فيها بناء المدينة.⁷

أما الفريق الثاني فيشير إلى أن تاريخ اختطاطها يعود إلى سنة 315هـ/929م، مبرزين في ذلك سبب اختطاط المحمدية، وهو توجه أبو القاسم على رأس حملة عسكرية إلى المغرب، وعند خروجه أمر باختطاط مدينة، حيث خط برمحه في الأرض صفة بنائها.⁸

المصدر السابق، ص90، البكري: المصدر السابق، ص69، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص251-253.

¹ وهي مدينة ومرسى، والمدينة فينيقية في الأصل، وكانت تسمى أبول تبعد عن برشك بحوالي 30 كلم، ويحيط بها سور من حجارة شاهق يبلغ طوله 8 أميال، استقر بها الملك يوبا الثاني فوسعها وزخرفها ودعاها بالقيصرية، للمزيد أنظر ابن حوقل: المصدر السابق، ص77، البكري: المصدر السابق، ص81-82، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص258، مجهول: الاستبصار، ص132.

² بناها محمد بن أبي العون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين سنة 290هـ/903م، وهي مدينة حصينة ذات مياه سائحة و أرحاء ماء وبساتين، للمزيد أنظر، ابن حوقل: المصدر السابق، ص79، البكري: المصدر السابق، ص70، مجهول: الاستبصار، ص176.

³ ابن خلدون: العبر، ج7، ص11.

⁴ القرشي: المصدر السابق، ج5، ص141.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص85، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص254.

⁶ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص36، ابن حماد: المصدر السابق، ص25، النويري: المصدر السابق، ج28، ص113، ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص51، المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص72.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص85، البكري: المصدر السابق، ص59، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص254، مجهول: الاستبصار، ص190.

⁸ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص36، المقرئ: المقفى، ص118، القرشي: المصدر السابق، ج5، ص141.

وكما هو واضح فإن الرأي الأخير هو الأرجح في اعتقادنا لأنه جاء مقرونا بحملة أبي القاسم على المغرب، وإذا ما اختلفت آراء المؤرخين في تاريخ اختطاط المحمدية فإنها اتفقت على أن من تولى بناءها هو علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الجذامي المعروف بابن الأندلسية.¹

إن علي بن حمدون ممن صاحب أبا القاسم في حملته على المغرب، ولما انتهت الأشغال من بناء وتعمير المحمدية سنة 317هـ/931م، جعله واليا عليها²، ووجه عبيد الله المهدي إلى ابن حمدون ابنه جعفر وأمه فاجتمع شمل العائلة في مدينة المحمدية³، وبقي ابن حمدون وفيها مخلصا للفاطميين بعدما بنى المحمدية وحصنها وأصبحت قاعدة عسكرية وسيفا مسلطا في وجه خصومهم، ومستودع للحبوب وأنواع المؤن، إلى أن هلك في ثورة أبي يزيد.⁴

3- أصل التسمية:

يرجع المؤرخون تاريخ تأسيس المحمدية وتسميتها إلى سنة 539⁵-541م، وهي السنة الأقرب باعتبار أن القائد سولومون (selemon) تحرك من قرطاجة نحو المنطقة في خريف سنة 541م.

أما تسمية المدينة بزابي جوستانيان (zabi justhaniane)، فهو مأخوذ من النقيشة الأثرية التي عثر عليها الضباط الفرنسيون عند أحد أعيان المدينة بعد احتلالهم لها عام 1859م، وعند ترجمة النقيشة كان: " هنا تم بناؤها، منذ تأسيس المدينة الجديدة زابي جوستانيان تحت إمارة إمبراطورنا المنتصر دومينيستوستريب سيمبا نيتفكس (demenistustrib simba nitvex)⁶، وقد ساد اسم زابي جوستانيان على مدينة المسيلة الرومانية التي تعرف حاليا ب: خربة بشليقيا بكسر اللام كما يذكرها المؤرخ البكري.⁷

¹ وكان علي بن حمدون من رجال الدعوة الإسماعيلية، من وقت مبكر وذلك عندما خرج إلى المشرق مع جده طليبا للحج سنة سبع وثمانين ومائتين، وهو ابن ثمان عشر سنين، فنزل ببلاد كتامة وصحب أبا عبيد الله الشيعي، وغلب على قلبه فدخل في مذهبه، للمزيد أنظر ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، دار الثقافة، بيروت 1983م، ص 33-34، ابن حماد: المصدر السابق، ص 24

² النويري: نهاية الأرب، ج 28، ص 113.

³ ابن حيان: المصدر السابق، ص 34.

⁴ ابن حيان: المصدر السابق، ص 35.

⁵ Maguelonne, (J): monographie de M'sila Géographique et historique de la tribu du Hodna, oriental in, Recueil des notices de la société Archéologique de la province Constantine, 1909,p.9.

⁶ Feraud, (CH): Histoire des villes de la province de Constantine, Setif, BBA Boussaâda, in Recueil des notice de la Société Archéologique du province de Constantine, 1872, p.334.

⁷ المصدر السابق، ص 59.

وتتضح أهمية الموقع في استمراره طيلة القرنين الثاني والثالث الهجري، الثامن خلال الفترة البيزنطية والإسلامية وما تبع ذلك من تطور عمراني شهدته منطقة الحضنة.¹

أ- تسميتها بالمحمدية:

لما تم بناء المدينة أطلق عليها أبو القاسم محمد القائم بأمر الله الفاطمي اسم "المحمدية" وهذا ما أكد عليه ابن حماد بقوله: "وأمر علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الجذامي المعروف بابن الأندلسية أن يبنها ويحصنها، ويسميها المحمدية باسمه ففعل"²، وقد أخذت المسيلة هذا الاسم في حياة أبي القاسم وكانت الشيعة تطلق عليها اسم المحمدية حيث أنها ذكرت في بعض الأشعار بهذا الاسم، فقال أحمد بن محمد المرزوي يذكر نزول الخليفة الفاطمي أبو الطاهر المنصور بالمسيلة³:

ثم إلى مدينة مرضية *** أسست على التقوى محمدية.⁴

ب- تسميتها بالمسيلة:

لم يتطرق معظم الذين كتبوا عن تاريخ المسيلة لأصل الكلمة، وإن كانت أغلب المصادر تذكر كلمة المسيلة مقرونة بالمحمدية.⁵

وهناك رواية محلية عند فئة المثقفين بمدينة المسيلة، قائمة على استناد المدينة إلى الوضعية التي بنيت ليها باعتبارها على نهر وادي القصب، حيث يقول سكان المدينة أن اسم "المسيلة" مشتق من كلمة مسيل الماء.⁶

ويبدو أن هذه التسمية مرتبطة بتعدد المجاري المائية التي تتمتع بها المنطقة منذ فترات قديمة من التاريخ، والتي يعبر عن وجودها بقايا الآثار الرومانية القديمة، والمجسدة في السدود وقنوات المياه والأحواض المخصصة للسقي، والموضوعة على الأودية والسواقي كوادي القصب ووادي لقمان، ووادي سليمان.⁷

¹ يوسف عيش: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ والآثار، إشراف محمد البشير شنيطي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة 2007-2008 م، ص 228.

² ابن حماد: المصدر السابق، ص 24.

³ ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 215.

⁴ من بحر الرجز.

⁵ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 130، أبو العباس أحمد بن علي الفلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، القاهرة 1922 م، ج 5، ص 107.

⁶ Massiera,(P): M'sila du Xe au XVe siècle, bulletin du la Société Historique et Géographique de la région de Setif,tome2, annee1941,p.183.

⁷ Feraud: op,cit,p.328.

هناك من يقول أن أصل تسمية المسيلة يعود إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، عندما ظهر شخص يدعى "تليس" جاء من منطقة خيبر حجاز وهي منطقة توجد بالحجاز¹، أين أقام على الحافة اليسرى لوادي القصب، حيث بنى بعض الديار لحاجته ومن معه، إلا أن الحروب اندلعت من طرف الخوارج الذين كانوا هم أسياذ الحضنة، مما أدى إلى تهديم هذا التجمع السكاني المنبثق حديثا وتقلص وأصبح أطلالا²، ومنها أخذ اسم خربة التليس الذي سمي به حي بالمدينة³، وهذه البنايات كانت النواة الأولى لبناء المدينة فيما بعد⁴.
وعليه يمكن القول أن اسم المسيلة ظهر قبل اسم المحمدية، وهو مشتق من كلمة مسيل الماء⁵، ومما يثبت هذا الرأي ما ذكره ابن خلدون عن بناء المسيلة: "أن أبا القاسم لما مر بمكان بلد المسيلة، و بها بنو كملان من هوارة، وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم إلى فج القيروان، ولما نقلهم أمرهم ببناء المسيلة في بلدهم وسماها المحمدية"⁶، وهذا هو الرأي الذي ذهب إليه روجي إدريس⁷.

¹ الحموي: المصدر السابق، ج2، ص409.

² Massiera,(P): op,cit,p.183.

³ خربة التليس هو اسم لأحد الأحياء بالمدينة المطل على الجهة اليسرى من وادي القصب، وهو جنوب الجسر الحالي (المنطقة المسماة بالكدية حاليا).

⁴ Massiera,(P): ibid,p.183.

⁵ الجوهري: المصدر السابق، ج5، ص1733، ابن منظور: المصدر السابق، ج1، ص419.

⁶ ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص51.

⁷ الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1992م، ج1، ص47.

ثانيا: التخطيط العمراني لمدينة المحمدية.

1- مفهوم التخطيط العمراني.

تخطيط المدينة هو عملية تحديد وتعريف أفضل طريقة لتحقيق أهداف معينة، ثم اختيارها وفقا لاعتبارات معينة في ظل الموارد المحدودة والقيود التي تفرضها الظروف السائدة في المجتمع، أو أنه عملية ضبط البيئة الطبيعية والبشرية من أجل استخدام أفضل للموارد البيئية.¹ وتخطيط المدينة بهذا المفهوم يختلف عن خطتها، فالخطة مساحة من سطح الأرض الكروي نقلت تفاصيلها على لوحة مستوية وفق إحدى طرائق الإسقاط المناسبة بمقياس رسم كي يسمح بظهور تفاصيلها مثل الطرق وتقسيمات المباني والميادين الأخرى.² وإذا كان هذا التعريف عاما للخطة فإنه بالنسبة للمدينة يمكن أن يعني الشكل الذي تبدو عليه من خلال انتظام شوارعها وميادينها وتجمعاتها السكنية وفق نظام معين يعطيها شكلا حضاريا يختلف عن غيرها من المدن التي تنمو وفق خطة أخرى.³

وقد شكلت المدن وتخطيطها في العصر الوسيط أهمية خاصة، إذ حرصت الدول على إنشائها وفق أهدافها وإستراتيجياتها السياسية والعسكرية، وأحداثها المحيطة بها، كما يتم ذلك وفق معايير خاصة حرصت الدولة على عدم إغفالها، وتطورت هذه الأهمية لدرجة أن أصبح التاريخ للدولة لا يتم إلا عن طريق التأريخ لمدينتها، وبناء على ذلك جاء الحرص على تتبع أسباب نشأة المحمدية والخصائص التي تمتعت بها لتكون من أشهر قواعد المغرب الأوسط خلال القرن 4هـ/10م، ومدى الدور الذي مثلته في الإستراتيجية السياسية والعسكرية للدولة الفاطمية بالمغرب.⁴

لقد أنشأ الفاطميون مدنهم في إطار محاولتهم السيطرة على بلاد المغرب، ف جاء بناء المحمدية بق معايير حددت ضمن إستراتيجيات التوسع وفرض النظام، فقد ارتبط بناء المدن بالنظام السياسي القائم حديثا والذي ارتبط وجوده ببناء منشآت عمرانية جديدة تعكس قوة هذه الدولة ونظامها.

ولا شك أن تأسيس مدينة المحمدية واختيار موقعها كان محل تفكير عميق من طرف مؤسسها، حيث كان الظرف العسكري الذي يحيط به يتطلب منه التمعن في الخطوات التي

¹ ومن هذا المعنى جاءت سياسة الفاطميين العمرانية بالمغرب في إطار سياستهم العامة التي تهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة أغراضهم السياسية والعسكرية والمذهبية، القائمة على تركيز نفوذهم وتقوية سلطتهم، مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ص306.

² عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص85.

³ عبد الستار عثمان، المرجع نفسه، ص85.

⁴ الهوارية بطيب: المسئلة المحمدية في الإستراتيجية المحمدية، ضمن الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وأعلام المسئلة من 27-29 أفريل، دار الثقافة، المسئلة 2009م، ص30.

يخطوها تحقيقاً لهدفه في إخضاع القبائل الكبرى المستقرة في منطقة الحضنة وضواحيها، وكذلك مختلف المناطق الأخرى في المغرب الأوسط.¹

ويعود السبب في ذلك إلى كون هذه القبائل تبعد عن العاصمة المهدية، مما صعب على الخلفاء الفاطميين التحكم فيها وفرض سلطتهم عليها، نظراً لعدم تقبل أهلها للمذهب الشيعي الإسماعيلي، وهذا ما دفع بأبي القاسم لوضع أسس قاعدة شيعية جديدة في إقليم الزاب، يمكن للدولة الفاطمية من خلالها مراقبة سهول الحضنة وجبال المعاضيد في آن واحد، ثم تكون مخزن للعتاد الحربي و المؤونة اللازمة في حالة الحصار أو حرب طويلة المدى.²

لذلك كان الموقع الاستراتيجي للمنطقة هو الدافع لأبي القاسم في اختطاط مدينة المحمدية، حيث خط برمحه في الأرض صفة بنائها وهو راكب على فرسه³، وبعد بنائها عرفت المدينة تطورا كبيرا في جميع الميادين والمجالات، وأصبحت منذ الوهلة الأولى عامرة بالناس والتجار.⁴

والجدير بالذكر أن مدينة المحمدية قد تعرضت للتخريب سنة 324هـ/936م، من طرف بنيها- علي بن حمدون- لدواعي سياسية، ثم أعيد بناؤها من جديد على يد ابنه جعفر بن علي بن حمدون، حيث عرفت المدينة تطورا واتساعا عمرانيا ومعماريا جعلها في مصف المدن الكبرى، التي يشد إليها الرحال، وهذا كله لحسن سياسته وتسييره.⁵

وعلى ضوء ما سبق نستخلص أن تخطيط مدينة الحمديّة قد جمع بين خصائص المدن العسكرية و المدنية، والواقع أن التجارب والمعارف العمرانية في بناء المدن الشيعية مثل المهدية وغيرها، كانت متصلة بالإرث الحضاري الإسلامي في مجال العمران.⁶

وقد تحول هذا الإرث الحضاري تدريجيا إلى تقليد في بناء المدن تردد صداها في معظم المدن الإسلامية⁷، وسواء كانت مدنا أسست لأسباب عسكرية أو أسباب حضارية، أو كليهما معا

¹ عبد القادر قرمان: مدينة المسيلة، النشأة والتطور في العهد الإسلامي، ضمن الملتقى الوطني الأول حول

تاريخ وأعلام المسيلة من 27-29 أفريل، دار الثقافة، المسيلة 2009م، ص33.

² محمد اليعلاوي: ابن هانئ المغربي الأندلسي (320هـ-931م/362هـ-973م) شاعر الدولة الفاطمية،

دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985م، ص85.

³ ابن حماد: المصدر السابق، ص24، الحموي: المصدر السابق، ج5، ص120.

⁴ البكري: المصدر السابق، ص59.

⁵ ابن حيان القرطبي: المصدر السابق، ص34، جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

1992م، ص367.

⁶ عبد العزيز لعرج: مدينة المنصورية المرينية بتلمسان، دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعماؤها

وفنونها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2006م، ص63.

⁷ لعرج: المرجع السابق، ص63.

كالمحمدية, فإن ذلك يتضح من خلال اختيار موقعها كما أثر المسار الحضاري في تخطيطها
لجمعها بين الشروط الأساسية في بناء المدن وهي "دفع المضار وجلب المنافع".¹

ولكن ما هو متعارف عليه باتفاق معظم الباحثين المهتمين بالعمارة أن كيفية تخطيط المدن,
تعتمد أقساما كبرى, نجلها فيما يأتي:

أ- القسم الأول: وهو قلبها النابض, ويمثله مركز المدينة ووسطها وهو المركز الديني
والاقتصادي والاجتماعي, ويضم عدة منشآت عمرانية أهمها: المسجد الجامع, دار الإمارة أو
قصر الحاكم, الذي من خلاله تسير أمور الدولة, والسوق الرئيسي وهو مركز المبادلات
التجارية الداخلية والخارجية.²

ب- القسم الثاني: ويتمثل في الخطط أو الأحياء السكنية بها من ساحات وحمامات, ودكاكين
وأزقة و دروب.³

ج- القسم الثالث: وهو سور المدينة بمنافذه وأبراجه وأبوابه, وهو على صلة مباشرة بوسطها
عبر شوارعها الرئيسية, وهي ضرورة تتطلبها كل مدينة لحماية أقسامها من الاعتداءات
الخارجية.⁴

وكل هذه الأقسام الثلاثة الكبرى في المدينة الإسلامية يرتبط كل منها بالآخر ويكمل بعضها
البعض من حيث الوظيفة والتخطيط.⁵, ويبدو أن النمو السكاني للمدينة بالناس والتجار⁶ كان
سببا في هذا التخطيط.

و مما لا شك فيه أن مؤسس مدينة المحمدية قد اتبع في بنائها وتخطيطها الخطوات نفسها,
وهذا اعتمادا على أشكال المدن الشيعية السابقة التي أسستها الدولة الفاطمية كالمهدية وغيرها
والتي تشكلها المحاور المذكورة سابقا.

2- المنشآت العمرانية لمدينة المحمدية

تفطن الفاطميون لأهمية إقليم الحصنة, نظرا للموقع الاستراتيجي الهام الذي تتربع عليه
من الناحيتين العسكرية(الأمنية), والاقتصادية(الزراعة والتجارة), لذلك عرف هذا الإقليم أوج
تطوره من ناحية العمران في العصر الإسلامي الوسيط -عهد الدولة الفاطمية- وعليه يمكن أن

¹ ابن خلدون: المقدمة, ص432.

² ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية, دار الشروق للطباعة والنشر, القاهرة1994م, ص
60-61.

³ عبد الستار عثمان: المرجع السابق, ص85.

⁴ أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها, دار المعارف, القاهرة1961م, ص295.

⁵ عبد العزيز لعرج: المرجع السابق, ص80.

⁶ البكري: المصدر السابق, ص59.

تميز بين صنفين من العمران الموجود بالمنطقة، أحدها عمران عسكري والآخر عمران ديني ومدني.

أ- العمران العسكري:

إن في استقرار تاريخ المدن بالمغرب خلال العصر الإسلامي الوسيط ما يكثف هيمنة العوامل العسكرية بهواجسها الأمنية و الدفاعية على بقية العوامل المتحكمة في تأسيسها كبناء الأبراج والأسوار والقلاع والحصون، وتكمن أهمية هذا النوع من البناء في العهد الفاطمي لعدة الأسباب منها:

* حماية وتوفير الأمان للعمران المدني من هجمات القبائل الزناتية المعارضة للوجود

الفاطمي بالمغرب الأوسط، ومن هجمات السكان المحليين المبعدين عن أراضيهم.¹

* حماية شبكة الطرقات التي أقيمت بين المدن للحفاظ على المصالح الاقتصادية، أي حماية القوافل التجارية وردع أي اعتداء قد تتعرض له مصالح الدولة الفاطمية انطلاقاً من مدينة المحمدية.²

لذلك كانت الحماية والتحصين الطبيعي والاصطناعي، المتمثل في الخنادق والحواجز عناصر أساسية في بناء المدن³ وقد توفرت المحمدية على هذه المنشآت العسكرية التي نوهت بها المصادر وبتحصيناتها⁴، ومن أهم هذه المنشآت نذكر:

- البرج:

لا شك أن استفحال الحروب وتقلص ظل الدولة عنها قد أفضى إلى اهتمام كبير بالتحصينات، وسكنى الحصون والأبراج والقرى المسورة، ومن ذلك مدينة المحمدية التي بدأ بنائها ببرج في موضعها، للحراسة والمراقبة خاصة وأن الظروف التي بنيت فيها كانت ظروف حرب، ثم امتدت وتوسعت رقعتها تحت البرج بعد ذلك، وإن كنا في حاجة إلى الإطلاع على أنواع التحصينات التي ابتكرها الفاطميون في هذه المنطقة، فلا شك أنهم قد استعملوا حصونا أخرى كانت موجودة من قبلهم، وكانت على حالة جيدة، فاستعملوها من غير مشقة مع الترميمات الخفيفة التي أضافوها عليها، نظراً لأهميتها، ودورها الأساس في دفع الخطر وصد الغارات.

¹ الهوارية بالطيب: المرجع السابق، ص30.

² عبد القادر قرمان: المرجع السابق، ص33.

³ عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص122.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص85، البكري: المصدر السابق، ص59، الإدريسي: المصدر السابق، ج1،

ص262، الحموي: المصدر السابق، ج5، ص65.

ومن هذه القلاع، قلعة بلزمة¹، وقلعة باغاية²، وقلعة طبنة³ وغيرها، وهي شديدة التحصين و كانت تقام في مواقع متميزة مرناحية الإستراتيجية⁴، وذلك من أجل صد هجمات القبائل المناوئة لها.⁵

- بناء السور:

يظل تسوير المدن، وتحصينها لجعلها بمنأى عن الحروب والفتن والغارات والغزوات من أبرز المظاهر الكاشفة عن طغيان الهاجس الأمني، والطابع العسكري في المجال المعماري⁶، فكان بناء السور في العهد الفاطمي من أكثر التحصينات التي تحمي المدينة من الداخل، وقد ذكر أن المحمدية كان يحيط بها سور واحد من طوب⁷، بينما ذهب البعض الآخر إلى القول بأنه يحيط بها سوران وجدول ماء.⁸

ويرى الأستاذ محمد الصالح مرمول⁹ أن الرأي الأخير فيه اختلاف بين القائلين به، فهناك من قال بأن جدول الماء يفصل بين السورين، بينما ذهب البعض الآخر إلى أنه يلي سوري المدينة ويحيط بهما، ثم رجح الرأي الثاني وقال حتى يمكن تفجير مائه عند الضرورة في وجه العدو قلة تقدمه، حيث تكون مهمته كمهمة خندق زويلة من الجهة الغربية، ونذهب إلى ترجيح هذا الرأي ونراه زيادة في تحصين المدينة وتقوية لدفاعاتها، وقد جعل للمدينة بابين سمي أحدهما بباب القاسمية نسبة إلى أبي القاسم محمد، وسمي الآخر بباب الأمور¹⁰،

¹ وشكل الحصن مربع تقريبا وتبلغ أطواله 112×125 متر، مما يعطينا متوسط مساحته 1.4 هكتار أما جدران هذه القلعة فيصل سمكها إلى 2 متر، مدججة بأربعة حصون في الزوايا، تقدر ب 9.30×10.70 متر، للمزيد أنظر، عيش: المرجع السابق، ص358.

² وتتميز قلعة طبنة بعدم الانتظام في مرسمات الأسوار، وحجم الأبراج والمسافات، مما يدل أن سكان المدينة هم الذين قاموا ببنائها بخلاف انتظام أسوار وأبراج الحصن المتداخلة مما يبين أن مهندسين عسكريين أشرفوا على بنائها، للمزيد أنظر، شنيطي: المرجع السابق، ج2، ص ص419-422.

³ تتميز بانتظام شكلها المستطيل، وتمائل أبراجها في شكل تناظري، وتأخذ أبراج الزوايا بها حجما أكبر على أبعاد 72.5×54 متر، شنيطي: المرجع السابق، ج2، ص429.

⁴ شنيطي: المرجع نفسه، ج2، ص429.

⁵ مصطفى دببس: الفن الإسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين، ضمن ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، المهدية 12-15 أوت 1975 م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1977م، ص79.

⁶ حميد تيتاو: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م، إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية (سلسلة أبحاث)، الدار البيضاء 2009م، ص516.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص85.

⁸ البكري: المصدر السابق، ص59، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص190.

⁹ نشأة المسيلة وتطورها، مجلة سيرتا، مجلة تاريخية اجتماعية، العدد04، تصدرها كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 1980م، ص42.

¹⁰ ابن حماد: المصدر السابق، ص25.

- المخازن:

أمر أبو القاسم محمد واليه على المحمدية عليا بن حمدون أن يكثر فيها من المؤن ويدخرها لوقت الشدة، وبفضلها تمكن الفاطميون من التغلب على الأزمات والحروب التي تحل بالبلاد، من خلال إخراج هذه المواد التموينية واستخدامها في مثل هذه الظروف.¹

ويبدو أن غنى المحمدية وتمتعها بثروة اقتصادية قد لفتت أنظار الفاطميين إليها فاعتبروها موردا هاما للمؤونة، التي هم بحاجة إليها²، وتجلى هذه الأمر في طلب أبو القاسم محمد لواليه على المحمدية أن "يذخر فيها الأقوات، وأنواع المأكولات، وكل ما تنضم إليه الضرورة، ففعل وزاد..."³

ويتبادر إلى الذهن أنها سياسة اقتصادية صرفة، يراد بها مواجهة الأزمات الاقتصادية في المدينة، غير أن ابن حماد يفند ذلك حيث ذكر: "أن واليه على المحمدية كان يكتب إلى أبي القاسم محمد إذا ارتفعت الأسعار وأغبت الأمطار يستأذنه في البيع ويعلمه بما في ذلك من الزيادة والنفع، فيأباه وينهاه ويأمره بالاستكثار والادخار..."⁴

وفي الواقع هي سياسة اقتصادية عسكرية، يهدف من خلالها خلفاء الدولة الفاطمية إلى تموين جيوشهم وعساكرهم القادمة من مركز الخلافة بالمهدية إلى المغرب الأوسط، لإخضاع قبائل زناتة، وما يستلزم ذلك من أسواق لتمويل هذه الجيوش.⁵

ب- العمران الديني:

- المسجد:

يشترط في المدينة الإسلامية أن يبنى فيها جامعا للصلاة في وسطها حتى يتعرف الوالي على جميع أهلها⁶، والمسجد الجامع كان أول ما يختط من تكوينات معمارية في المدينة، وهو من وجهة نظر فقهية من الميزات الحضارية للمدينة الإسلامية، ويشترط أن يتوسط المدينة حتى يسهل الوصول إليه من أطرافها المختلفة.⁷

ويأتي مسجد مدينة المحمدية في المرتبة الثانية من حيث المساجد التي أسست بالمغرب في العهد الفاطمي، مسجد المهديّة، ونرى أنه قد أخذ نفس التصميم الذي كان عليه مسجد المهديّة

¹ ابن خلدون: العبر، ج4، ص51.

² جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص366.

³ ابن حماد: المصدر السابق، ص25.

⁴ نفسه.

⁵ وقد ذكر أن هناك أسواق خاصة بتمويل الجيوش الفاطمية أثناء حملاتها العسكرية، للمزيد أنظر الجوزري

أبو علي منصور العريزي: سيرة الأستاذ جودر، تحقيق محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة،

مطبعة الاعتماد، مصر 1984م، ص43.

⁶ ابن أبي الربيع: المصدر السابق، ص107.

⁷ عبد الستار عثمان: المرجع السابق، ص103.

ولكن هذا المسجد تغير كثيرا عن أصله الفاطمي، ولم يبق من مكوناته في الوقت الحاضر ما يدعو إلى التوقف عنده¹.

ج- العمران المدني:

- دار الإمارة:

كانت طنبنة عاصمة الزاب ومقر إقامة الولاة، قبل بناء مدينة المحمدية، وبعد بنائها انتقل مركز الثقل إليها، وأصبحت هي الواجهة السياسية والإدارية والمركز التجاري والحضاري للمنطقة الممتدة ما بين باغاية شرقا إلى تاهرت غربا².

ومع الأهمية السياسية والإدارية لدار الإمارة بالنسبة للمدن، تضمنت هذه الأخيرة هذا الجهاز الإداري الهام كالمهدية مثلا، كون هذا الجهاز مقر الحاكم أو السلطان، ويشمل أيضا عمال الوالي في القيام بدوره كالوزير الذي يستشير ويتباحث معه في الأمور التي تتطلب الاستشارة قبل اتخاذ القرارات³، بالإضافة إلى الكاتب الذي يكتب الرسائل والكتب إلى الأقاليم ومقر الدولة الفاطمية بالمهدية، مطلعًا إياهم عن الأجواء السياسية والعسكرية، وما تتعرض له الدولة من مؤامرات وفسائس في المغرب الأوسط.

ومما يبين المكانة التي بلغتها المحمدية من الناحية الإدارية والديمغرافية كونها أصبحت قبلة للتجار والفقهاء وحتى الجواسيس، ما ذكره جوذر عن رجل يدعى عثمان بن أمين يكاتب بني أمية ويقدم في الدولة الفاطمية انطلاقًا من المحمدية، فما كان من جوذر إلا أن كتب إلى جعفر بن علي بن حمدون والي المحمدية يذكره صورة أمر هذا الرجل عنده⁴.

- التجمعات السكنية:

تجدر الإشارة إلى أن موضع المحمدية كان لبني كملان وبني برزال وهم بطون من هوار⁵، فقام أبو القاسم في إطار تدابير احترازية من نقلهم إلى المنطقة الريفية الواقعة جنوب شرق القيروان⁶، ليكونوا بعيدين عن مراكز نفوذهم، ومكمن قوتهم التي تستمد من ثروات وخيرات المحمدية المكتفية ذاتيا⁷، ومن جهة أخرى حتى يكونون قريبين منه فتسهل عليه مراقبتهم⁸، وذلك لما أبدته هذه القبائل منذ الوهلة الأولى من معارضة للنظام الجديد ومذهبه، وما يمثله ذلك

¹ مصطفى دببسي: المرجع السابق، ص79.

² مرمول: المرجع السابق، ص299.

³ بوبة مجاني: النظم الإدارية، 238.

⁴ أبو منصور الجوذري: المرجع السابق، ص123-124.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص85، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص254، ابن عذارى:

المصدر السابق، ج1، ص190.

⁶ ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص36.

⁷ الهوارية بالطيب: المرجع السابق، ص30.

⁸ ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص51، المقرئزي: المصدر السابق، ج1، ص72.

من خطورة على استقلالها السياسي وحقّ تمتعها بثروات المنطقة الاقتصادية¹، وبالمقابل عُمرت المدينة بقبيلة عجيصة وجماعة من العبيد، حيث انتقل إليها كثير من سكان المناطق المجاورة، فاتسع عمرانها وراجت تجارتها وتنوعت وازدهرت أوضاعها في مختلف الجوانب.² والحقيقة أنه لم تقف المصادر التاريخية والجغرافية عند دور ومساكن المحمدية أو أي وصف لها، ما عدا وصف الوزان الذي أشار إلى جمال أسوار المدينة وقبح دورها³، وإن كان وصفا متأخرا، إلا أننا وجدنا في بعض الأبيات من قصيدة ابن هاني الأندلسي وصفا لمدينة المحمدية ودورها وبعض معالمها العمرانية كالقصور التي كانت منتشرة بها، وما يمثله القصر من إشارة إلى المنزل الفخم⁴ الذي يسكنه الأمراء وعلية القوم، حيث يقول⁵:

إيوان ملك لو رأته فارس *** ذعرت وخر لسمكه إيوانها
واستعظمت ما لم يخلد مثله *** سابورها قدما ولا ساسانها
تغدو القصور البيض في جنباته *** صورا إليه يكل عنه عيانها
والقبة البيضاء طائرة به *** تهوي بمنخرق الصبا أعناقها.⁶

فالشاعر يصف لنا قصور المحمدية المنتشرة في جنباتها، والتي شبهها يوان كسرى الذي عرف عبر التاريخ بعظمته، وإن كنا نستشف من هذه الأبيات جمال قصور المحمدية وعمائرها، إلا أنها تبقى مجرد أبيات قيلت بهدف المدح ولا يمكننا أن نعول عليها كثيرا، حيث يبقى ابن هاني الأندلسي مجرد شاعر يعتمد على الخيال الشعري الأدبي والفني.⁷

- السوق:

يعتبر السوق من المرافق الأساسية العامة في المدن، وقد تطور إنشاؤه مع تطور الحياة 'جتماعية واقتصادية في المدينة، تبعا لتطور نظم التجارة وغيرها، وذلك أن اتساع العمران وكثافة السكان تعني ازدياد الطلب على السلع على اختلافها، وهذا يتعكس إيجابا على ازدهار

¹ الهوارية بالطيب: المرجع السابق، ص30.

² مرمول: المرجع السابق، ص299.

³ الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص52.

⁴ محمد حسن: الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/7-15م، دار الكتاب

الجديد المتحدة، بيروت2004م، ص45.

⁵ من بحر الرجز.

⁶ علي زاهد: تبیین المعاني، ص ص 760-761.

⁷ محمد اليعلاوي: ابن هاني الأندلسي المغربي، ص48.

الزراعة والصناعة وخاصة إذا توفرت القوة الشرائية¹، وقد كان لمدينة المحمدية أسواق عديدة، كما أشار البكري.²

- الحمامات:

إن المعنى اللغوي للحمام هو الماء الساخن، وبعد الاغتسال في الحمامات ظاهرة قديمة عرفتها الشعوب منذ القدم كالمصريين والكنعانيين واليونانيين والرومانيين، وقد وصلت هذه العادة إلى سلوك المسلمين مبكرا لأن الإسلام يحث على الاغتسال والطهارة، فكان المسلمون يترددون باستمرار على الحمامات لتطهير أجسامهم وتنظيفها للقيام بواجب الوضوء والملاحظ من خلال ما أورده كتب الجغرافيا، الانتشار الواسع للحمامات في أرجاء الحواضر الكبرى لمغرب الأوسط، فلا تكاد نجد وصف لمدينة يخلو من ذكر حماماتها، بل يلاحظ كثرتها داخل المدينة الواحدة، ففي كل وصف تذكر الحمامات في صيغة الجمع ونادرا ما يذكر حماما مفردا، وينطبق هذا الأمر على مدينة المحمدية التي بها حسب البكري³ حمامات، مما يدل على بلوغ المحمدية شأن الحواضر الكبرى في المغرب الأوسط وهذا يعكس مدى الانتشار الواسع لهذه المؤسسة الاجتماعية بها.

¹ جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص84.

² المصدر السابق، ص59، أنظر أيضا: Massiera,(P): op,cit,p.191

³ المصدر السابق، ص59.

ثالثاً: المحمدية من الحرب إلى الحياة الحضرية.

1- ثورة صاحب الحمار ودور المحمدية في إخمادها:

جاء وفاة عبيد الله المهدي، أطلق أهل المغرب العنان لثوراتهم التي أخذت براكينها تنفجر في المغرب كله¹، وقد اتفقت المصادر الإسماعيلية على أن عصر الخليفة الثاني أبو القاسم كان عصر مشوب بالتكدير لكثرة الثورات التي قامت فيه²، أما الثورة التي شكلت خطراً حقيقياً على كيان الدولة الفاطمية، وأوشكت على اقتلاعها من الجذور فهي ثورة صاحب الحمار³. ويرى كمببزا (Cambuzat)، أن إعلان الثورة وشموليتها يعبر عن ردة فعل اجتماعية واقتصادية، تترجم عدم رضا السكان سواء كانوا حضريين أو ريفيين عن السياسة الفاطمية المتبعة⁴، والمتمثلة أساساً في الضرائب الفادحة التي كانت تفرضها على أصحاب الأراضي⁵، بل مست حتى الحجاج القاصدين لبيت الله الحرام⁶. كما لقي أبو يزيد تعاطف فقهاء المالكية الذين تعرضوا لاضطهاد عبيد الله المهدي، والتي كان مبدؤها أولاً بإصدار أوامره بمنعهم من الفتوى، والإسماع والاجتماع بالطلبة حتى يعزلهم عن الرعية، ثم شرع بعد ذلك أنواعاً من العقوبات لن يخالف أمره، ومنها التغريم والمصادرة والضرب والقتل والتمثيل⁷، مما جعل فقيه المالكية بالمحمدية أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (المتوفى سنة 402هـ/1012م)، يفتي بشرعية الخروج والهجرة من إفريقية كونها أصبحت دار كفر⁸.

لذلك كله ولغيره نقم فقهاء المالكية على عبيد الله المهدي ووقفوا من دولته موقف العداء والمعارضة⁹، ثم إن أبا يزيد هبط من جبل أوراس يدعو إلى الحق بزعمه ولم يعلم الناس مذهبه فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة¹، وقد وجد أبو يزيد دعم الفقهاء الذين أفتوا بمشروعية الخروج

¹ حول هذه الثورات أنظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص277، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص209، ابن خلدون، العبر، ج4، ص51.

² القاضي النعمان: المصدر السابق، ص277، القرشي: عيون الأخبار، ج5، ص172، وأيضاً زهر المعاني، ص227.

³ واسمه أبو يزيد مخلد بن كيداد من الخوارج النكارية، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م، ص236
⁴ Cambuzat : op,cit,p.123.

⁵ بوبة مجاني: دراسات، ص126.

⁶ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص186.

⁷ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بالدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ومحمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس بلا تاريخ، ج2، ص292.

⁸ أبو الفضل بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي: تقريب المدارك وترتيب المسالك لمعرفة أعلام مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، دار الفكر، طرابلس، بلا تاريخ، ج3، ص332.

⁹ محمد اليعلاوي: الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين، ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، 15-17 أبريل 1994م، مركز الدراسات

عن العبيديين ورفع راية الجهاد والتصدي للدولة الطموية والمذهب الإسماعيلي، ليس بالخطب والدعاء عليهم فقط، وإنما بالسلاح أيضا.²

غم اعتراف المصادر الإسماعيلية بشمولية وخطورة هذه الثورة، إلا أنها أرجعت أسبابها إلى عمل الخوارج المارقين الذين يتولون أبا بكر وعمر ويسيرون بزعم الإصلاح في تأليب البربر على الدولة العلوية.³

وكان منطلق هذه الثورة المغرب الأوسط لأنها منطقة وعره وحصينة توفر لأبي يزيد وأتباعه الحماية والمنعة والاستعداد⁴، مستفيدا من موقع جبل أوراس القريب من إفريقية، كما أن صعوبة مسالكه تقلل من فعالية الجيوش النظامية⁵، وقد تمكنت هذه الثورة في أقل من ستة أشهر من إخضاع إفريقية وجميع مدن القيروان، ولم يبق للفاطميين إلا المهديّة.⁶

وأمام اشتداد ثورة أبي يزيد، قام أبو القاسم سنة 333هـ/944م، إلى إتباع إستراتيجية دفاعية حصينة للحفاظ على المهديّة من السقوط، كان منها طلب المساعدة والاستفادة من قاعدته العسكرية بالمغرب الأوسط، حيث أرسل إلى والي المحمدية يطلب منه العون المادي والبشري.⁷

وتذكر المصادر أن علي بن حمدون، قد قام بتعبئة جيش غفير من مدينة المحمدية وما جاورها، وتوجه بهم رأسا إلى المهديّة لفك الحصار المضروب عليها⁸، كما كان للمحمدية دور حاسم في القضاء على الثورة لما انحصر نشاطها في المغرب الأوسط، عهد الخليفة الثالث أبو

الإسلامية بالقيروان، دار الكتب الوطنية للتوثيق والإعلام، تونس 1995م، ص37.

¹ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص216.

² الطاهر المنصوري: علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، تنسيق حسن حافظي العلوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2008م، ص53.

³ القاضي النعمان: المصدر السابق، ص72، القرشي: عيون الأخبار، ج5، ص173.

⁴ De lacy O'leary: A short history of the fatimide khalifat, printed in great Britain john Robert, press limited, London 1923,p.91.

⁵ موسى رحمانى: الأوراس في العصر الوسيط، من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 27-362هـ / 637-972م، دراسة اجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ، إشراف بوبة مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسنطينة 2006-2007م، ص90.

⁶ جمال الدين أبو المحاسن علي بن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بالزيريين مخطوط، نقله أحد المستشرقين في كناش ضمن مجموع C، المكتبة الوطنية، الجزائر 2321، الورقة 5، و.

⁷ ويعتبر طلب المساعدة العسكرية من ابن حمدون من أهم الخطوات الإستراتيجية التي قام بها القائم بأمر الله، للحفاظ على المهديّة وفك الحصار المضروب عليها، حيث أشار القرشي إلى أن أبا يزيد قد ارتبك وتحير لما علم بالأمر وذلك من خلال إلقاء القبض على أحد الرسل الحاملين لهذه الكتب، فخاف أن يحدث عليه أمر لا يطيق دفاعه، عيون الأخبار، ج5، ص199-200.

⁸ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص195، ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص54، المقرئزي: الاتعاض، ج1، ص81.

الظاهر المنصور (334-341هـ/945-952م)¹، الذي تمكن من حصار أبي يزيد وأتباعه في جبال كيانة² ذات المسالك الصعبة والوعرة³.

ثم القضاء عليه سنة 336هـ/947م⁴، ويعود ذلك إلى سببين مهمين:

* قرب مدينة المحمدية من بلاد كتامة، مما سهل على المنصور طلب المدد البشري والمادي كلما احتاج إليه أثناء محاصرته لأبي يزيد في جبال كيانة، حيث ذكرت المصادر أنه استدعى كتامة وعجيسة وزاوة، وغيرهم للوفود إلى مدينة المحمدية⁵.

* الإمكانيات الاقتصادية التي تتمتع بها المحمدية، بالإضافة إلى المون التي تم تخزينها عند تأسيس المدينة، والتي ساعدت الجيش الفاطمي على التزود بالماء و المؤونة في عمليات الحصار التي تتطلب وقتا طويلا، يحتاج معه إلى الارتفاق والتزود بالطعام⁶.

وتأسيسا على ما سبق، يمكن القول أن مدينة المحمدية قد جمعت بين خصائص المدن العسكرية والاقتصادية، مما سهل على الفاطميين القضاء على ثورة صاحب الحمار، وذلك

لتمتعها بعدد الإمكانات البشرية والعسكرية والاقتصادية التي أحسن الفاطميون استخدامها في حربهم ضد أعدائهم، وبذلك تمكنت المدينة⁷ من إخضاع الجبل والقلعة لسلطة الفاطميين حسب تعبير أحد الباحثين⁸.

2- الحياة الحضرية لمدينة المحمدية:

كان لثورة صاحب الحمار آثار سلبية على المغرب كله، على المستوى الاجتماعي

والاقتصادي والعمراني، حيث قوض الاقتصاد وتعطلت الزراعة وتوقف العمران والبناء المرتبط بهما، وعم الخراب والتدمير عديد القرى والمدن⁹.

¹ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص204، البهروجي: المصدر السابق، ص237، القرشي: عيون الأخبار، ج5، ص199.

² يطل على بحيرة الحضنة ويسمى بجبل المعاضيد، وهو موقع عسكري هام، إهتم به الرومان من قبل فشيديوا به معقلا عثر على آثاره، للمزيد انظر:

Rebert .M.A: la Kalaa et Tihmamine, Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique de Constantine, 1903, pp.235-236

³ أنظر الصورة رقم 06.

⁴ ابن حماد: المصدر السابق، ص32-48، ابن خلدون: العبر، ج4، ص56، أبو محمد عبد الله بن محمد ابن أحمد التجاني: الرحلة، قدم لها حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا 1981م، ص327

⁵ المقرئزي: المصدر السابق، ج1، ص81، المقفي، ص155، القرشي: المصدر السابق، ج5، ص200.

⁶ ابن حماد: المصدر السابق، ص25، ابن خلدون: العبر، ج4، ص50.

⁷ أنظر الخريطة رقم 02.

⁸ موسى لقبال: الحلف بين أهل السنة والنجارية في القرن 4هـ/10م، وأثره في تطور مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس، مجلة الأصالة، العدد60-61، الجزائر 1979م، ص64.

⁹ أبو العباس احمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر 1974م، ج1، ص101.

كما أن انشغال الدولة الفاطمية بمواجهة الثورات المناهضة لها كان على حساب العمران والبناء، حيث عزا إدريس القرشي ذلك إلى غياب الأمن والاستقرار في إشارة منه، " أن العدو يشغل عن البناء والعمران".¹

وإذا كانت الثورات والحروب تحطم الدول والحضارات، فإن أحد الباحثين²، يرى " أن للحروب دورا مهما وفعالا أيضا في ظهور حضارات جديدة، وذلك من خلال الدور الفعال الذي تقوم به في التحولات الاجتماعية"، فرغم إخفاق ثورة صاحب الحمار إلا أنه تمخض عنها نتائج هامة على الصعيد السوسيو اقتصادي، تنطوي على مزيد من الإصلاح³، على المستوى المذهبي⁴ والمالي⁵ وذلك من أجل إعادة تنظيم البلاد وتعميرها.⁶

وقد انعكست هذه السياسة العمرانية للدولة الفاطمية على مدينة المحمدية بالإيجاب في الجانب الزراعي والتجاري.

أ- الجانب الزراعي:

تميزت المنطقة التي بنيت عليها المحمدية، من الناحية الإستراتيجية الجغرافية عبر العصور بحيوية خاصة، ارتكزت على مصدرين مهمين هما: التربة الخصبة والمياه الجارية، مما أهلها لأن تكون مدينة عظيمة على نظر كبير.⁷

وذلك لتوفرها على فحوص كثيرة⁸ و سهول خصبة مترامية الأطراف من جنوب التلال الشمالية، إلى شط الحضنة والتي تزيد مساحتها على 8500 كلم.⁹

كما عرفت المدينة بخصوبة تربتها، وذلك بفضل مياه نهر سهر الذي يستدير بالمدينة، وله منافذ تسقى منه عند الحاجة¹⁰، مع توفرها على مخزون هام من المياه الجوفية التي تغذيها

¹ المصدر السابق، ج5، ص340.

² غاستون بوتول: الحرب والمجتمع، تحليل اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية، ترجمة

عباس الشربيني ومراجعة وتقديم محمد علي محمد، دار النهضة العربية، بيروت 1983م، ص ص19-20

³ محمود إسماعيل: سوسولوجيا الفكر الإسلامي، طور الازدهار(1) الخلفية السوسيو تاريخية، الطبعة الثانية، سينا للنشر، القاهرة 2000م، ص171.

⁴ حيث تخلق عن فرض المذهب الإسماعيلي بالقوة، فأطلق المحدثين في الحديث والناس في إقامة صلاة التراويح، عبد الجبار الهمداني: تثبيت دلائل النبوة، حققه وقدم له عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت بلا تاريخ، ج2، ص602.

⁵ حيث خفف من عبء المغارم والضرائب على كاهل السكان، وترك فقد ما أحدثه الشرع، للمزيد أنظر، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص ص173-174.

⁶ كاشف سيدة إسماعيل: الدعوة الفاطمية في المغرب قبل قيام الخلافة الفاطمية فيها، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهدية 4-7 أوت 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م، ص 126.

⁷ مجهول: الاستبصار، ص172.

⁸ القرشي: المصدر السابق، ج5، ص140.

⁹ كمال بيرم: المرجع السابق، ص9.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص85.

الأمطار المنحدرة من المرتفعات الشمالية وتصب نحو السفوح الجنوبية، الأمر الذي أعطى للمنطقة حيوية زراعية، وحركية اجتماعية، قام عليها استقرار بشري منذ عهد الرومان.¹ وتبعاً لذلك، تنوعت محصولاتها وامتدت مزارعها وكثرت منتجاتها، حتى زادت على كفاية أهلها، ولقد تنوع الإنتاج الزراعي بالمحمدية بين محاصيل وغللات مختلفة من مزارع قطن وقمح وشعير.²

ونفس الشيء يقال عن الإنتاج الحيواني الذي فاق الاحتياج المحلي فكثرت بالمحمدية المواشي من الدواب والأنعام والبقر حتى أصبحت نتيجة لذلك، كثيرة اللحوم رخيصة السعر³، بالإضافة إلى وجود نوع من الأسماك النادر في غيرها من البلدان، فكان أهل المحمدية يفتخرون به.⁴ مما لا شك فيه أن الدولة الفاطمية قد عملت على تعزيز مكانتها بالمغرب بعد قيامها بمكاسب اقتصادية انعكست بالإيجاب على الجانب العمراني للمنطقة بالإضافة إلى استفادة الدولة منها في تحقيق مشروعها السياسي المتمثل في العودة إلى المشرق وإسقاط الخلافة العباسية السنية وقيام الدولة الفاطمية الشيعية، وعاصمتها بغداد.⁵

ولقد شهدت المحمدية نشاطاً تجارياً مع المدن المجاورة كإفريقية والقيروان، بسبب وفرة الإنتاج الزراعي فيها، فكان الفائض منه ينتقل إلى المناطق التي تحتاج إليه⁶، وهذا ما أكد عليه ابن حوقل، إذ كان يربط بين الإنتاج الزراعي والحركة التجارية فقد ذكر بعضاً من هذه السلع، ومنها السفرجل المعنق الذي اشتهرت به المحمدية حتى كان يحمل إلى القيروان، وأصله من تنس.⁷

ويظهر أيضاً أن القطن الذي كانت المحمدية تشتهر به نتيجة نوعيته الجيدة وتوفره بكثرة قد خصصت له مزارع خاصة به تعرف بمزارع القطن⁸، وذلك لدوره في الصناعات التي يكون فيها القطن مادة أساسية كالسجاد والنسيج التي تطورت وازدهرت بإفريقية والقيروان⁹

¹ أم الخير العقون: المرجع السابق، ص2، محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2008م، ص25.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص85، البكري: المصدر السابق، ص59، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص254، (P): Massiera, op, cit, p.191.

³ البكري: المصدر السابق، ص59.

⁴ الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص254.

⁵ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص252.

⁶ صباح إبراهيم الشبخلي: النشاط التجاري في بلاد المغرب، خلال القرن الرابع الهجري، دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة التاريخ العربي، العدد6، جمعية المؤرخين المغاربة، المغرب الأقصى 1998م، ص34.

⁷ المصدر السابق، ص85.

⁸ أبو الفدا عماد إسماعيل بن محمد بن عمر:، تقويم البلدان، اعتنى بتحقيقه البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس 1830م، ص139.

⁹ جورج مارسيه: المرجع السابق، ص207.

بالإضافة إلى التمور التي اشتهرت بها بلاد الزاب لكثرة أشجار النخيل بها، فكانت تحمل إلى تونس.¹

ب- الجانب التجاري:

شكّلت المحمدية إحدى أهم المحطات التجارية، وذلك لتمييزها بالنشاط الزراعي الذي كان يقوم بدور أساسي في تنشيط الحركة الاقتصادية والتجارية²، ولأن الاقتصاد يقوم على التجارة فقد كان لتحريك القوافل التجارية باتجاه بلاد السودان من الحوافز، خاصة مع اكتشاف الذهب الذي كان حدثاً له أهميته الكبرى في القرن الرابع الهجري/10م.³

وعلى هذا الأساس أصبح للقوافل التجارية في المغرب أهمية خاصة بالنسبة للدولة الفاطمية، التي عملت على ربط شبكة من الطرق تخترق بلاد المغرب الأوسط، تبدأ من القيروان وتنتهي عند المغرب الأقصى ومنها إلى بلاد السودان، فكانت على اختلاف أنواعها مهيأة ومحطاتها متقاربة، وسارت هذه الطرق مع مراكز الإنتاج والاستهلاك⁴، وفي إشارة واضحة على تعدد الطرق من القيروان إلى بلاد السودان يؤكد ابن حوقل "أن للقيروان تجارة غير منقطعة إلى بلاد السودان وسائر البلدان مع أرباح متوافرة"⁵.

بالإضافة إلى التجارة الأكثر ربحاً إن لم تكن الأكثر أهمية من حيث الكم وهي تجارة الصحراء التي كان ثقلها بسجل ماسية⁶، فكانت هناك شبكة من الطرق التي تخترق بلاد المغرب الأوسط، تعتبر شرايين بين أنحاء المختلفة كما أنها تربطه بالعالم الخارجي، فهناك طرق تربطه بالقيروان فالمشرق الإسلامي من ورائها، وطرق أخرى تربطه بالمغرب الأقصى فالأندلس، وأخرى تربطه ببلاد السودان.⁷

ونظراً لموقعها الاستراتيجي كبوابة للمغرب الأوسط، أصبحت مدينة المحمدية محط ابتداء وانتهاء الطرق التجارية، ومركز التقاء الطرق الصحراوية والجبلية والسهلية، لذلك تعددت

¹ أبو الفدا: المصدر السابق، ص139.

² إسماعيل سامعي: الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل، القرن 4هـ/10م، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد20، قسنطينة2006م، ص178.

³ محمد زنيبر: المرجع السابق، ص402.

⁴ الشيخلي: المرجع السابق، ص41.

⁵ المصدر السابق، ص96.

⁶ من مدن جنوب شرق المغرب الأقصى (واحة تافيلالت) المشهورة خلال العصر الوسيط، أسسها المدراريون في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وشهدت ازدهاراً كبيراً نظراً لمكانتها التجارية وموقعها الاستراتيجي بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، للمزيد من التفاصيل راجع، ابن حوقل: المصدر السابق، صص90-91، البكري: المصدر السابق، صص148-152، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، صص225-226، الحموي: المصدر السابق، ج3، صص192، مجهول: الاستبصار، ص200، الحميري: الروض المعطار، صص305-307، العروي: المرجع السابق، ج1، ص119.

⁷ جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص202.

الطرق إليها بين القيروان والمغرب الأقصى¹ ونقد أسفر هذا النشاط التجاري للمدينة على ازدهار عمرانها ومدني مواز.

وقد عد ابن حوقل ثلاث طرق برية داخلية، إذ نجد طريقاً رئيساً ذا اتجاهات عامة، وطرق أخرى فرعية، فالطريق الرئيس يربط القيروان بالمغرب الأقصى مروراً بالمحمدية، وأهم الطرق التي تربط القيروان بالمحمدية هي:

- الطريق الأول:

هذا الفرع يتوسط الفرعين الآخرين، ويبدأ من القيروان باتجاه مدينة تاهرت، وينتهي عند فاس، ويمر هذا الطريق على مناطق الإنتاج الزراعي والحيواني والثروة المعدنية، ويبدأ من القيروان إلى مجانة²، طريق يسير باتجاه الشمال إلى مدينة تيجس³.

ويستمر الطريق العام بالسير على مدينة باغاية⁴، إلى أسفل جبل أوراس إلى دوفانة ثم إلى طنبة، ماراً بدار ملول ثم يمر على مقرة وصولاً إلى المحمدية، ويستفاد من الإدريسي أن مسافة هذا الطريق اثنتا عشرة مرحلة⁵.

- الطريق الثاني:

وهو الفرع الشمالي من الطريق البري العام، إذ يبدأ من القيروان إلى مجانة، ثم يسير من الإربس عبر بلاد كتامة⁶، إلى تيجس، ويتفرع منه فرعان، أحدهما يتجه إلى بونة ثم الساحل، والثاني باتجاه قسنطينة ثم ميلة، حتى يصل إلى المحمدية⁷.

- الطريق الثالث:

وهو الفرع الجنوبي الذي يربط القيروان بالمحمدية، فيمر على المناطق الواقعة جنوب راس، وهي مناطق الواحات والجريد، ويربط هذا الطريق المحمدية بطنبة وبسكرة وتهودا ثم بادس⁸ باتجاه قسنطينة ونقطة⁹ انتهاء بقفصه الواقعة جنوب القيروان في مسافة قدرها تسع مراحل¹⁰.

¹ الشيلخي: المرجع السابق، ص 41-42.

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص 84.

³ نفسه، ص 84، الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 263.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 84.

⁵ أنس المهج وروض الفرج - قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان - تحقيق الوافي نوحى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 2007م، ص 207.

⁶ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

⁷ ابن حوقل: نفسه، ص 86، الإدريسي: المصدر السابق، ص 192.

⁸ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 1، ص 264.

⁹ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 87.

¹⁰ الإدريسي: أنس المهج وروض الفرج، ص 203.

وبعد أن تنتهي الفروع الثلاثة في المحمدية، تسير باتجاه الغرب حيث تنتهي عند فاس¹ مركز
اء الطرق بالمغرب الأقصى، والملاحظ أن ابن حوقل وصف هذا الطريق مقلوبا مبتدءا من
فاس ومنتهيا عند المحمدية لأنه سلكه في طريق من الغربي إلى القيروان.²

3- التطور العمراني لمدينة المحمدية:

من الملاحظ أن هناك عدة عوامل ساعدت المحمدية على أن تكون مركزا حضاريا في
المغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي، فكونها منطقة زراعية ساعد على وجود نشاط تجاري
هام، جعل منها حلقة وصل للطرق التجارية المغربية التي تربط القيروان بالمغرب الأقصى.³
وقد ساعد الثراء المالي الذي عرفته المحمدية من خلال حركة البيع والشراء⁴، بالإضافة إلى
مداخل الضرائب البرية والبحرية على السلع التجارية المارة منها في جزء كبير من وارداتها
المالية.⁵

والجدير بالذكر أن هناك أماكن خاصة بالمغرب تسمى المراصد ومهمتها جباية الضرائب من
التجارات الصادرة والواردة بين المدن⁶، فقد كان بالقرب من باغاية مرصدا في دار ملول،
وآخر بمدينة مقرة الواقعة قرب المحمدية⁷، أما من الجهة البحرية فقد كان مرصد تنس⁸، وهي

¹ يعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري، عندما قام إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة عام
172 هـ الموافق لعام 789 م ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فاس، وتقع في أقصى الشمال الشرقي من
المملكة المغربية، وهي تشغل الطرق السهلة التي تصل بين ساحل المغرب المطل على المحيط الأطلنطي
ووسطه، ويوجد جنوب فاس واحد من أقصر الطرق ويمر بوسط جبال أطلس إلى الجنوب عبر طريق
سفرو. وطرق الاتصال بين فاس وكل من ساحل البحر المتوسط أو مضيق جبل طارق على قدر كبير من
السهولة، للمزيد أنظر، البكري: المصدر السابق، ص 115-118، الإدريسي: المصدر السابق، ج 1،
ص 242، الحموي: المصدر السابق، ج 4، ص 230، مجهول: الاستبصار، ص 180-181، الحميري:
المصدر السابق، ص 434، روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زياد، مكتبة لبنان
بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت-نيويورك 1967م، ص 17 وما بعدها.

² ابن حوقل، المصدر السابق، ص 87.
³ Encyclopédie de l'islam, nouvelle édition leden E.j.Brill, Paris 1991, T1, p.716.

⁴ ابن حماد: المصدر السابق، ص 25.
⁵ الجوزري: المصدر السابق، ص 101.
⁶ الشبخلي: المرجع السابق، ص 60.
⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 85.
⁸ اسم مدينة ومرسى، وهي عل هضبة صغيرة مشرفة على البحر، والمرسى في أسفل الهضبة، والمدينة بناها
بحريون من أهل الأندلس سنة 262 هـ/876م، على أنقاض مدينة فينيقية تسمى كارطيناس أو كارط تنس
CARTENNAS ومنها جاء الاسم المتداول حتى اليوم، للمزيد أنظر، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77،
البكري: المصدر السابق، ص 61-63، الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 251-252، مجهول:
الاستبصار، ص 133، الحميري: المصدر السابق، ص 138، الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 35-36.

المنفذ البحري للمحمدية،" يتولى جميع ما يلزم من الضرائب التي تفرض على المتاجر الخارجية منها إلى الأندلس.¹

وقد تمتع والي المحمدية جعفر بن علي بن حمدون بسلطة واسعة في الحكم، إذ كان يقبض خراج وجباية مدينة المحمدية، فلا يصرف منه إلى مركز الخلافة الفاطمية إلا الجزء اليسير منه، كما أنه كان يتصرف في عمله دون الرجوع إلى الخليفة الفاطمي.²

وقد رفض المعز لدين الله الفاطمي عروض تقدم بها بعض الطامحين في تولية المحمدية بالمزايدة على جعفر في عمله، وذلك بمبلغ محدد يدفعونه إلى خزانة الدولة الفاطمية كل سنة بضمنان³، مقابل تقليدهم أمر المحمدية.⁴

ويعود ذلك إلى طبيعة السلطة التي أعطت لجعفر على هذه الولاية، فإمارته كانت إمارة استكفاء⁵، فهو الذي يجبي الأموال ويبعث بمبلغ غير محدد وغير متفق عليه، أو قبالة وضمنان لبيت المال للدولة الفاطمية.⁶

وقد رأى أحد الباحثين، أن الدولة الفاطمية تسعى من خلال ذلك إلى تأمين المسلك التجاري المار من المحمدية، خاصة وأن المسلك الشمالي مهدد من قبل أمويي الأندلس وحلفائهم، في حين أن المسلك الصحراوي تحت سيطرة بطون قبيلة زناتة بصفة عامة.⁷

وتبعاً لذلك أدت هذه السياسة إلى ازدهار وتطور عمرانى شهدته مدينة المحمدية، ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمسالك القوافل التجارية، ومستجيباً في نفس الوقت لسياسة الدولة الفاطمية التي تعكس جوانب سياسية وعسكرية ومذهبية.⁸

نظير ذلك السلطات الواسعة التي منحت لوالي المحمدية جعفر بن علي بن حمدون مقابل ما يقدمه من خدمات عسكرية وأمنية للدولة الفاطمية على جبهتها الغربية انطلاقاً من مدينة المحمدية، وقد عبر الشاعر ابن هانئ الأندلسي عن هذا بقوله⁹:

سد الإمام بك الثغور وقبله *** هزم النبي بقومك الأحزابا

¹ نفسه، ص78.

² الجوزري: المصدر السابق، ص101.

³ نظام القبالة أو الضمان هو: مبلغ معين من المال يدفع إلى خزانة الدولة كل سنة، الجوزري: المصدر السابق، ص128.

⁴ الجوزري: المصدر السابق، صص129-130.

⁵ للمزيد حول إمارة الاستكفاء أنظر، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق احمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت1989م، صص40-41.

⁶ بوبة مجاني: النظم، ص221.

⁷ الحبيب الجحاني: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت1980م، ص81.

⁸ نفسه، ص81.

⁹ من بحر الكامل

لو قلت أن المرهفات البيض لم *** يخلق لغيرك, لقلت صوابا.¹

ومن هنا برزت أهمية مدينة المحمدية في السياسة العامة للدولة الفاطمية ولمشروعها السياسي والمذهبي, حيث أعطتها أهمية بالغة ومكانة خاصة في المغرب الأوسط, وذلك لتعدد وظائفها وكمال عمرانها², ففي أوقات الحرب كانت المحمدية قاعدة عسكرية تدفع عن الدولة الفاطمية غارات الأعداء والخصوم في المغرب الأوسط, وفي أوقات السلم هي مدينة اقتصادية (زراعية+تجارية), فكانت بذلك مدينة المحمدية "عسكرية المنشأ, اقتصادية الهدف, مدينة السلطة"³.

وفي ضوء ذلك كله اتسع عمران المدينة, وراجت تجارتها وتنوعت وازدهرت أوضاعها المختلفة, فأصبحت بوابة المغرب الأوسط⁴, وقاعدة الحمدونيين عامرة بالسكان مزدهرة بالصنائع, وفي هذا الصدد قال ابن خلدون: "...واستجنوا بها دولة وسلطانا وبنوا القصور والمنتزهات, واستفحل بها ملكهم, وقصدهم بها العلماء والشعراء, وكان فيمن قصدهم ابن هانئ الأندلسي"⁵.

ويظهر أن شهرة البلاط الحمدوني قد تجاوزت المغرب وبلغت المشرق, فطمح بعض الشعراء إلى رفاة وعطاء أمير المحمدية, كالصنوبري⁶ (ت 334هـ/945م), الشاعر الشامي الذي وجه إليه قصيدة يشيد فيها بمجده وكرمه فأرسل إليه جعفر مكافأة بألف دينار.⁷ ويشهد الشاعر ابن هانئ الأندلسي نفسه على ازدهار مدينة المحمدية, وتنوع حدائقها وطيب هوائها, وكثرة قصورها التي أبدع في وصفها حيث أعطانا بذلك صورة عن التطور العمراني الذي بلغته بلاد الزاب ومدينة المحمدية, إذ يقول⁸:

ورأيت حولي وفد كل قبيلة *** حتى توهمت العراق الزابا
أرضا وطئت الدر رضاضا بها *** والمسك ترابا والرياض جنابا
وسمعت فيها كل خطبة فيصل *** حتى حسبت ملوكها أعرابا.¹

¹ زاهد علي: المرجع السابق, ص114.

² حيث جمعت بين نوعين من العمران عمران مزارع وعمران أمصار, للمزيد أنظر ابن أبي الربيع: المصدر السابق, صص105-106.

³ بوية مجاني: المرجع السابق, ص213.

⁴ الهوارية بطيب: المرجع السابق, ص30.

⁵ ابن خلدون: العبر, ج4, ص52.

⁶ حيث قال: ما الزاب إلا عدن لأنك في *** الزاب وما ماؤه سوى الكوثر

إن شعري إليك من حلب *** كسير بعض الرياح أو أيسر

للمزيد أنظر, أحمد بن محمد بن الحسن الضبي: ديوان الصنوبري, حققه إحسان عباس, نشر وتوزيع دار الثقافة, بيروت1970م, صص28-29.

⁷ محمد اليعلاوي: المرجع السابق, صص120-121.

⁸ من بحر الكامل.

فقد أشار إلى انتشار البناء والعمران بمدينة المحمدية ووفود القبائل للسكن فيها، وكان يقود هذه السياسة العمرانية والى المدينة جعفر بن علي بن حمدون، الذي كان يقوم ببناء القصور بنفسه حتى يخلد اسمه فيها حيث قال²:

عمرت في تلك القباب ممتعا *** فمثلك يعطى سؤله ويعمر
ألكني إلى القصر المشيد تحته *** فقد حدث الركبان عنه فأكثر
فرغت له من بعض شغلك في الو *** غى ومثلك عن إغفاله ليس يعذر
ليشكرك في تأسيسه آل جعفر *** فمثل الذي له الفخر يشكر.³

ويبدو أن هذه السياسة العمرانية لم ينفرد بها جعفر فقط، بل كان لأخيه يحيى اهتمام مماثل بذلك حيث شيد قصرا خاصا به، كما كان لإبراهيم بن جعفر أيضا بلاطا وقصرا.⁴ حيث قال⁵:

وتغدو على يحيى الوفود ببابه *** كما ابتدرت أم الحطيم المواسم.⁶

وقصارى القول، أن مدينة المحمدية التي بنيت لأغراض عسكرية لصد هجمات القبائل المناوئة للدولة الفاطمية، ومنعها من التقدم نحو المناطق الحيوية للدولة، قد كان لها دور مهم في الدفاع عن المهديّة أثناء ثورة صاحب الحمار في عهد الخليفة الثاني أبي القاسم محمد، كما كان لها دور عسكري واقتصادي في القضاء على هذه الثورة زمن الخليفة الثالث أبو الطاهر المنصور، أما في حالة السلم والاستقرار، فقد كانت المحمدية محطة تجارية مهمة للدولة الفاطمية، إذ ربطت مركز الخلافة الفاطمية ببلاد السودان، حيث أسفر هذا النشاط للمدينة على ازدهار عمرانها ومدني مواز، جعل منها أهم ولاية من ولايات المغرب في العهد الفاطمي. فهل حقق العمران الذي شهدته مدينة المحمدية أهداف الدولة الفاطمية العسكرية والاقتصادية التي بُني من أجلها في المغرب الأوسط؟.

¹ زاهد علي: المرجع السابق، ص113.

² من بحر الطويل.

³ نفسه، ص814.

⁴ اليعلاوي: المرجع السابق، ص185.

⁵ من بحر الطويل.

⁶ زاهد علي: المرجع السابق، ص723.

الفصل الخامس:

الصراع الأموي الفاطمي وانعكاساته على العمران

أولاً: مظاهر الصراع الفاطمي مع أموي الأندلس.

ثانياً: بناء أشير تعمير للمجال أم عمران حرب.

ثالثاً: ثنائية البناء والتهديم في الصراع الأموي الفاطمي.

أولاً: مظاهر الصراع الفاطمي مع أموي الأندلس.

يتضح للدارس أن السنوات الأخيرة للفاطميين في المغرب، كانت سنوات صعبة وذلك لمحاولتهم ترسيخ حكمهم وضمان عمق استراتيجي شرقاً وغرباً وبحراً، فقد اهتم الفاطميون على الجبهة الغربية من الدولة على تأكيد سيطرتهم على طرق التجارة والذهب، ولهذا السبب من المغرب الأوسط من أهم الساحات بالنسبة للفاطميين في محاولة منهم للسيطرة على لزاب و تاهرت وسجلماسة¹.

يظهر أن الممارسة الفاطمية على الجبهة الغربية كانت لا تهدف إلى السيطرة أو المتمركز المستمر بل تهدف إلى التمكن من بسط نفوذها على طرق التجارة والذهب ومحاورها، وكان ذلك عن طريق أهم المدن كتاهرت وتلمسان و فاس و سجلماسة بالإضافة إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط².

أما الرواية الإسماعيلية فقد بررت محاولة التوسع والسيطرة على الجبهة الغربية للدولة، بدافع الجهاد الذي فرضه الله تعالى على الأنمة من أجل محاربة عدوهم "الذي خالف أمرهم وتسمى بأسمائهم وادعى ما جعله الله تعالى لهم"³.

ولم يقتصر هذا الاهتمام على الفاطميين فقط بل كان لأموي الأندلس أيضاً اهتمام وحضور بالمغرب بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، تجلى في العلاقات التجارية مع مدنه الساحلية⁴، ومن بين هذه المدن وهران وتنس ومرسى الدجاج⁵.

¹ عمر السعيدى: انتقال الفاطميين إلى مصر، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الندوة الثانية (المهدية من 4-7 أوت 1977م)، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م، ص 144.

² بدأ الأسطول الفاطمي نشاطه في حوض البحر الأبيض المتوسط مبكراً، وذلك بتدعيم أركان الدولة الفاطمية بإفريقية والمغرب الأوسط وبسط نفوذها وسيطرتها على ما جاورها من الجهات الساحلية التي دأب أهلها على الشعب والثورة، وقد اعتمد الفاطميون عليه أيضاً في التمكين لبسط نفوذهم السياسي في حوض البحر الأبيض ونظراً لكون منطقة المتوسط تتقاسمه أكثر من قوة بحرية فقد كان لزاماً أن تحدث به عدة صدامات بين الأسطول الفاطمي من جهة والأسطولين الأموي والبيزنطي من جهة أخرى، للمزيد أنظر، أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط (500-1100) ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة بلا تاريخ، ص 411، أحمد مختار العبادي وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981م، ص 95 وما بعدها.

³ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص 168، 412، القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1984م، ج 6، ص 85.

⁴ أوليفيا ريمي كونستبل: التجارة والتجار في الأندلس، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمي الخضراء الجبوسي، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1999م، ج 2، ص 1069.

⁵ كانت مدينة تقع في عمق خليج أرزيو Arzew، بها سور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، وداخله سوق ومسجد، إلا أنه لم يبق منها الآن سوى الأطلال، البكري: المصدر السابق، ص 64-65، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 1، ص 259.

و بونة¹، وقد تطور هذا الاهتمام التجاري ليصبح سياسيا وثقافيا مع استفحال النزاع مع الفاطميين في شمال إفريقيا².

ونتيجة لذلك، ولأجل تحقيق مصالح حيوية وإستراتيجية في المنطقة خاض الفاطميون صراعا مريرا تمثل في إرسال عديد الحملات العسكرية، وبناء المدن والحصون وتهديم وتخريب لعمران الطرف الآخر، وذلك من أجل التوسع غربا على حساب ممتلكات أموي الأندلس وحلفائهم في المغرب³.

1- بدايات الصراع الفاطمي مع أموي الأندلس:

أ- حركة الجواسيس في الأندلس.

غرو أن قيام خلافتين متجاورتين تتنازعهما مبادئ مختلفة كان من شأنه أن يحدث تنافسا بينهما على السلطة يؤدي بهما حتما في النهاية إلى الاصطدام المسلح، وهذا ما حدث فعلا في العقد الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بين الخلافتين الفاطمية الشيعية في المغرب و الأموية السنية في الأندلس⁴.

وأمام سياسة التوسع شرقا وغربا التي انتهجتها الدولة الفاطمية حيث بدأت بإرسال دعاة يملون على نشر التشيع حيث كان يعمل هؤلاء الدعاة والجواسيس بنشاطاتهم تحت ستار العلم أو التجارة وكان من بين هؤلاء الدعاة والجواسيس:

- أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي (ت298هـ/910م) الذي يبدو أنه كان أول مشرقي إسماعيلي دخل أرض الأندلس، وكان شاعرا مفوها، قدم إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م)، وقدم له كتابا مفتعلا على لسان أهل الشام، مظهرا فيه الدعوة والولاء لبني أمية، لكن الأمير عبد الرحمن تظن إلى أن الكتاب مفتعل ومصنوع⁵، عند ذلك فر أبو اليسر الرياضي إلى مصر حيث قبض عليه حاكم مصر أحمد بن طولون (254-270هـ/863-883م)، بعد أن ثبت لديه أنه يعمل لصالح الفاطميين⁶،

¹ مدينة بحرية مسورة بها قرى ومزارع ويكثر بها معدن الحديد، ابن حوقل: المصدر السابق، ص77، المقدسي: المصدر السابق، ص174، البكري: المصدر السابق، ص54، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص275، مجهول: الاستبصار، ص127، عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص221.

² محمود علي مكي: "التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج2، العدد 1-2، مدريد1954م، ص122.

³ عبد المنعم ناجي: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، التاريخ السياسي، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، القاهرة1994م، ص86.

⁴ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية1997م، ص65.

⁵ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص162.

⁶ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص112.

وقد ظهر الرياضي بعد ذلك في القيروان في عهد إبراهيم بن أحمد الثاني وعبد الله بن إبراهيم الثاني وزيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة، حيث عمل في بيت الحكمة والكتابة.¹ وبعد قيام الدولة الفاطمية استمر أبو اليسر في وظيفة الكتابة عند عبيد الله المهدي، ويبدو أن هذا المنصب كان مكافأة من الخليفة الفاطمي على ما قدمه من خدمات للمذهب الإسماعيلي في بلاد الأندلس.²

- أما الداعي الثاني الذي اعتمد عليه الفاطميون للإطلاع على أخبار الدولة الأموية في الأندلس فهو أبو جعفر أحمد بن هارون البغدادي (عاصر عبيد الله المهدي وابنه القائم)، تولى الكتابة لعبيد الله المهدي بعد وفاة أبو اليسر الرياضي سنة 298هـ/910م، وكان ابن هارون قد تردد على الأندلس عدة مرات مستترا بستر العلم والقصد من رواء ذلك التجسس لصالح الفاطميين³، وكان من أهم الأعمال التي قام بها في الأندلس هي نشر تعاليم المذهب الإسماعيلي، وقد كافأه عبيد الله المهدي على أعماله بأن أعطاه خطة البريد مع ما كان يتولاه من وظيفة الكتابة، ولم يزل يتولى هذه المناصب إلى أن توفي.⁴

- أما الداعي الثالث، فهو الرحالة أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (المتوفى حوالي 368هـ/978م) حب كتاب صورة الأرض، الذي يبدو أنه استتر بالتجارة عند دخوله أرض الأندلس، إذ يسميه ياقوت الحموي بتاجر الموصل⁵، وقد اهتم برفع تقرير إلى الفاطميين بإظهار خيرات الأندلس الزراعية والمعنوية مع الإشارة إلى ضعف أهلها عن الدفاع عنها ليحمل الدولة الفاطمية على غزوها إذ حسب رأيه " ليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها، وإن شجعت نفوسهم ومرنوا بالقتال، فإن أكثر حروبهم تنصرف على الكيد والحيلة، وما رأيت ولا رأى غيري بها إنسانا قط جرى على فرس فاره، أو بردون هجين، ورجلاه في الركابين..."⁶

ولا شك أن ابن حوقل كان متحاملا على الأندلسيين في كلامه، ومبالغا في اتهامه لهم بالضعف، ولهذا لم يظفر مشروعه بالتأييد من قبل الدولة الفاطمية⁷ غير أنه يمكن القول أن

¹ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988م، ج2، ص131.

² عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الطبعة الثانية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة 1999م، ص128.

³ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص113.

⁴ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص169.

⁵ المصدر السابق، ج1، ص262.

⁶ المصدر السابق، ص108، وقد رد عليه ابن سعيد واتهمه بالظلم والتعصب ومجانبة الصواب في هذا الأمر للمزيد أنظر، المقرئ: المصدر السابق، ج1، ص212.

⁷ العبادي: المرجع السابق، ص65.

حركة الجواسيس و الدعاة الفاطميين في الأندلس قد كان لها أثر في الحياة السياسية في الأندلس تمثل في ميل بعض الشخصيات الأندلسية لى المذهب الإسماعيلي وتبني أفكاره، فإلى أي مدى بلغ هذا التأثير؟.

ب- دعم الثورات الداخلية بالأندلس

اجتذبت الدعاية الفاطمية بالأندلس عددا غير محدود من الأندلسيين، مثل بن حمدون الجذامي الذي تأثر بالفكر الإسماعيلي وغلب على قلبه الداعي أبو عبد الله الشيعي في وقت مبكر من حياته¹، بالإضافة إلى ابن هاني الأندلسي الذي طرد من الأندلس بسبب تشيعه². ورغم القوة المتأصلة للمذهب السني المالكي في نفوس الأندلسيين إلا أنها لم تمنع الفاطميين من جذب عدد من الشخصيات الأندلسية المؤثرة إلى صفوفهم نتج عنها ظهور بعض الإيديولوجيات الثورية التي كانت تسعى إلى القيام بأعمال موجهة ضد الدولة الأموية في الأندلس ورموزها، كأبي الخير الشيعي الذي كان يقول: " لو كانت تسعة أسياف لكان سيفي العاشر"³.

أما الثورة التي شكلت تهديدا حقيقيا للأمويين في الأندلس، فهي ثورة عمر بن حفصون الأندلسي والتي دامت حوالي نصف قرن (267-316هـ/880-921م)، في جنوب الأندلس حيث ف هذا الأخير بزعامة عبيد الله المهدي الفاطمي عند قيامه في المغرب ودعا له في مساجد بلاده⁴.

وكان الخليفة الفاطمي قد أمده بالذخيرة والسلاح⁵، كما أرسل له داعيين أقاما عنده وأخذا يحرضانه على التمسك بطاعة الفاطميين، وإقامة الدعوة فيها، غير أنه يبدو أن ابن حفصون لم يكن مخلصا للدعوة الفاطمية، وإنما اتخذها وسيلة ليكايد بها الأمويين بدليل أنه استغنى عن الداعيين وأعادها بهدية إلى الخليفة الفاطمي⁶.

2- التدخل الأموي في المغرب الأوسط.

وأمام التهديد الفاطمي لبلاد الأندلس، سعى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) إلى اتخاذ جملة من التدابير والخطوات لدرء هذا الخطر تمثلت في الآتي:

¹ ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 33-34.

² ابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص 360.

³ أحمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة، دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي، منشورات عكاظ، الرباط 1989م، ص 198.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش: الحركة الحفصوية، مقارنة على ضوء النمط الإقطاعي، من كتاب الإسلام السري في المغرب، سينا للنشر، القاهرة 1995م، ص 91 وما بعدها.

⁵ ابن عذاري: المصدر السابق، ج 2، ص 247.

⁶ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص 101.

أ- إعلان قيام دولة الخلافة.

بعد ما تمكن عبد الرحمن الناصر من القضاء على الثورات والفتن الداخلية بالأندلس أعلن نفسه خليفة للمسلمين وتلقب بالناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة 316هـ/928م¹, وكانت قضية الخلافة هي المحك الأساس الذي أدى إلى توتر العلاقات السياسية بين أموي الأندلس والفاطميين المتنازعين, حيث أسهم قرار الناصر عبد الرحمن بتغيير نظام ملكه من نظام الإمارة إلى نظام الخلافة, و ما يحمله هذا القرار من معاني التحدي للخلافة الفاطمية بالمغرب, في ارتفاع حدة الصراع إلى ذروته, إذ جاء النشاط السياسي والعسكري المكثف لكل من الطرفين لدعم وترسيخ أحقية كل منهما في خلافة المسلمين, و محاولة الطعن في الآخر.

ب- كسب ولاء قبيلة زناتة.

نتج عن إعلان عبد الرحمن الناصر قيام دولة الخلافة في الأندلس امتداد همته إلى العودة المغربية باعتبار نفسه - وبحكم لقب الخلافة - مسؤولاً عن جميع المسلمين في أي مكان², فقام تبعاً لذلك "باستدعاء أكابر أمراء البربر بالعودة إلى ولايته وثنيه لهم عن ولاية الدعي عبيد الله الشيعي و المنتزي عن بلد إفريقية"³.

وقد لقي عبد الرحمن الناصر ضالته المنشودة - كما عبر على ذلك أحد الباحثين⁴ - في خلفاء بني أمية القدماء من القبائل البربرية وهم الزناتيون، ولاسيما فرع مغراوة⁵. التي أقبلت على الدعوة الأموية السنية إقبالا كبيرا, وأيدت الناصر تأييدا مطلقا. وقد ظهرت نتيجة ما كان يدعو له عبد الرحمن الناصر في إقبال عظيم زناتة بالمغرب الأوسط, وأشعداوة للشيعية العبيديين بإفريقية محمد بن خزر الزناتي المغراوي, وذلك سنة

¹ ابن حيان أبو مروان حبان بن خلف القرطبي: المقتبس، نشر أ.شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، كلية الآداب، الرباط 1979م، ج5، ص255، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي الأزدي: جنوة المقتبس في ذكر بلاد الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966م، ص13، أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967م، ص17، أبو عبد الله أبي بكر بن الأبار القضاعي: الحلة السبراء، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963م، ج1، ص197-198.

² ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص198.

³ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص255.

⁴ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص140.

⁵ يعزى سبب ولاء مغراوة لبني أمية إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي هاجر إليه صولات بن زمار، وقيل أنه أخذ أسيرا فعفي عنه وعقد له على قومه وعمله، فاخصص هو وقبيلته مغراوة منذ ذلك الوقت بولاء عثمان بن عفان وآل بيته، ابن عذاري: المصدر السابق، ج3، ص262، يحيى بن خلدون أبو زكريا: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر 2007م، ص169.

317هـ/929م¹، الذي بايعه على الولاء والطاعة له واعتبره "مولى كل بربري على وجه الأرض"².

ولم يقتصر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على أخذ البيعة له من رؤساء القبائل المغربية فقط بل عمل على تشجيعهم بالأطاف والهدايا، حيث يقول صاحب كتاب مفاخر البربر: ".وتخطاهم عبد الرحمن إلى من خلفهم من زعماء قبائل البربر، يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسدا لمن عجز برجاله، مقويا لمن ضعف بماله، متفقدًا لهم في سائر الحالات بأطافه متعهدًا بوجوه رسله وخواصه، إلى أن تميز بوادي زناتة في حربته وارتسموا بطاعته"³.

وكان الناصر قد أرسل سفيره القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة 316هـ/ 928م⁴، محملاً بالهدايا والأطاف والأموال إلى رؤساء القبائل البربرية لتأكيد العلاقة بين الخلافة الأموية في الأندلس والقبائل في المغرب، فلم يلبث أن هويت إليه أفئدة كثيرة منهم، من زعمائهم بين مصحح في ولايته مستجيب لدعوته، مغتتم لعطيته مستعين بمعونته⁵.

بدأ تحقيق المشروع الأموي في المغرب الأوسط على يد محمد بن خزر المغراوي الذي لمع سفير الناصر عبد الرحمن على أهم الانتصارات التي حققها على الفاطميين في المغرب الأوسط، حيث تم لأخيه عبد الله بن خزر الاستيلاء على مدينة المحمدية في سنة 317هـ/929م، بعد أن فر منها صاحبها علي بن حمدون ولجأ إلى الجبال المجاورة⁶.

كما أخضع عبد الله بن خزر لطاعته قبائل تلك الناحية وعلى رأسها بنو برزال التي بعثت بولائها وبيعتها إلى عبد الرحمن الناصر، وأخذ عبد الله بن خزر رهائنًا وأرسلها إلى أخيه محمد بن خزر⁷.

ستطاع أن يقيم بجيشه قرب "سوق ماما"⁸ حيث عمل على قطع الإمدادات والمؤن عن مدينة تاهرت من عبيد الله المهدي وأصبح جيشه مفاوزًا لأهل مدينة تاهرت قاعدة الشيعة وثرغهم، قاطعا الميرة عنهم، حاجزا بين إفريقية وبينهم¹.

¹ ابن حيان: المصدر السابق، ج 5، ص 257.

² نفسه، ج 5، ص 266.

³ مجهول: مفاخر البربر، ص 94.

⁴ ابن حيان: المصدر السابق، ج 5، ص 258، ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 35.

⁵ ابن حيان: المصدر السابق، ج 5، ص 256-258.

⁶ ابن حيان: نفسه، ج 5، ص 259، وحسب ما يرى ابن عذارى، فإن محمد بن خزر تغلب على الزاب

كله وملكه جملة سنة 317هـ/929م، المصدر السابق، ج 1، ص 194.

⁷ ابن حيان: المصدر السابق، ج 5، ص 259.

⁸ يسميها ابن حوقل "ابن ماما"، وهي مدينة صغيرة تقع على أربعة مراحل من تاهرت، مسورة وأحيط سورها بخندق، ولها واد عذب عليه مزارعها وغلاتها للمزيد أنظر صورة الأرض، ص 86، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 1، ص 256، أنس المهج وروض الفرج، ص 312، الحميري: المصدر السابق، ص 517.

ذلك يمكننا القول أن حصار تاهرت ثغر الشيعة العبيدين بالمغرب الأوسط يعد من أهم جازات التي أحرزها محمد بن خزر على الفاطميين بعد تمكنه من السيطرة على إقليم الزاب وقتل والي تاهرت مصالة بن حبوس سنة 312هـ/924م.²

وتكمن أهمية تاهرت بالنسبة للفاطميين في أنها تقع إلى الغرب من بلاد صنهاجة وبلاد الزاب، كما أنها تعد مركزا مهما على طريق القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد السودان أو القادمة منها.³

وقد أولاه الفاطميون اهتماما بالغا، حيث جعلوا منها خط دفاع وهجوم ضد الأمويين حتى لا يتوغلوا أكثر إذا ما وصل نفوذهم إليها، وبذلك اكتسبت مدينة تاهرت أهمية عسكرية وتجارية وسياسية، أصبح بموجبها يشرف واليها على والي فاس و سجلماسة.⁴

ج- التوسع في سواحل المغرب

في سنة 319هـ/931م، افتك عبد الرحمن الناصر مدينة سبتة⁵ من يد قبيلة بني عصام حلفاء الفاطميين⁶، وعمل على تحصينها "حيث شكاه بالرجال وأتقنها بالبنيان وبنى سورها بالكزان، وألزم فيها من رضيه من قواده وأجناده، وصارت بذلك مفتاحا للمغرب والعدوة من الأندلس".⁷

وبذلك أصبح الخليفة الأموي يتصرف في نقطة ارتكاز متينة على السواحل المغربية⁸، وكان من الطبيعي - بعد السيطرة على مدينة سبتة- أن يضم الناصر ثغر طنجة المجاور لها، وقد أشار ابن عذارى إلى التحصينات التي أقامها عامل الأندلس في هذه المدينة⁹، ليتمكن من خلالها تقديم

¹ ابن حيان: المصدر السابق، ج1، ص259.

² مصالة بن حبوس المكناسي، اتصل بعبيد اله المهدي وكان من أعظم قواده ومواليه، تولى حكم تاهرت ثلاث عشرة سنة، عظم فيها سلطانه وتغلب على البربر، للمزيد أنظر، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص189، ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ص210، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص171

³ عادلة علي الحمد: قيام الدولة الفاطمية، ص242.

⁴ مرمول: المرجع السابق، ص203.

⁵ تقع على شبه جزيرة، وتحيط بها المياه من معظم جهاتها عدا جهة واحدة، مبانيتها تطل على سفح الجبل المرتفع المسمى حاليا بجبل "أخو"، كما تشرف إشرافا تاما على مضيق جبل طارق، ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص288، البكري: المصدر السابق، ص102-103، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص208، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص100.

⁶ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص282، محمد عبد الله عنان: تاريخ الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة1988م، ج2، ص245-246.

⁷ ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص307.

⁸ فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1994م، ص226.

⁹ ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص316.

الدعم السياسي والعسكري للقبائل المغربية التي انضوت تحت لوائه بالرجال وإمدادهم بالجيش الكثيفة والأساطيل حتى تتوطأ له بلاد البربر.¹

كما حاول الناصر سنة 320هـ/932م، ضم موقع هام بالقرب من سواحل تلمسان بالمغرب الأوسط، وهي جزيرة أرشقول، أمام مصب نهر تافنا، وهي عالية ومنيعة تحصن بها أحد أمراء الأدارسة وهو الحسن بن عيسى بن أبي العيش، فحاصرها الأسطول الأندلسي مدة طويلة حتى كاد أهلها يهلكون من العطش بعد أن فرغت جبابهم من الماء، ثم تداركهم غيث من السماء كان سببا في نجاتهم من حصار الأسطول الأموي الذي انصرف عنهم عائدا إلى ألمرية²، وعلى الرغم من فشل الأسطول من احتلالها إلا أنه تمكن من الاستيلاء عليها سنة 325هـ/937م.³ من خلال هذه الجزيرة استطاع الناصر أن يسيطر على الملاحة في مضيق جبل طارق، وأن يتدخل في سياسة المغرب لإثارة القبائل البربرية ضد النفوذ الفاطمي.⁴

وهكذا أصبح المغرب تتنازعه قوتان سياسيتان هما: الخلافة الفاطمية بالمغرب والخلافة الأموية بقرطبة، وقوتان قبليتان هما: صنهاجة البرنسية وزناتة البترية، حيث جعل الأمويون من زناتة خط دفاعهم لوقف المد الشيعي وتأليبهم على الدولة الفاطمية من أجل تقويض أركانها، وتهديم بنيانها واجتياح مدنها، وقد اضطلعت قبائل زناتة بهذا الدور، في حين جعل الفاطميون من صنهاجة خط هجوم⁵ ضد الأمويين وحلفائهم الزناتيين، مستغلة في ذلك العداة التقليدي القائم بينهما و الذي بلغ حد الحروب العظيمة والأضرار المتصلة والحسائف الظاهرة⁶. فأوكلت لها مهمة الدفاع عن الجهة الغربية من الدولة الفاطمية ومقاومة الوجود الأموي في المغرب فكانت صنهاجة "ردءا وسدا بينها وبين أعداء الدولة الفاطمية".⁷

كيفية انعكاس الصراع الأموي الفاطمي على البناء والعمران في المغرب الأوسط؟

¹ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت 1989م، ص136.

² ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص313، البكري: المصدر السابق، ص ص77-78، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص194.

³ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص414، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص171.

⁴ العبادي: المرجع السابق، ص74.

⁵ بوبة مجاني: النظم، ص71.

⁶ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ص62-63.

⁷ أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي: الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، الطبعة الثانية، مطبعة بيكار وشركائه، تونس 1333هـ، ص42.

ثانيا: بناء آشير تعمیر للمجال أم عمران حرب.

1- تعمیر المجال بين القبيلة والدولة:

لقد أدى احتدام الصراع المذهبي والسياسي في المغرب الأوسط بين الفاطميين وأمويي الأندلس، ومحاولة كل منهما التوسع على حساب الطرف الآخر، إلى استخدام قبائل المنطقة من أجل حسم الصراع بينهما.

ورغم عديد الحملات العسكرية التي كانت تجهزها الدولة الفاطمية للقضاء على الثورات والاضطرابات، وما يتبع ذلك من إنفاق مالي كبير، لم تستطع هذه الحملات العسكرية من كسر شوكة القبائل التي أنهكت قواها واستنزفت مجهوداتها العسكرية والمالية، وساومت أمويي الأندلس على حسابها.¹

ولم يكن خافيا على الخلفاء الفاطميين أهمية وجود عصبية قبلية قوية في المغرب الأوسط تساندهم وتؤيدهم في تحقيق مشروعهم السياسي والمذهبي، إذ أن المحرك السياسي والقوة الحقيقية لبناء الدولة هي العصبية.²

وهذا ما يفهم من قول عبيد الله المهدي، لما مر بجبل صنهاجة³، أثناء عودته من سجلماسة إلى إفريقية لاستلام زمام الحكم والإشراف على تسيير الدولة الناشئة إذ قال: "لنا في هذا الجبل كنز".⁴

وبناء عليه عملت الدولة الفاطمية على حماية سلطتها وأراضيها واقتصادها، من غزوات وتخريب القبائل الزناتية، بإيجاد قوة حضرية من صنهاجة، وبهذا جاءت مهمة آل زيري مهمة عسكرية بحتة⁵، وبذلك وجد كل طرف -الدولة والقبيلة- مصلحة في هذا التحالف خاصة وأن دو مشترك بين الطرفين هي قبائل زناتة، ومع قيام الدولة الفاطمية تحيز إليهم زيري بن مناد الصنهاجي للولاية التي لعل بن أبي طالب-رضي الله عنه- فيهم، وأصبح وليا من أعظم

¹ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص36، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، صص191-194.

² الجحاني: ابن خلدون والتطور العمراني في المغرب العربي الإسلامي، مجلة الحياة الثقافية، تصدر عن وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، العدد173، تونس2006م، ص23.

³ صنهاجة بضم الصاد المهملة وكسر ها وسكون النون وفتح الهاء، وبعد الألف جيم من أوفر قبائل البربر، ولا يكاد يخلو قطر من أقطار المغرب من بطن من بطونه، في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر، للمزيد أنظر، ابن حزم: الجمهرة، ص495، ابن خلكان: معجم مقببات ابن خلكان، جمع وتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، القاهرة1987م، ص203، مجهول: مفاخر البربر، ص144، ابن خلدون: العبر، ج6، ص152.

⁴ محمد بن محمد اليماني: سيرة الحاجب جعفر، نشر. و.إيفا نوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، القاهرة1936م، ص131.

⁵ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء2005م، ص78.

أوليائهم، واستطال بهم على عدوه مغراوة وكان ظهرا لهم.¹ وكان كبير قبيلة تلكاتة²، مناد بن منقوش كثير المال والولد حسن الضيافة لمن يمر به، وقد ملك جانبا من إفريقية والمغرب الأوسط مقيما لدعوة بني العباس وراجعا إلى أمر الأغلبية³. والجدير بالذكر أن قبائل زناتة كانت تسيطر على جانب آخر في المغرب الأوسط، حيث اتسع سلطانها من أيام بني الأغلب ومع قيام الدولة الفاطمية أظهرت لها العداوة، فحاربتها منذ بداية الدعوة الإسماعيلية فيها وكثفت من عملياتها العسكرية مع قيام الدولة فاستطالت على تلك النواحي، ثم تزايد ضررهم من أيام عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم محمد⁴. وقد تضافرت عديد العوامل التي عجلت بظهور قبيلة صنهاجة كقوة عسكرية وسياسية في المغرب الأوسط، ونتيجة لذلك قام زيري بن مناد ببناء مدينة تكون قاعدة عسكرية تتصدى لغارات زناتة على مزروعاته⁵، بالإضافة إلى جعلها نقطة انطلاق لمحاربة الزناتيين لحساب الفاطميين⁶.

وعليه يمكن القول أن اختطاط مدينة أشير قد ارتبط بأسباب متعلقة بقبيلة صنهاجة وأخرى متعلقة بالدولة الفاطمية.

- الأسباب المرتبطة بقبيلة صنهاجة:

يكن ظهور مدينة في بلاد المغرب حدثا عفويا، بل لا بد من توافر شروط موضوعية ينشأ عنها ميلاد مدينة جديدة، كتعاون السكان وتضامنهم مع وجود سلطة فعالة تستطيع أن تحمل أفراد المجتمع على المساهمة في عملية البناء والتشييد⁷. وقد تمثلت هذه الشروط بالنسبة لقبيلة صنهاجة في الآتي:

- توفر شروط العمران في قبيلة صنهاجة مع تشكل سلطة وقيادة، واجتماع على رئاسة زيري بن مناد للقبيلة بعد حروب طويلة بينهم، ولما تحققوا أنه القائم فيهم أذعنوا له وأطاعوه¹.

¹ ابن خلدون: العبر، ج6، ص203.

² من بين الفروع العديدة التابعة لقبيلة صنهاجة ويعتبر تقدير عددها بسبعين فرعا تقديرا اصطلاحيا، ومن بين فروعها الأكثر أهمية الفرعين الذين أسسا بعض الدول في بلاد المغرب منها فرع تلكاتة التي ينتمي إليها بنو زيري، وفرع لمتونة الذين تمكنوا بمساعدة فرع مسوفة من تأسيس الدولة المرابطية، للمزيد أنظر ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص101-102، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص203، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبعة الدولة التونسية، تونس 1286هـ، ص ص71-72.

³ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص203.

⁴ النويري: المصدر السابق، ج24، ص161.

⁵ ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص262.

⁶ الرحموني: الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، ص22.

⁷ عبد الرحمن التليلي: المدن ومجتمعات الحضرة في المغرب، مجلة الفكر، العدد09، تونس1986م، ص69.

- عمل زيري بن مناد على تنظيم صفوف صنهاجة بعد اجتماعهم على كلمته, فكون جيشا نظاميا يُغير ويسبي, حيث قدرت غنائمه بثلاثمائة فرس², وذلك بعدما اجتمع إليه كل من فيه منعة, فكثرت حبابه وضاق بهم المتسع, مما أدى بزيري إلى البحث عن مكان آخر يسعه ويسع أصحابه.³
- طبيعة النشاط الفلاحي لقبيلة صنهاجة جعلها تبحث عن حياة الاستقرار, واتخاذ مساكن قارة لحماية مزارعها من غارات زناتة.⁴
- تنامي قوة صنهاجة ومحاولة التملك وطلب الإمارة بعد انتصاراتها الباهرة على خصومها وذيوع صيتها بين الناس.⁵
- الأسباب المتعلقة بالدولة الفاطمية:
- زيز سلطة الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط من خلال تأييدها لقبيلة صنهاجة التي تمتد مواطنها من جزائر بني مزغنا⁶ شمالا إلى المحمدية في الجنوب, ومن بجاية شرقا إلى مدينة مليانة عند منعطف وادي الشلف غربا.⁷
- الموقع الاستراتيجي للمدينة كقاعدة عسكرية لمحاربة قبائل زناتة المدعومة من أموي الأندلس, بعدما استطاعوا محاصرة المحمدية⁸, مما جعل الخليفة الفاطمي الثاني أبا القاسم محمد يبارك بناء مدينة أشير حتى تكون حاجزا بينه وبين قبائل زناتة.

وهذا ما يفسر قوله: "مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر".⁹

مما سبق يمكن القول أنه تضافرت مجموعة من الظروف التي ارتبطت لقبيلة صنهاجة من جهة، وبالدولة الفاطمية من جهة أخرى لتجعل من بناء مدينة ثانية في المغرب الأوسط أكثر من ضرورة كقلعة عسكرية, ومركزا لنفوذ قوة سياسية جديدة في المغرب الأوسط تركز على

¹ النويري: المصدر السابق, ج24, ص160.
² ابن الأثير: المصدر السابق, ج6, ص333, النويري: المصدر السابق, ج24, ص160.
³ وكان زيري بن مناد أول من ظهر بالمغرب الأوسط, فقاد الجيوش وعقد الألوية وخطب له على المنابر, ابن الخطيب: المصدر السابق, ص63.
⁴ النويري: المصدر السابق, ج24, ص161.
⁵ الحموي: المصدر السابق, ج1, ص202, ابن خلكان: وفيات الأعيان, ج2, ص343.
⁶ وتسمى أيضا في بعض المصادر بجزائر بني مزغناي, وهي الاسم القديم لمدينة الجزائر, وينحدر بنو مزغنا من قبيلة مزغنا, وإليهم ينسب إنشاء مدينة الجزائر: للمزيد أنظر, ابن حوقل: المصدر السابق, ص76, البكري, ص66, الإدريسي: ج1, ص273 الحموي: المصدر السابق, ج2, ص132, الحميري: الروض المعطار, ص163.
⁷ ابن خلدون: العبر, ج6, ص151.
⁸ ابن حيان: المصدر السابق, ج5, ص259.
⁹ النويري: المصدر السابق, ج24, ص161.

تنظيم صفوف قبيلة صنهاجة، وعلى تأييد الفاطميين لها لمقاومة أعدائهم من قبائل زناتة¹، وذلك لإعادة الاستقرار والأمن إلى ولايات الدولة الفاطمية²، وهو ما يمكن أن يكون قرينة ترجح احتمال أن يكون بناء مدينة أشير تم بعد موافقة الدولة الفاطمية، إن لم يكن بتوجيه منها³.

أ- مؤسس مدينة أشير:

يكاد يجمع المؤرخون⁴ والجغرافيون⁵ على أن مؤسس مدينة أشير هو زيري بن مناد الصنهاجي، بموضع خال فيه مياه فاستحسنه⁶، لبناء مدينة جديدة وقد استدل بعضهم بأبيات لعبد الملك بن عيشون، ذكرها البكري نقلا عن محمد بن يوسف الوراق جاء فيها⁷:

يا أيها السائل عن غربنا *** وعن محل الكفر أشير
عن دار فسق ظالم أهلها *** قد شيدت للإفك والزور
أسسها الملعون زيرها *** فلعنة الله على زيري⁸.

وتعتبر الإدارة ضرورة أولية للمجتمع المستقر الذي يمارسها من نقطة مركزية والتي تعد من الوظائف المدنية الأولية بلا شك، إذ أن كل جماعة قبلية تحتل مساحة معينة مركزها منطقة واضحة الشخصية سهلة مكشوفة قابلة للزراعة والسكن ومثل هذه الوحدات المكانية يعد عاملا مساعدا للبدایات السياسية، فالمجتمع الصغير الذي يضمن عيشه من الزراعة سرعان ما يتمو فيه التماسك والاستقرار السياسي والاجتماعي⁹.

وينطبق هذا الأمر على قبيلة صنهاجة التي ضاقت بهم أرضهم، فرأوا أن يتخذوا موضعا أوسع يسكنون فيه فقالوا لزيري: لو اتخذت لنا بلدا غير هذا، فسار بهم إلى موضع مدينة

¹ جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف الإسكندرية 1991م، ص ص 181-182

² إسماعيل العربي: دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م، ص 56.

³ سعد زغول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف، الإسكندرية 1990م، ج 3، ص 297.

⁴ ابن خلكان: المصدر السابق، ج 2، ص 342، ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 216، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 63.

⁵ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 90، البكري: المصدر السابق، ص 60، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 1، ص ص 254-256، الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 202، مجهول: الاستبصار، ص 170، الحميري: الروض المعطار، ص 60.

⁶ النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 160.

⁷ من بحر السريع.

⁸ البكري: المصدر السابق، ص 60.

⁹ جمال حمدان: جغرافية المدن، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة بلا تاريخ، ص ص 81-82.

أشير¹، وكان الموضع الذي اختاره زيري، يتوفر على الماء والخصب، وهي بين جبال شامخة محيطة بها، مما يوفر لها الحماية والأمن.²

ب- تاريخ اختطاط مدينة أشير:

يد الباحث نفسه أمام روايتين فيما يتعلق بتاريخ اختطاط مدينة أشير، حيث ذكر النويري³، أن مدينة أشير أسست سنة 324هـ/936م⁴، أما الرواية الثانية التي يمثلها ابن الأثير، ذكر فيها أن مدينة أشير بنيت سنة 364هـ/975م⁵، لكن روايته جاءت متناقضة، إذ يشير في موضع آخر، أن الذي بنى مدينة أشير هو زيري بن مناد وقد توفي سنة 360هـ/971م، وقد فسر أحد الباحثين⁶، هذا التناقض الذي تضمنته رواية ابن الأثير إلى سببين مهمين:

- حدوث سهو من المؤرخ أو الناسخ، في تدوين هذا التاريخ، إذ أنه لا يوجد فرق كبير بين كتابة الرقمين (2) و(6) بالأرقام الهندية، ولو غيرنا الرقم (2) بالرقم (6) لحل الإشكال.

- ربما وقع خلط لابن الأثير، بين زيري بن مناد الذي بنى مدينة أشير سنة 324هـ/936م، وابنه بلكين حول اختطاط مدينة أشير التي بنيت على مرحلتين حسب رواية البكري.⁷

مما سبق نخلص إلى أن تشييد واختطاط مدينة أشير كان سنة 324هـ/936م، على يد زيري بن مناد، في سياق الظروف التاريخية المذكورة سابقا، مع العلم أن كلا من ابن الأثير و النويري يستقيان معلوماتهما من ابن شداد.⁸

ج- أصل التسمية:

¹ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص333.

² البكري: المصدر السابق، ص60.

³ المصدر السابق، ج24، ص161.

⁴ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص333.

⁵ نفسه، ج7، ص334.

⁶ رشيد بورويبة: أشير عاصمة بني زيري، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،

العدد 12، الجزائر 1973م، صص 114-115.

⁷ المصدر السابق، ص60.

⁸ هو أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، عاش ببلاط الأمير حسن، ويبدو

أنه هاجر إلى صقلية بعدما احتل النورمان المهديّة سنة 543هـ/1148م، من أهم مؤلفاته الجمع والبيان

في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان.

أشير، بكسر ثانيه وياء ساكنة بعد الشين¹، هي اسم للمدينة التي اختطها زيري بن مناد الصنهاجي بالمغرب الأوسط، وتعرف باللهجة البربرية باسم "ياشير"، وتعني المخالب²، وأصلها باللسان البربري من كلمة "أشر" و "إشر"، ومعناها الظفر، وجمعها "أشارن"، أي أظافر ومخالب في إشارة إلى قوة مخالب النسر الذي يكمن في المناطق المرتفعة حتى تسهل عليه عملية الاقتراس بمخالبه³.

وقد جاء بناء مدينة أشير في موقع إستراتيجي، على مكان مرتفع يطل على سهول التل الغربية على مرمى البصر، مما يسهل عملية الحراسة والمراقبة، وقد رأى أحد الباحثين⁴ أن الاسم يفسر الهدف العسكري الذي بنيت من أجله، فهي كالخدش في وجه من يتهددها⁵.

د- التطور العمراني لمدينة أشير:

شرع زيري بن مناد في بناء مدينة أشير سنة 324هـ/936م، مستعينا في ذلك ببنايين ونجارين من المدن المجاورة كالمسيلة و طبنة فتمت على أحسن حال حيث تلقى الدعم والإعانة من الخليفة الثاني أبي القاسم محمد في بنائها و تشييدها، تمثلت في إرساله مهندسا ماهرا في البناء وعمالا ومواد بناء⁶.

ومما زاد من أهمية موضع أشير، كثرة عيونه و غزارة مياهه فقد أشار الجغرافيون إلى وجود عينان بداخلها " لا يبلغ لهما غور، ولا يدرك لهما قعر"، تعرف إحداها "بعين سليمان"، والأخرى "بعين تالانتيرغ"⁷.

كما أضاف البكري⁸ عينا ثالثة شرقي المدينة تسمى "عين مسعود".

وقد أدرك زيري أن منطقة أشير تزخر بالخيرات، فعمل على حمايتها مما اجتذب إليها سكان النواحي المجاورة طلبا للأمن والسلامة على أنفسهم ومزروعاتهم⁹ المحيطة بالمدينة وتبعاً لذلك، شهدت مدينة أشير تطورا عمرانيا حتى صارت مدينة مشهورة، فليس في تلك الأقطار أحسن منها¹، أما من الناحية الاقتصادية فقد ضرب زيري السكة، فأصبح الناس يتعاملون بالنقود بعدما كانوا يتعاملون بالمواشي، فكثر الدنانير والدرهم في أيدي الناس².

¹ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص202.

² بوروية: المرجع السابق، ص117.

³ حسب تفسير معنى الكلمة باللهجة الشاوية.

⁴ Chabassière: le kef-el-akhdar et des ruines, Revue africaine, Alger 1969, p.121.

⁵ أنظر الصورة رقم7.

⁶ النويري: المصدر السابق، ج24، صص160-161.

⁷ البكري: المصدر السابق، ص60، مجهول: الاستبصار، ص170، الحميري: المصدر السابق، ص60.

⁸ المصدر السابق، ص60.

⁹ النويري: المصدر السابق، ج24، ص161.

ولم تمض سنوات حتى انتشرت في مدينة أشير الجنات والمزارع، كما استبحر عمرانها واتخذ أهلها الدور والمسكن والقصور والحمامات و المساجد حتى صارت قبلة التجار والفقهاء³، وأهم هذه المرافق العمرانية هي:

جودها في منطقة إستراتيجية هامة سهلت لها مد شبكة من خطوط للاتصال وطرق للانتقال⁴، بالإضافة إلى مناعة الموقع فهي تقع على سهول التل الغربية، حيث تبعد عن المحمية بمرحلتين، وبين المدينتين منزل،" ينزله المرة بينهما في وادي المالح، وقد ذكر البكري ثلاث طرق⁵ رئيسية لمدينة أشير هي:

- الطريق الأول: من مدينة أشير إلى مرسى الدجاج.
- الطريق الثاني: من مدينة أشير إلى مدينة المدية، إلى جزائر بني مزغنى.
- الطريق الثالث: من مدينة أشير إلى تنس عبر مليانة.

وتبعاً لذلك نشطت تجارتها فأصبح لها " ... سوق يوم معروف يجلب إليه كل لطيفة وبيع به كل طريفة"⁶، كون المدينة تقع في وسط شبكة طرق هامة ورئيسية وقد انعكس ذلك على رواج تجارتها وازدهار عمرانها بوفرة البنيان وإقبال الناس إليها، فأصبحت مدينة أشير من أهم حواضر المغرب الأوسط.

3- طبيعة العمران لمدينة أشير:

ما كان لاستفحال الاضطرابات السياسية، والحروب القبلية، والفلتان الأمني الذي رافق فترات طويلة من عصر الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط إلا يرسخ الطابع العسكري (الدفاعي) في المجال المعماري، ويدفع نحو مراجعة الهيكلة المعمارية وفق معايير وأسس جديدة تأخذ عامل الظاهرة الحربية وتفشيها بعين الاعتبار، فكان الاهتمام أكثر بالتحصين، ورفع الأسوار، فضلاً عن مظاهر أخرى تفصح عن تنامي البعد العسكري بالهندسة المعمارية وتطبيقاتها.

و لأجل توكيد المعلومات وتصحيحها، والوصول إلى رؤية واضحة والاطلاع عن قرب لمعرفة طبيعة العمران فيها قمنا بزيارة ميدانية للمنطقة التي بنيت عليها مدينة أشير، للتعرف أكثر على الموقع وعلى إستراتيجيته من الناحيتين الطبيعية والعسكرية، وربط ذلك بالظرف التاريخي الذي بنيت فيه بالإضافة إلى التوجه للمتحف الوطني للآثار بالجزائر العاصمة حيث

¹ مجهول: الاستبصار، ص170.

² النوبري: المصدر السابق، ج24، ص161.

³ ابن خلدون: العبر، ج6، ص203.

⁴ جمال حمدان: جغرافية المدن، ص281.

⁵ المصدر السابق، صص60-66.

⁶ الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص254.

أمدنا المسؤولون هناك بمعلومات قيمة تمثلت في الدراسات الميدانية لحفريات آشير¹ مع مجموعة من التقارير التي أفادتنا في هذه الدراسة.²

أ- منزله بنت السلطان:

وهو حصن بني في جبل الكاف الأخضر، على بعد 10 كلم إلى الشمال الغربي من عين بوسيف³، على الجهة العليا لهضبة صخرية، حيث يرتفع على علو 1300 متر على سطح البحر، واتجاهه من الجنوب إلى الشمال منحدر نحو الشرق سميك السور يبلغ طوله 276 متر، وعرضه 26 متر⁴، وبه عثر بربروجر (Berbregger) سنة 1952م على خرائب قسبة مربعة الشكل تتوسط الحصن⁵، وقد يتبادر إلى الذهن أن يكون هذا الموضع هو محل إقامة زيري بن مناد قبل اختطاط مدينة آشير⁶، وأهم المرافق العمرانية لمنزله بنت السلطان هي:

- السور:

وهو محيط بموقع منزله بنت السلطان، ويتميز بالصلابة نظرا لتقنية البناء والمواد التي بني بها⁷، إذ يصل سمكه إلى حوالي مترين، ويتراوح مع شكل الهضبة ومشدود إلى الصخر عن طريق تقطعات صخرية بشكل أدراج تمنع كل انزلاق، والقسم الغربي من السور له باب محمي يتم الوصول إليه عن طريق الأدراج⁸.

- البرج:

شكل البرج نصف دائري، يوجد في الهضبة الشمالية من الحصن يتكون من غرفة واحدة تستعمل للحراسة، يمكن أن يضم عشرة رجال، أما وظيفته البرج فهي دفاعية محضة ويستعمل في نفس الوقت للمراقبة⁹.

¹ تقرير حفري 1992م، العدد 02، المتحف الوطني للآثار، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية بالجزائر
² جمال سويدي: آشير من خلال المصادر، ترجمة ليندة توشي، دفاتر آشير، المتحف الوطني للآثار، الجزائر 1992م، أيضا

Bouamran Samia: fondation d'Achir; capitale Zirides, Alger 1998.

³ Marçais ,(G): Recherches d'archéologie musulmane, Achir , Revue Africaine, Volume, 63, Alger, 1922,p.22.

⁴ Encyclopédie de l'islam, nouvelle edition XI MAHK-MID, leden E.j.Brill, Paris, 1991.T1.p.721.

⁵ وفي سنة 1869م، زار شاباسي (Chabassier) موقع آشير وأفادنا بمخطط عن قسبة منزله بنت السلطان في كتيب به نقاط رفعت عن القفار المسماة، منزله بنت السلطان، بورويبة: المرجع السابق، ص118.
⁶ لا يوجد أي مصدر تاريخي مما توفر لدينا، يذكر بدقة مكان إقامة زيري بن مناد قبل بناء مدينة آشير، مما جعل التكهنات تشير إلى أن منزله بنت السلطان قد تكون هي المكان الأول خاصة مع وجود إشارة من البكري يذكر فيها القلعة المنادية، المصدر السابق، ص137.
⁷ جمال سويدي: التقرير السابق، ص9.

⁸ Bourouiba Rachid: l'architecteur militaire de l'Algérie médiévale, office Des publications universitaires, Alger 1983.p59.

⁹ Bouamran Samia: fondation d'Achir; capitale Zirides, Alger 1998.p10 .

والسؤال الذي يمكن أن يطرح, لماذا يوجد في موقع منزله بنت السلطان برج واحد فقط ؟
ويمكننا أن نرجع ذلك إلى الموقع نفسه الخاص بمنزله بنت السلطان, بحيث أنه يقع فوق
هضبة صخرية ارتفاعها 1300 متر على سطح البحر, كما أن جدرانها مديبة مع استحالة
اجتيازها, لهذا وجد برج وحيد يحمي المدخل, ومركزا للمراقبة أيضا.

- الصهريج:

يحتوي موقع منزله بنت السلطان على صهريج¹, حيث يبلغ مقياس الضلع الواحد إلى 10 أمتار,
أما عمقه فيصل إلى 1.5 متر, وبهذا يمكن أن يحتوي على مائة وخمسين ألف (150000) لتر
من الماء, بالإضافة إلى وجود بئر شكله أسطواني, قطره 2.5 متر, وعمقه 2.5 متر, وبهذا تصل
سعته إلى 7359.375 لتر من الماء.²

من خلال ما سبق يتضح أن سعة الصهريج والبنر الموجودة في موقع بنت السلطان تمكننا
من معرفة أهميتهما في العمران العسكري ومدى تحصيناته, وذلك من خلال سعتهما الكبيرة
للمياه التي تجعلهم لا يعانون أي صعوبة من حالة الحرب أو الحصار ولو دام طويلا الهاجس
الأمني³, كما أن هذه السعة الكبيرة توفر لهم الكثير من عناء البحث عن المياه أمام افتقار منزله
بنت السلطان لينابيع المياه.⁴

- المساكن:

يضم حصن منزله بنت السلطان عدة مساكن بلغ طولها 30 مترا, وعرضها 15 مترا, وتضم
بناءين مفصولين عن بعضهما البعض بساحة داخلية, كل بناء من حجرتين بنفس المساحة والتي
تقدر ب: 7 أمتار في 6 أمتار.⁵

ب- مدينة الياشير:

هو اسم أشير باللهجة البربرية, وقد عثر على آثاره على مسافة 12 كلم, شمال شرق عين
بوسيف, ويتربع على مساحة إجمالية تتجاوز 15 هكتار⁶, ويعتقد رودى (Rodet), أن هذا
الموضع هو مكان بناء أشير القديمة التي بناها زييري بن مناد, واستقر بها أول الأمر كما يرويها
النويري نقلا عن الرقيق, وبهذا الموضع أجريت حريات أثرية⁷, كللت باكتشاف غولفن
(Golvin), لقصر زييري بن مناد.¹

¹ Encyclopédie.T1.p721.

² Bourouiba: op.cit,p.59.

³ Marçais: op,cit, p.27.

⁴ أنظر الخريطة رقم 03.

⁵ Bourouiba: op,cit,p.59.

⁶ Marçais: Achir, p.32.

⁷ بدأت الأبحاث والحفريات الأثرية في الياشير سنة 1945م, مع تابوتو مساعد لقسم الجغرافيا التابع لكلية

- قصر زيري بن مناد:

يرى غولفن² (Golvin) أن تاريخ بناء قصر زيري كان سنة 336هـ/945م، أي بعد القضاء على ثورة صاحب الحمار، والتي كان لزيري دورا حاسما في القضاء عليها³، فكافأه المنصور بأن أذن له في بناء القصور والحمامات⁴، وبني قصر زيري بن مناد من الحجر على شكل مستطيل، طوله 72 متر وعرضه 40 متر⁵.

- الباب الرئيسي:

نوي قصر زيري على باب رئيسي عرضه 9 أمتار بارز على الحائط بحوالي 3 أمتار، يؤدي إلى داخل القصر الذي يبلغ طوله 35 متر وعرضه 33 متر⁶، وتتوزع بداخل القصر خمسة حصون، محيطة بقاعات وغرف مختلفة الشكل مزينة بألواح جصية منقوشة، وحيطانه مزينة بأقواس مشتبكة⁷، بالإضافة إلى الاقتصار على باب رئيسي واحد⁸ وذلك على نحو جميع القلاع التي يشترط فيها الاكتفاء بمدخل واحد، حرصا على توفير أسباب الحصانة⁹.

- الأسوار:

زود قصر زيري بسور حصين مثبت بركائز قوية، مربعة الزوايا متصلة الأضلاع¹⁰، تعمل على تحصين زوايا القصر الأربعة¹¹، أما أسوار الواجهة الأساسية المطلة على ساحة القصر

الأداب الجزائرية، كشف أثناء أبحاثه في جبل التيطري، في مكان يسمى "بنية المرحوم" على خرائب ذات أهمية على نحو 01 كلم، شرقي الياشير، ثم انضم إليه بعد ذلك كلا من مارسيه وتورنتو وغولفن، حيث بدأت الحفريات برئاسة غولفن سنة 1954م حتى سنة 1956م، حيث تم خلالها اكتشاف قصر زيري بن مناد، بورويبة: المرجع السابق، ص 118-119

¹ Golvin Lucien: Le Maghreb central a l'époque des Zirides, Recherches d'archéologie et d'histoire arts et métiers graphique, Paris 1957.p180.

² Ibid,p.180.

³ ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص262

⁴ ابن خلدون: العبر، ج6، ص204

⁵ Golvin: ibid, p.180.

⁶ Bourouiba Rachid: L'art musulman en Algérie, Société nationale d'édition et diffusion, Alger 1973.p12.

⁷ ويشير بورويبة إلى وجه الشبه الموجود بين باب قصر زيري وباب جامع المهديّة من حيث البناء ذلك أن قصر زيري بني بتصميم بنائين أرسلوا من طرف الخليفة الفاطمي بالمهديّة، للمزيد أنظر: Bourouiba: ibid,p12.

⁸ أنظر الصورة رقم 08.

⁹ مصطفى ديبس: الفن الإسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين، ص78.

¹⁰ أنظر الصورة رقم 09.

¹¹ ويبدو أنها صممت كذلك لحمل أسطوانات وأعمدة سميكة وطويلة تنبئ على ارتفاع قصر زيري، حيث أشار مصطفى ديبس إلى أن ركانز السور تشبه ما عثر عليه من ركانز السوراري بجامع المهديّة، المرجع نفسه، ص78.

فتتوزع عليها مجموعة من الغرف وأربع ساحات ثانوية موزعة تناظريا، ساحتان من الجهة الجنوبية الشرقية وساحتان من الجهة الجنوبية الغربية¹ وكلها مبنية من الرخام.² بالإضافة إلى وجود طابق به سلم مازالت بقاياه إلى الآن.³ وقد اتضح لنا من خلال زيارتنا الميدانية لقصر زيري بن مناد مدى حصانة أسواره ودقة تركيب أحجاره فوق بعضها البعض مما ساعد على صمود البناء في وجه الظواهر الطبيعية لمدة زمنية طويلة.⁴

ج- مدينة بنية :

توجد آثار مدينة بنية على مسافة 02 كلم جنوب شرق موقع أشير⁵، حيث تقع فوق هضبة تسيطر على الجهات الثلاث، الغرب والشمال والشرق، وتنتهي إلى الجنوب بقلعة تتوج بقمة تقع جبلي لكاف تاسمسائل، حيث توفرت لها الحماية الطبيعية أكثر من أشير بفضل الصخور التي تحيط بها، مما أعطى المدينة مكانة متقدمة في الهجوم.⁶ ويحتل موقع مدينة بنية في الداخل على مساحة قدرها 35 هكتار، ويرى رودي⁷ (Rodet)، أن يكون هذا الموضع هو مكان اختطاط المدينة الجديدة على يد بلكين بن زيري وموقع مدينة بنية في رأيه هو كل المدينة التي يصفها البكري⁸، وذلك راجع لسببين:

أولاً: وجود آثار لأنقاض تثبت وتشير إلى أسس بنايات عديدة ذات أهمية كبرى، تظهر أنها كانت محل صيانة واهتمام كبيرين.⁹

ثانياً: توفر المدينة على منبعين من الماء بداخلها.¹⁰

تحتوي مدينة بنية على عدة مرافق عمرانية، إذ تعتبر من المواقع التي قام الزيريون بالبناء والتشييد فيها، مما أكسبها اسم "بنية"¹ وهو اسم بربري يطلق على البناءات بصفة عامة، من قبل السكان المحليين وهو بمعنى البناء.²

¹ أنظر المخطط والصورة رقم 10.

² كما عثر بقصر زيري على حجر من كلس مزخرف رؤوس أسود وعلى قطع من الخزف مزينة بزخارف مسحوبة، وعلى أربعة تيجان مزينة بأوراق منحرفة، مثل تيجان جامع سيدي عقبة بالقيروان، وجامع الزيتون بتونس، Golvin: ibid, p.182.

³ Golvin: ibid, p.182, Bourouiba: ibid, p.12.

⁴ ويرجح بورويبة أن يكون القصر الذي عثر عليه غولفن هو نفسه البنيان العظيم الذي أشار إليه صاحب كتاب الاستبصار (ص 170)، وسماه محراب سليمان وقال عنه: " ولم يرى بنيان أعظم منه ولا أحكم، فيه من الرخام والأعمدة والنقوش ما يقصر عنه الوصف"، أشير عاصمة بني زيري، ص 119.

⁵ Marçais: op,cit, p.29.

⁶ Bouamran: op,cit, p.10.

⁷ بورويبة، أشير عاصمة بني زيري، ص 118

⁸ المصدر السابق، ص ص 60-61

⁹ Marçais: op,cit, p.31.

¹⁰ البكري: المصدر السابق، ص 60

- السور:

يغطي السور مساحة مدينة بنية المقدرة ب 35 هكتار، من جميع جوانبها حيث يعطيها شكلا مستطيلا، ويشير رودي³ (Rodet)، إلى أن بلكين بن زيري هو من قام بتسويرها، وكان ذلك سنة 367هـ/978م، وذلك حسب رواية البكري⁴، ويبلغ مقياس السور حسب تقديرات بلدية الكاف الأخضر ب 800متر طولاً، أما العرض فيتراوح ما بين 300 إلى 450 متر، وسمكه يبلغ حوالي 2متر وتتوزع على طول السور ثلاثة أبواب⁵، يقع أحد هذه الأبواب بالجهة الشمالية الشرقية للمدينة.⁶

- بقايا المسجد:

عثر مارسيه⁷ (Marçais)، سنة 1920م على بنيان مستطيل الشكل بموقع بنية مقياس طوله 21متراً، وعرضه 19متر، حيث كان رودي (Rodet)، يعتقد أن هذا البنيان عبارة عن حمام، وأن المحراب بئر لهذا الحمام⁸، في حين أكد مارسيه (Marçais) أنه مسجد يحتوي على قاعة للصلاة تقوم بعد الصحن، وأن البئر المذكورة هي في الأصل محراب المسجد بستة صفوف، كل صف يشتمل على أربعة أعمدة⁹، حيث كان العمود على شكل ثمان زوايا، ولكل ود وجهين في الأعلى مربعة وفي الأسفل دائرية ومزخرفة، حيث رأى مارسيه أنها شيدت بالأندلس¹⁰، أما المنارة فلم يتعرف على موقعها بعد، وإلى جانب المحراب بنيت مقصورة الأمير وذلك حسب قواعد الشرع الإسلامي في بناء المساجد¹¹.

- الحصن:

يقع على بعد 3 كلم جوا إلى الجنوب من مدينة بنية، وهو حصن ينتصب على ارتفاع 1000 متر فوق نشوز صخري يحيط بكل جوانبه أودية ضيقة، ويطل هذا الحصن – الذي يلوح للمرء من موقع بنية – على السهول الممتدة للجهة الجنوبية.¹²

¹ أنظر الخريطة رقم 04.

² Marçais: op,cit.p.29.

³ Marçais: ibid, p.32.

⁴ المصدر السابق، ص 61.

⁵ Encyclopédie.T1.p.721.

⁶ Marçais: le ruine d'Achir, p.130.

⁷ بورويبة: أشير عاصمة بني زيري، ص 118.

⁸ Encyclopédie.T1.p.721

⁹ Marçais: Manuel d'art musulman, l'Architecture (Tunisie, Maroc, Espagne, Sicile) du 9 siècle au 12 siècle édition auguste picard, Paris 1926, T1, p.112

¹⁰ Marçais: le ruine d' Achir, p.31

¹¹ بورويبة: أشير عاصمة بني زيري، ص 116-117

¹² جمال سویدی: مساهمة الجيومرفولوجيا في الدراسة الأثرية لموقع أشير الغربي، ترجمة ليندة توشي، دفاتر

وانطلاقاً من المصادر التاريخية والحفريات الأثرية التي أجريت بالمنطقة، يتضح طغيان الهاجس الأمني، والطابع العسكري في المجال المعماري كبناء الأسوار والحصون والقلاع التي شيدت في المواقع الثلاثة التي بنيت عليها مدينة أشير كما يمكن تحديد طبيعة العمران السائد وهو العمران العسكري على المدني، وذلك لكثرة الحروب والثورات وعدم الاستقرار، فموضع منزله بنت السلطان لا يشكل مركز المدينة بل هو حصن مراقبة، أما موضع ياشير فتوجد به قصور الأسرة الحاكمة وعلية القوم كقصر زيري بن مناد، في حين نجد أن موضع بنية هو على الأرجح المدينة التي اختطها بلكين بن زيري¹، وبذلك تكون مدينة أشير مجموع هذه المواقع الثلاثة² التي أجريت فيها الحفريات الأثرية، قد كانت مجالاً للتعمير المدني والعسكري في العهد الفاطمي.

¹ أشير، ص19
كما أشار إلى ذلك البكري لما قال أن "الذي بنى سورها بلكين سنة سبعة وستين وثلاثمائة"، المصدر السابق، ص60.

² انظر الخريطة رقم05.

ثالثاً: ثنائية البناء والتهديم في الصراع الفاطمي الأموي.

عمد الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي أمام تزايد خطر زناتة وتحالفها مع أموي الأندلس وعدم توقف ثوراتها وخروجها على الدولة، إلى إتباع سياسة عمرانية تمثلت في بناء المدن والقواعد العسكرية المتقدمة على أراضي زناتة وبتونها في المغرب الأوسط، فأنشأ مدينة المحمدية (المسيلة) في سنة 315هـ/927م.¹

ثم عزز هذه القاعدة العسكرية ببناء قاعدة عسكرية أخرى في أراضي قبيلة صنهاجة وكان ذلك سنة 324هـ/956م²، وعند بنائها قال القائم: "مجاورة العرب خير لنا من مجاورة البربر"³، والبربر الذين قصدهم القائم في قوله هم قبيلة زناتة وبتونها الراضة للوجود الفاطمي في المغرب الأوسط والمعادية لمذهبه.

وبالمقابل وإلغاء وجود الطرف الآخر المناوئ للدولة الفاطمية ووجودها في المغرب الأوسط، قامت دولة الفاطمية بإتباع سياسة تهديم المدن والقلاع والحصون التابعة لقبيلة زناتة وبتونها من بني مغراوة وبني يفرن.⁴

حيث رأى أحد الباحثين أن هذه السياسة اتبعتها الدولة الفاطمية احتياطاً من التمرد، وأيضاً لإذعان القبائل المناوئة لها⁵، وذلك من خلال تهديم أو تخريب عمرانها وإبعادها عن حيزها الجغرافي الذي تستقر فيه.

ويعود اتباع الدولة الفاطمية لسياسة التهديم والتخريب للبناء والعمران إلى سببين مهمين:

* كون عملية الهدم أسهل من البناء بكثير لأن الهدم رجوع إلى الأصل الذي هو العدم،

والبناء على خلاف الأصل

* إن وجود البناء الذي يعجز الإنسان عن هدمه مع سهوله الهدم، دليل على قوة البناء

المراد هدمه، وأن قدرة من شيده مفرطة القوة.⁶

¹ ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص34.

² النويري: المصدر السابق، ج24، ص161.

³ نفسه.

⁴ بنو يفرن شعوب من زناتة وأوسع بطونهم وهم عند نسابة البربر بنو يفرن بن يصلتين بن مسر بن زاكيا ابن ورسيك بن الديرت بن جانا، وإخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح الإسلامي أكبر قبائل زناتة وأشدّها شوكة، وكان منهم بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطون وشعوب، للمزيد انظر ابن حزم: الجمهرة، ص498، ابن خلدون، العبر، ج7، ص15.

⁵ القرشي: عيون الأخبار، نشره محمد اليعلاوي تحت عنوان تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت1985م، ص222.

⁶ ابن خلدون: المقدمة، ص431.

وبناء عليه فقد ظلت خريطة عمران المغرب الأوسط محل الكثير من التغيرات والمتمثلة في اب بعض مدنه نتيجة التهديم الذي تعرضت له، وبناء مدن جديدة أخرى، وكان هذا التغيير مرهون بجملة من المؤثرات المذهبية والسياسية والعسكرية التي شهدتها المغرب الأوسط. وقد سجل ابن خلدون أن مفهوم العمران مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستقرار لما اعتبر أن العمران ظاهرة نمط استقرار الناس، وطبيعة اجتماعهم وأنواع العلاقات الاجتماعية التي تحدث بينهم.¹

حيث ربط نمط الاستقرار بحيز جغرافي، ومجال لأنشطة اقتصادية تضمن استمرار الحياة لأعضاء المجتمع²، وما ينتج عنه من تعاون وتبادل للخبرات والخدمات بين أعضاء المجتمع، فتنشأ الصناعات والأعمال وتنتشر العلوم³، وهي القوة المحركة للحركة العمرانية تنشط بنشاطها وتتقلص بتدهورها.⁴

1- التهديم الفاطمي لعمران زناتة:

وقد تمت عمليات الهدم المنظم لعمران المناونين للدولة الفاطمية من قبائل وبطون زناتة مع حملة القائم أبي القاسم محمد للمغرب سنة 313هـ/925م، لما بلغه من قوة الفساد وظهور النفاق والعصيان واجتماع قبائل البربر جميعاً مع زناتة حول تاهرت وغيرها من الأعمال⁵.

لقد استقرت عديد القبائل الزناتية حول مدينة تاهرت ونواحيها، ومن ذلك قبيلة لواتة التي استقرت في قبلتها، أما في غربها فاستقرت قبيلة زواغة، وأما من الجهة الجنوبية لمدينة تاهرت فكانت لقبيلة مطماطة وزناتة ومكناسة.⁶

ويبدو أنه قد أعقب هذا الاستقرار حركة عمرانية واسعة شهدتها نواحي تاهرت منذ العهد الرستمي (160-296هـ/776-909م)، مع وجود المظاهر الحضارية من بناء المدن والقلاع والحصون، لما اكتسبت هذه القبائل من الأموال واتخذت من العبيد والخيول، وقد نالها من الكبر ما نال أهل المدينة.⁷

ظرا لأهمية مدينة تاهرت بالنسبة للدولة الفاطمية، فقد كان لاستقرار هذه القبائل حولها، وتمردا ما يثير انزعاج الفاطميين، مما اضطر الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي إلى تجهيز

¹ نفسه، ص 478-479.

² مصطفى عمر التير: ملاحظات حول علاقة ابن خلدون بعلم الاجتماع، مجلة الحياة الثقافية، العدد 173، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس، 2006م، ص 53.

³ الجابري: العصبية والدولة، ص 116.

⁴ الجنحاني: ابن خلدون والتطور العمراني في المغرب العربي الإسلامي، ص 26.

⁵ القرشي: المصدر السابق، ج 5، ص 145.

⁶ الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 8.

⁷ ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م، ص 54.

حملة عسكرية يقودها ابنه القائم لإصلاح الأطراف وحرب زناتة¹, وكما رافق هذه الحملة بناء مدن وقواعد عسكرية كالمحمدية (المسيلة) مثلا، فقد رافقها تهديم لمدن وقلاع القبائل المناوئة للدولة الفاطمية، ومن أهم هذه المدن والحصون والقلاع التي تعرضت لعمليات التهديم الفاطمي نجد:

أ- مدينة زبرقة:

يسمى ابن عذارى² بـرقجانة، وأن لها حصن يسمى أغزر، يقع هذا الأخير في سهل متيجة³، بين أشير وجزائر بني مزغنى، إذ يبدو أن أساس بنائها كان قائما على التحصينات العسكرية، كالسور الذي يحيط بالمدينة ويلى هذا السور خندق عظيم، وللدخول إلى هذه المدينة يوجد بها بابين فقط.⁴

ونظرا لهذه التحصينات التي تتميز بها مدينة زبرقة أمر القائم بنصب المنجنيقات والعرادات لتهديمها، حيث تمكن الجيش الفاطمي من اجتياز الخندق أولا ثم ثقب السور بالفؤوس حتى تضعه وانهار.⁵

ويبدو أن المدينة كانت عامرة بالمحتويات من خيل وسلاح أثاث فكانت عرضة للنهب والسلب، حيث أشار القرشي أن عمليات النهب قد استمرت طوال الليل حتى طلوع الشمس.⁶

ب- مدينة الحمير:

تقع هذه المدينة قرب وادي تامرت⁷، وتنسب إلى بني مسرة وهم فخذ من زناتة، ويشير القرشي إلى أنهم أهل بيت عبد الله بن خزر أخو محمد بن خزر⁸، والجدير بالذكر أن المصادر رافية تذكر مضارب هذه القبيلة باسم مدينة أوزكي التي تقع غرب مدينة تاهرت في الاتجاه نحو سجلماسة، والمدينة يسكنها فخذ من زناتة هم بنو مسرة ورئيسهم عبد رحمن أودموت بن سنان...⁹

¹ القرشي: المصدر السابق، ج 5، ص 145.

² ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 193.

³ هي أرض فسيحة كلها، سهل واسع يمتد من العلمة شرقا إلى مارانكو غربا، ويحدها من جهة الشمال مدينة الجزائر حاليا، وجنوبا جبل بني صالح، ومتيجة اسم لقاعدة هذه الإمارة المعروفة بإمارة متيجة، كما يقال لها قزرونة، ولعلها نفس المكان المدعو اليوم خزرونة قرب مدينة البليدة حاليا بأميال، عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994م، ج 1، ص 184.

⁴ القرشي: المصدر السابق، ج 5، ص 145.

⁵ نفسه، ج 5، ص 145-146.

⁶ نفسه، ج 5، ص 147.

⁷ القرشي: المصدر السابق، ج 5، ص 147، وجاء هذا الاسم عند المقدسي باسم تامريت، المصدر السابق، ص 180.

⁸ القرشي: المصدر السابق، ج 5، ص 147.

⁹ اليعقوبي: كتاب البلدان، نشر دي غويه، ليدن 1892م، (نشر مع كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته في

تعتبر المدينة حدا لبلاد زناتة وهي آخر المدن الأهلة بالسكان قبل الوصول إلى سجلماسة
تي تبعد عنها بمسافة سبع مراحل أو نحوها¹، وهي من أهم مدن تاهرت²، ويبدو أن مدينة
أوزكي هي مقر إمارة بني مسرة، أما مدينة الحمير فهي مدينة تابعة لها فقط.

وقد تعرضت هذه المدينة إلى هجوم من قبل الجيش الفاطمي حيث أشار القرشي أن القائم
عسكر قرب وادي تامرت، ثم قصد منه إلى مدينة الحمير مطاردا لعبد الله بن خزر، فأصابها
خاوية ومن أهلها خالية، وهي في موضع أنيق كثير الأشجار والأنهار يحيط بها سور، فأمر
القائم بهدم سورها وقطع أشجارها³.

ويبدو أن القائم نفسه قد أشرف على عمليات تهديم هذه المدينة، في إشارة للقرشي أن القائم قد
مكث بها حتى تمت عمليات التهديم التي استغرقت وقتا مما يوحي إلى سعة المدينة وطول
سورها.

ج- حصن بهيروج⁴:

ويسميه ابن حيان القرطبي بحصن هندرج⁵ قريب من مدينتي شلف ومستغانم⁶، ويبدو أن
الخليفة الفاطمي قد وجد مقاومة عنيفة من قبيلة مغراوة كونه توغل في أراضيها وفي المنطقة
التي تكنها، فلما رأى هذا الحصن وتيقن من حصانته أمر بهدمه⁷، وبالمقابل عمل القائم على
بناء حصن في هذه المنطقة التابعة لمغراوة من حجارة وخشب الحصن الذي هدمه، كما شحنه
بالرجال والعدة⁸، حتى يكون نقطة مراقبة لتحركات زناتة وصد هجوماتها.

ويخيل إلى الدارس أن القائم كان يفكر في بناء مدينة في هذا الموضع المتقدم بعدما توغل في
أراضي زناتة، لكن الخير بن محمد بن خزر المغراوي هاجم هذا الحصن الذي بناه القائم،
وتمكن من قتل معظم من كان فيه من الرجال وقد قدر عددهم بمائة رجل من رجال الشيعة⁹.

مجلد واحد)، دار صادر، بيروت، ص359.

¹ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه: المسالك والممالك، يليه نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكاتب
لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، طبعة ليدن 1889م، ص89.

² سليمان بن عبد الله الباروني باشا: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق أحمد كروم، عمر
بازي، مصطفى بن دريسو، دار البعث، قسنطينة 2002م، ص72.

³ القرشي: المصدر السابق، ج5، ص147.

⁴ القرشي: المصدر السابق، ج5، ص147.

⁵ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص259.

⁶ تقع على مقربة من البحر، وهي مدينة مسورة لها بساتين وعيون وطواحين ماء، ويبذر في أراضيها القطن
فيجود، وهي بقرب مصب نهر شلف في البحر، البكري: المصدر السابق، ص69.

⁷ القرشي: المصدر السابق، ج5، ص147.

⁸ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص260.

⁹ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص260، للمزيد أنظر الرسالة رقم03.

د- قلعة مطماطة:

كانت لقبيلة مطماطة مملكة كبيرة، وكان مركز إقامهم بمدينة قرب تاهرت تعرف بإيرزج¹ ورئيسها إبراهيم بن محمد البربري المعتزلي²، بالإضافة إلى وجود قلاع متفرقة تنسب إليها، ويبدو أن قبيلة مطماطة قد تحالفت مع عبد الله بن خزر المغراوي الزناتي على محاربة الفاطميين ووعده بالنصر والموازرة³، مما جعلها عرضة لهجوم الجيش الفاطمي، إذ أشار القرشي أن القائم عرج على قلاع مطماطة وأمر بتهديمها⁴.

2- مقاومة عمليات التهديم الفاطمي:

أ- دعم قبيلة زناتة:

يتضح أن سنة 317هـ/928م، كانت سنة حافلة بالأحداث والإنجازات التي حققتها قبيلة مغراوة الزناتية بقيادة الخير بن محمد بن خزر في المغرب الأوسط حيث بعث برسالة إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، يخبره فيها بما حققه من فتوحات أخرى ضد الشيعة العبيديين لبعض المدن والأراضي التي كانت خاضعة لهم، حيث استطاع أن يسيطر على مدينتي شلف وتنس وإخضاع بعض القبائل حتى أذعنن والتزمت بتقديم الولاء والطاعة للخليفة الأموي بالأندلس⁵.

وبذلك استطاع الخير بن محمد بن خزر أن يسيطر على كل المنطقة الساحلية للمغرب الأوسط كوهان ومستغانم، وامتدت سلطته حتى مدينة شلف وتنس، في حين اقتصرت سلطة الفاطميين في المغرب الأوسط على تاهرت فقط⁶.

ويبدو أن تسارع الأحداث وتطور الأوضاع في المغرب الأوسط لصالح الأمويين، قد حفز عبد الرحمن الناصر من استخدام السواحل المغربية لدعم قبيلة زناتة و مغراوة في حربها ضد الفاطميين، ومقاومة عمليات الهدم التي سلكتها السلطة الفاطمية ضد عمران هذه القبائل.

ولتسهيل عمليات الدعم التي يقدمها الخليفة الناصر إلى قبيلة مغراوة، كتب محمد بن خزر رسالة سنة 320هـ/932م، إلى الناصر يخبره فيها بانتقاله إلى مدينة تسفا أو سيق المشهورة بمدينة العلويين⁷، وتتميز هذه المدينة بميزتين مهمتين تتناسبان والصراع المغراوي الأموي

¹ اليعقوبي: المصدر السابق، ص356.

² خرداذبه: المصدر السابق، ص88.

³ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص193، القرشي: المصدر السابق، ج5، ص142.

⁴ القرشي: المصدر نفسه، ج5، ص142.

⁵ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص260.

⁶ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص260.

⁷ كانت مدينة في أيدي العلويين من ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم تركوها فسكنها رجل من أبناء ملوك زناتة يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي، وهي قرية عظيمة أهلة على نهر، ولها أجنة فواكه وعيون، ويبدو أنه كان هناك تعايش سلمي بين قبيلة زناتة والعلويين

الفاطمي في هذه المرحلة، إذ أشار ابن خزر إلى أنها، مدينة ساحلية قريبة من مراسي الأندلس، وهي منتظمة بها قريبة منها، إذ لا تتعدى المسافة بينهما أقل من يوم.¹

أما الميزة الثانية لهذه المدينة فقربها من مدينة تاهرت، إذ بينهما مسافة ثلاث أيام² وبذلك يمكن لابن خزر تلقي الدعم من الخليفة الأموي من جهة، واستعماله في حصار مدينة تاهرت من جهة أخرى.

ولم يخف ابن خزر للخليفة الأموي عجزه بمفرده عن إسقاط مدينة تاهرت، وذلك لما تتمتع به من حصانة طبيعية تتجلى في وعورتها وصعوبتها وشموخ أجبلها³، وأنه بلا دعم لا يستطيع السيطرة عليها، تلك عرض ابن خزر على الناصر طبيعة الدعم الذي يحتاجه لإخضاع مدينة تاهرت، وإنهاء الوجود الفاطمي في المغرب الأوسط فطلب من الناصر القوة والعدة، وأصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرمات، وبعض الرجال الذين لهم معرفة في محاصرة الحصون والمدن.⁴

ب- اجتياح مدينة تاهرت:

كان لاستيلاء عبد الرحمن الناصر على مدينة سبتة آثار إيجابية على رؤساء القبائل المغربية، إذ شجعتهم هذه الخطوة على التخلي على الفاطميين، والانضمام إلى الخليفة الأري الذي اشتد سلطانه وتعاضم شأنه باحتلال مدينة سبتة، "فأضحت ركابا إلى العدو"⁵، وبذلك أصبح المجاز بيده.⁶

ويبدو أن هذه الخطوة قد جذبت حليف الفاطميين موسى بن أبي العافية⁷، الذي كان يحكم باسمهم في المنطقة، إذ لم يلبث أن خلع طاعتهم ودعا للخليفة الأموي، وأسل إليه بعض أسرى الفاطميين لعرضهم في شوارع قرطبة.¹

من أبناء سليمان بن عبد الله، اليعقوبي: المصدر السابق، ص356، ابن خوقل: المصدر السابق، ص88، البكري: المصدر السابق، ص71، موسى لقبال: زناة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر 1975م، ص91 وما بعدها.

¹ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص301.

² نفسه، ج5، ص301.

³ نفسه، ج5، ص303.

⁴ أنظر الرسالة رقم 04.

⁵ نفسه، ج5، ص289.

⁶ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير، دمشق 1985م، ج4، ص263.

⁷ من رؤساء قبيلة مكناسة وكانت مواطنهم على وادي ملوية من لدن أعلاه سجلماسة إلى مصبه في البحر مابين ذلك من نواحي تازا وتاسول، وكان موسى بن أبي العافية قد اتصل بمصالة بن حبوس وقاتل معه في جميع حروبه لصالح الفاطميين، فعينه على بلاد المغرب كلها عدا فاس وأعمالها، للمزيد أنظر، ابن خلدون: العير، ج6، ص170-171، علي بن عبد الله بن أبي زرع: الأنييس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص83، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي: الإستقصا لدول المغرب الأقصى، طبعة القاهرة 1312هـ، ج1، ص

ولقد بلغ الدعم الأموي لموسى بن أبي العافية إلى حد بناء المدن والتحصينات حتى يستطيع مقاومة الشيعة الفاطميين والانطلاق من هذه التحصينات والمدن لشن الغارات عليهم، مثل مدينة مليلة²، التي حصنها عبد الرحمن الناصر وبنى سورها وجعلها معقلا لموسى بن أبي العافية، فأصبح ينطلق منها للهجوم على تاهرت³ ثغر الفاطميين بالمغرب الأوسط، وفي هذا الشأن يقول الشاعر⁴:

والملك الناصر دين الله *** فيما يحوط الدين غير ساه

بنى لموسى عدة مدينة *** منيعة شاهقة حصينه

ذلت لها تاهرت والأفارقة *** ولم يطق بنيانها العمالقة⁵.

وهكذا امتد نفوذ موسى بن أبي العافية من تلمسان وسواحلها في المغرب الأوسط إلى أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى، وجنوبا حتى السوس الأقصى⁶.

ولما شغل الفاطميون بثورة صاحب الحمار، عظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة و زناتة، فزحف على تاهرت⁷، ويبدو أن المدينة قد تعرضت للتدمير والتخريب لوقوعها في مركز الصراع الفاطمي الأموي في المغرب الأوسط، وفي هذا الشأن يقول الشاعر⁸:

خليلي عوجا بالرسوم وسلما *** على طلل أقوى وأصبح أغبرا

أما على رسم بشرت دائر *** عفته الغواذي الرائحات وأقبرا

كأن لم تكن بتيهرت دارا لمعشر *** فدمرها المقدار فيمن تدمرا⁹.

3- التهديم الفاطمي لعمران بني يفرن:

سفرت الحملة العسكرية التي قادها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي في المغرب الأوسط سنة 342هـ/953م على نتائج مهمة للدولة خاصة وأنها كانت تتوجس خيفة من الجبهة الغربية واعتبارا من هذا التاريخ لم يعد يهدد إفريقية - على المدى القريب - أي خطر من هذه الجهة¹⁰.

ص80-82.

¹ العبادي: المرجع السابق، ص204.

² مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر، للمزيد أنظر، البكري: المصدر السابق، ص89، الحموي:

المصدر السابق، ج5، ص197.

³ ابن حيان: المصدر السابق، ج5، ص415.

⁴ من بحر البسيط.

⁵ البكري: المصدر السابق، ص89.

⁶ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص194، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص55.

⁷ ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص24.

⁸ من بحر الطويل

⁹ ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص199.

¹⁰ الدشراوي: المرجع السابق، ص332.

ولتأكيد سيطرته عليها قام المعز لدين الله بتولية أتباعه وغلتماته على النواحي والأعمال التي تم إخضاعها، فأسند لكل ناحية من يعلم كفايته وشهامته، فكانت باغاية وأعمالها لقيصر الفتى، والمسيلة وأعمالها لجعفر بن علي الأندلسي، أما أشير وأعمالها فكانت لزيري بن مناد الصنهاجي.¹

وبذلك امتدت سلطة الفاطميين في المغرب الأوسط من باغاية شرقا إلى غاية أشير غربا، لم يبق إلا المناطق التي تمتد إلى ما وراء تاهرت، والتي تعتبر مواطن لبني يفرن الزناتية الممتدة بنواحي تلمسان ما بينها وبين تاهرت.²

وكان رئيسهم في ذلك الوقت يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى، والذي استطاع إخضاع تلك النواحي لسلطته، وقد تولى يعلى رئاسة قبيلة بني يفرن بعد مقتل أبيه محمد في عهد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وفي هذا الصدد يقول بن خلدون: "وكان رئيسهم لعهد أبي يزيد محمد بن صالح. ولما تولى محمد بن خزر وقومه مغراوة، وكان بينه وبين بني يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح على يد عبد الله بن بكار من بني يفرن، كان متحيزا للمغراوة، وولي أمره في بني يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته واختط مدينة إيفكان."³

أ- عمران قبيلة بني يفرن

تقع إيفكان على نحو خمس وعشرين كيلومتر (25 كلم) من جنوب الغربي لمدينة معسكر، المعروف مكانها باسم فكان بتشديد الكاف من مواطن بني راشد⁴، وقد كان مركز مدينة إيفكان أولا سوقا لزناتة، فمدنها رئيسها يعلى محمد بن صالح اليفرنى، وأسس بهذا المكان مدينة عظيمة، وذلك سنة 338هـ/949م⁵، واتخذها مركزا لرئاسته، فأصبحت من أهم المنشآت العمرانية التي أقامها بنو يفرن.

ولتعمير مدينة إيفكان ارتحل إليها أهل المعسكر من تاهرت وبليل⁶ وشاطئ بني واطيل ووهران وقصر الفلوس، فعمرت وتمدنت وعظمت نتيجة المرافق العمرانية التي بناها يعلى، حيث أسس بها مسجدا جامعاً وأرحاء وحمامات وقصور⁷ وفنادق⁸، كما بنى يعلى سورا يحيط

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 59.

² ابن خلدون: المصدر نفسه، ج 7، ص 24.

³ ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 24.

⁴ وهو أحد جبال درن المعروف بالأطلس، وقاعدته مدينة الراشدية معسكر، الجليلي: المرجع السابق، ج 1، ص 221.

⁵ البكري: المصدر السابق، ص 79.

⁶ مدينة ذات انهار وفواكه تقع بين مدينة معسكر و شلف، هي كبيرة أهلة، كثيرة الأشجار يسكنها هوارة و بها مسجد، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 89-90، البكري: المصدر السابق، ص 143.

⁷ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 88.

⁸ البكري: المصدر السابق، ص 79.

بالمدينة حيث أشار ابن حوقل - الذي كان معاصرا لهذه الفترة- ن المدينة كانت ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض...¹

وقد استمر هذا السور حتى القرن الخامس الهجري, غير أنه لم يصمد أمام كثرة الثورات والصراعات التي شهدتها المنطقة حيث نجد الإدريسي يشير إلى أن إفكان " كان عليها سور تراب لكنه الآن تهدم وبقي أثره ".²

بالإضافة إلى ذلك وقوع مدينة إفكان على سفح جبل أوشيلاس, وما يوفره هذا الجبل من المحتطب لأهل المدينة حيث وصف بأنه "كان شعراء غامضة".³

كل هذا جعل المدينة تتمتع بثروات كبيرة, فكانت ذات أرحية وحمامات وقصور وفواكه, ويضيف ابن حوقل أن "إيفكان على واديها أعمال عريضة وأجنة ومزارع"⁴, وكانت سوقا قديمة من أسواق زناتة⁵, وربما كان تطور هذا السوق إلى مدينة يرجع إلى اعتباره ملتقى قبائل عديدة بالإضافة إلى وقوعه في مناطق خصبة على وادي الصفصاف وهو واد جار, بالقرب من ريق الرئيسي بين تاهرت وتلمسان فالمغرب الأقصى, مما سمح لمدينة إفكان أن تدخل باب الحركة التجارية الدولية, كما كان لها تأثير حضاري على المنطقة إضافة إلى تأثيرها الاقتصادي.⁶

وقد ذكر الإدريسي⁷ ثلاث طرق رئيسية لمدينة إفكان هي:

- الطريق الأول: من إفكان إلى تاهرت جنوبا مرحلتان
- الطريق الثاني: من إفكان إلى الصفصاف, إلى سي إلى بابلوت إلى تلمسان
- الطريق الثالث: من إفكان إلى مدينة يلل ثلاث مراحل إلى الغزة مرحلة إلى تاجنة مرحلتان, إلى تنس الساحلية مرحلة.

وكان يعلى قد بايع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة 341هـ/923م, ويذكر ابن أبي زرع " أن جميع من في بلاد العدو من قبل زناتة والبربر قد رفضوا دعوة الشيعي ودخلوا في بيعة الأموي."⁸

وتنفيذا لسياسة عبد الرحمن الناصر في المغرب الأوسط المتمثلة في محاربة الوجود الشيعي وأخذ البيعة له من القبائل المغربية, أوقع يعلى سنة 343هـ/925م بقبيلة إزداجة بجبل قيدير,

¹ ابن حوقل: المصدر السابق, ص79.

² الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق, ج1, ص251.

³ البكري: المصدر السابق, ص79.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق, ص88.

⁵ البكري: المصدر السابق, ص79.

⁶ جودت عبد الكريم: المرجع السابق, ص370.

⁷ أنس المهج وروض الفرع, ص188-196.

⁸ ابن أبي زرع: المصدر السابق, ص89.

وفرق جماعتهم, ودخل مدينة وهران فملكها من يد محمد بن أبي العون¹, وكان أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي والي الفين على تاهرت قد ولي محمد بن العون وجماعة من الأندلسيين على وهران سنة 298هـ/910م.²

وقد عمل يعلى على احتلال مدينة وهران وتهديمها, فعادت وهران إلى ما كانت عليه من التدمير والخراب³, ويبدو أن الغاية من هذه الواقعة التي قام بها يعلى هي مقاومة الوجود الفاطمي في منطقة وهران.⁴

ب- تهديم مدينة إيفكان.

ويبدو أن السلطة الفاطمية قد انزعجت من الوجود الأموي على سواحل البحر المتوسط وأقطار المغرب وسيطرتهم على تاهرت وما وراءها, فعقدت العزم على تطهير تلك المناطق من آثارهم, حيث أشار ابن الخطيب إلى " أنه لما اتصل بصاحب الشيعة تغلب الناصر على أقطار المغرب, وإنكاث دعوته به جهز جوهر الصقلي⁵, أما الرواية الفاطمية فتذكر أن سبب هذه الحملة هو رفض المعز لدين الله الفاطمي لطلب الصلح الذي تقدم به الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر, والكف عن الحرب البحرية الدائرة بينهما, فكان رد المعز أن أرسل إليه جوهر الصقلي.⁶

وقد انطلق القائد جوهر على رأس عشرين ألف مقاتل جهم من قبائل كتامة و صنهاجة وكان ذلك سنة 347هـ/958-959م⁷, يساعده في قيادتهم زييري بن مناد الصنهاجي⁸, وجعفر بن علي الأندلسي.⁹

وكان أول ما تقدم إليه جوهر مدينة إيفكان, وقد انقسم مورخون إلى فريقين في الحديث عن موقف يعلى من تقدم جوهر إليه, إذ أشار البق الأول¹⁰ أن يعلى استقبله عند بلده إيفكان

¹ قام محمد بن أبي العون ومحمد بن عبدون مع جماعة من التجار الأندلسيين ببناء مدينة وهران سنة 290هـ/902, واستوطنوها بموافقة قبيلة نفزة ومسغن وهم من إزداجة لمدة سبع سنين, وأقاموا خلالها الدعوة لبني أمية في الأندلس حتى ظهور الدولة الفاطمية بإفريقية واستيلائهم على تاهرت, فضمت وهران إلى أعمالهم, البكري: المصدر السابق, ص70.

² الحموي: المصدر السابق, ج5, ص385-386.

³ البكري: المصدر السابق, ص71.

⁴ الجيلالي: المرجع السابق, ج1, ص218.

⁵ ابن الخطيب: المصدر السابق, ص220, للمزيد حول سيرة القائد جوهر أنظر علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي, الطبعة الثانية, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة 1963م, ص9, وما بعدها.

⁶ القاضي نعمان: المجالس والمسائرات, ص217, القرشي: المصدر السابق, ج6, ص80.

⁷ ابن عذاري: المصدر السابق, ج1, ص223, المقرئزي: الاتعاض, ج1, ص93.

⁸ ابن الأثير: المصدر السابق, ج7, ص261, ابن أبي زرع: المصدر السابق, ص54.

⁹ ابن خلدون: العبر, ج4, ص59, المقرئزي: المصدر السابق, ج1, ص93.

¹⁰ ابن عذاري: المصدر السابق, ج1, ص223, ابن خلدون: المصدر السابق, ج4, ص59.

وتخلى عن طاعة الأمويين, وأذعن لطاعته وعهد البيعة عن قومه بنو يفرن وزناتة, فتقبلها جوهر, لكنه في نفس الوقت أضمر الفتك به.

أما الفريق الثاني¹ فيرى أن يعلى عندما وصلته أخبار خروج جوهر إليه, حشد بني يفرن يع قبائل زناتة وتلقاه قرب مدينة تاهرت ودارت بينهما معركة هزم فيها بنو يفرن وتفرق جمعهم بعد مقتل أميرهم.

ويبدو أن جوهر الصقلي لم يكتف بقتل أمير بني يفرن بل تقدم إلى مدينة إيفكان, فدخلها بالسيف ونهبها ونهب قصور يعلى, وأخذ ولده وكان صبيا, وأمر بهدم مدينة إيفكان وإحراقها بالنار.²

نتج عن هذه الحملة إخضاع رؤساء ووجوه أهل المغرب وأخذهم رهائن عنده وقدم بهم وبكل وجه كان بذلك الصقع ممن يطاع له ويخاف جانبه³, وبذلك اتسعت سلطة الدولة الفاطمية بعد هذه الحملة إلى ما وراء مدينة إيفكان لتشمل فاس وسجلماسة, فاستوت للمعز البلاد ودانت له العباد ولم يبق له بلد إلا اجتمعت فيه دعوته.⁴

وفي غضون سنة 358هـ/969م, ثارت قبيلة مغراوة بقيادة رئيسها محمد بن الخير بن محمد بن خزر في ناحية تاهرت⁵, وأصبحت غاراتها تثير انتباه الخليفة الفاطمي الذي بدأ يتأهب لنقل الخلافة إلى مصر.⁶

وبناء على ذلك كلف الخليفة المعز حليفه في المغرب الأوسط وعامله على آشير و تاهرت⁷ بمحاربة زناتة وسمح له أن يضم إلى أعماله كل الأراضي التي يستطيع الاستيلاء عليها, وقد مكن الدعم الصنهاجي للدولة الفاطمية من إقامة سد منيع للوقاية من هجمات زناتة والتصدي لها في حينها انطلاقا من قاعدتهم آشير.⁸

وبذلك انحصر وجود زناتة و مغراوة في القفار الممتدة من الزاب شرقا إلى نواحي شلف غربا التي تسيطر عليها مغراوة, فانثنى بلكين بن زييري على بواديهما وصحاريها فقتل من زناتة و هوارة و نفزة وجميع أصناف البربر.⁹

¹ ابن زرع: المصدر السابق, ص 89-90, السلاوي: المصدر السابق, ج 1, ص 100.

² ابن الأثير: المصدر السابق, ج 7, ص 261.

³ القرشي: المصدر السابق, ج 6, ص 91.

⁴ ابن أبي دينار: المصدر السابق, ص 61.

⁵ ابن الخطيب: المصدر السابق, ص 153-154.

⁶ المقرئزي: المصدر السابق, ج 1, ص 102.

⁷ ابن خلدون: المصدر السابق, ج 6, ص 203.

⁸ النويري: المصدر السابق, ج 24, ص 161.

⁹ مجهول: مفاخر البربر, ص 97.

وبذلك تمكن بلكين من طرد زناتة من المغرب الأوسط الذي كان يتسمى باسمها إلى ما وراء نهر ملوية بالمغرب الأقصى، وذلك انتقاما لمقتل والده زيري بن مناد وإمعانا في إذلالها بغزو بواديه ورفع الأمان عن كل من ركب فرسا أو أنتج خيلا¹، فأجفلت قبائل البربر قدامه و أقصرت عن معارضته²، وصار المغرب الأوسط كله لصنهاجة³.
من حصاد ما سبق يمكن القول أن بلكين قد استطاع أن يثبت أنه القائد الذي يمكن للدولة الفاطمية التعويل عليه وتسليمه مقاليد الحكم في المغرب بعد انتقالها إلى مصر⁴، لذلك عجل المعز لدين الله الفاطمي بدعوته إلى المنصورية التي وصلها بتاريخ 361هـ/972م⁵، وقد حرص الخليفة الفاطمي أن يكون القضاء والخراج بيده للحد من سلطة بلكين، وبذلك فتحت صفحة جديدة في تاريخ المغرب الأوسط بانتقال الدولة الفاطمية إلى مصر وقيام الدولة الزييرية

¹ بوبة مجاني: النظم، ص194.

² مجهول: مفاخر البربر، ص97.

³ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص39.

⁴ الحموي: المصدر السابق، ج1، ص286.

⁵ ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص330، الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الختامة

رغم قصر عمر الدولة الفاطمية في دورها المغربي، إلا أنها شهدت نشاطا عمرانيا في المغرب الأوسط تمثل في بناء مدينتي تازروت و إيكجان في مرحلة الدعوة، ومدينتي المحمدية و أشير في مرحلة الدولة.

هذا ومن خلال دراستنا لل عمران في مرحلتي الدعوة والدولة الفاطمية، وذلك بالاستعانة والاطلاع على ما أمكننا من المصادر والمراجع والدراسات الحديثة، سجلنا النتائج التالي ذكرها:

وما تجدر الإشارة إليه أن مدن الدعوة قد تميزت بخصائص ووظائف جعلتها ترتبط بالجانب الدعوي و العسكري فقط، وذلك من أجل توفير أسباب النجاح والنصر للدعوة الإسماعيلية والتي تتمثل في سببين مهمين:

أولاً: السبب الديني ويكمن في إقامة أحكام الدين بكل حرية بعيدا عن المخالفين

ثانياً: السبب العسكري ويتمثل في اتخاذ عسكرية في حالة الدفاع والاعتصام بها من العدو، وفي حالة الهجوم والانطلاق منها.

من هنا جاءت أهمية الهجرة في المذهب الإسماعيلي و ي تعتبر طاعة الله وامتثالاً لأمره. فبالإضافة إلى هجرة الإمام من الأعداء والخصوم، هناك أيضا هجرة الأتباع إلى حيث يوجد الإمام في عصره ومكانه، ويعمل هؤلاء الأتباع على الالتزام بتعاليم المذهب و مبادئه، والعمل على تقوية الدعوة بالتصدي للتحديات المذهبية والعسكرية التي تواجهها في مرحلة الدولة. وقد نتج عن حركة الهجرة، بناء منشآت عمرانية تتناسب والمرحلة التي يمر بها المذهب وهي بناء القصر ليقم فيه داعي ويدر منه أموره المذهبية والسياسية والعسكرية على أتباعه الذين تطلبت هجرتهم وإقامتهم بناء الدور لهم حيث ساهمت حركة الهجرة في التوسع العمراني والكثافة السكانية في المكان المهاجر إليه، بالإضافة إلى بناء السور، لحمايتهم من المهاجمين، ثم إحاطة السور بخندق زيادة في الاستحكامات العسكرية للمدينة، وهي نفسها المنشآت العمرانية التي شهدتها كل من تازروت و إيكجان.

وانطلاقاً من دور الهجرة- تازروت و إيكجان- موضوع الدراسة يمكن حصر خصائص دار الهجرة في المذهب الإسماعيلي في الآتي:

الصفة المؤقتة لعمران دار الهجرة، و انحصار دورها في الجانب الدعوي والعسكري فقط، مع وجودها في مناطق ريفية معزولة وبعيدة عن المراكز الحضرية مما يحد من إرساء العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية، بالإضافة إلى ارتباط عمران هذه المدن بمدى انضواء سكانها تحت سلطة المذهب، رغم المساهمة في تعميرها بإنشاءات عمرانية مدنية و عسكرية.

أما في مرحلة الدولة فقد كان العمران عنصرا فعالا في حياتها، كونها لم تكثف بإخضاع المجال الداخلي فحسب، بل تطلعت إلى مراقبة المجال الخارجي والتمثل في المواقع المتقدمة من الجهة الغربية للدولة الفاطمية وخاصة في بلاد المغرب الأوسط، والتي كانت شاهدة على قوة ونفوذ السلطة السياسية المركزية، عسكريا واقتصاديا وقد تمثل ذلك في بناء مدينتي المحمدية (المسيلة) وأشير، وذلك من خلال نظرة علماء المذهب الإسماعيلي للعمران على أنه المحرك الأساسي للحركة الاقتصادية والقوة العسكرية، لما رأوا أن قوام الجند بما يخرج لهم الله تعالى من الخراج والفيء الذي يقوون به على جهاد عدوهم، وهو ما يتوافق مع سياسة الفاطميين في بناء دولة مذهبية قوية عسكريا واقتصاديا في المغرب.

وقد نتج عن ذلك بناء مدينة المحمدية للأهمية الإستراتيجية للمنطقة التي بنيت عليها، من الناحيتين العسكرية (الأمنية)، والاقتصادية زراعة و تجارة لتصبح هذه المدينة مستقبلا من أهم مدن القوفل ليس على المستوى الغرب الإسلامي وحسب بل على مستوى العالم الإسلامي، إذ يستطيع الفاطميون من خلالها السيطرة على الشريط الحدودي الفاصل بين التل والصحراء موطن قبيلة زناتة المناوئة لهم بالإضافة إلى كونها نقطة عبور والتقاء القوافل التجارية المتجهة نحو من الشرق نحو الغرب ومن الجنوب نحو الشمال أو العكس.

ورغم أن تخطيط مدينة المحمدية واختيار موقعها كان تحت تأثير الطرف العسكري الذي أحاط بالدولة الفاطمية، ورغبتها في إخضاع القبائل الكبرى المستقرة في منطقة الحضنة وضواحيها بالتحكم فيها وفرض سلطتها عليها وعلى مختلف المناطق الأخرى في المغرب الأوسط، وقد شهدت المدينة وجود صنفين من العمران بها، أحدهما عمران عسكري تمثل في القلاع والأسوار والحصون، والآخر مدني تمثل في المسجد، ودار الإمارة، و المنشآت الاقتصادية التي أحسن الفاطميون استخدامها في حربهم ضد أعدائهم، وبذلك تمكنت المدينة من إخضاع الجبل والقلعة لسلطة الفاطميين في ثورة صاحب الحمار.

ويبدو أن سياسة البناء والعمران في المغرب الأوسط قد حققت للدولة الفاطمية مكاسب عسكرية واقتصادية أكثر مما كانت تجنيه من حملاتها العسكرية الباهضة، لتعزيز سلطتها حيث عملت على إيجاد قاعدة عسكرية ثانية في أرض صنهاجة الشمال و هي مدينة أشير، وذلك لمحاربة القبائل المناوئة لها والتي ازداد خطرهما بعد تحالفها مع أمويي الأندلس، منعا لمحاصرة مدينة المحمدية.

ونظرا لكون المدينة تقع في وسط شبكة طرق هامة ورئيسة فقد انعكس ذلك على الجانب الاقتصادي والتطور العمراني، فأصبحت مدينة أشير مركزا اقتصاديا وقاعدة عسكرية تعمل على إعادة الاستقرار والأمن إلى ولايات الدولة الفاطمية.

ويبدو أن عمق الأثر الذي مس البنية العمرانية من جراء الحروب والتقلبات السياسية والاجتماعية التي درت بقرنها في بلاد المغرب الأوسط طولا وعرضا خلال فترات طويلة من العهد الفاطمي، وأخص بالذكر ثورة صاحب الحمار، فقد كان لها دور خطير في تراجع العمران وانهياره في مراكز حضارية متقدمة زمنيا على الفترة الفاطمية، كما أدت إلى تخريب قلاع و مدن بكاملها، والقضاء بصفة نهائية على أخرى، وبالمقابل سمحت ببروز أشكال أخرى من العمران تنسجم وطبيعة الواقع الموسوم بكثرة الحروب والثورات.

وتبعاً لذلك تضرر ميدان العمارة من طغيان الهاجس الأمني والعسكري، وتقلصت سبل تطوره وانهياره، إذ بقدر ما نشطت معاول الهدم والتخريب في المنجزات العمرانية السابقة، نشطت - ولو جزئياً - حركة العمران المصبوغة بالهاجس الأمني والطابع الدفاعي العسكري ورغم ذلك فإن العمران الذي شهده المغرب الأوسط في العهد الفاطمي لم يكن عمراناً ذا طبيعة عسكرية صرفة، بل كانت له أبعاد اقتصادية تجلت في الإمكانيات الاقتصادية التي عرفتها بعض المنجزات العمرانية كمدينة المحمدية ومدينة أشير، رغم أن طبيعة المرحلة التي مرت بها الدولة الفاطمية في المغرب كانت مرحلة عسكرية بامتياز، فهل يمكن القول أن العمران الذي شيد من قبل الفاطميين كان عمراناً من أجل الاستقرار أم عمراناً من أجل الانتقال إلى المشرق وتحقيق مشروعها القائم على إقامة دولة فاطمية؟

الملاحق

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالكريم
القادر للعطوم الإسلامية

الرسالة رقم: 01

رسالة الإمام أبي القاسم محمد القائم بأمر الله إلى الديار اليمنية يطلب
منهم الهجرة إلى بلاد المغرب والجهاد معه

الرحمن الرحيم, الله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل, المنصور بالله تعالى,
لحمد لله الذي جعل الجهاد سنام الدين، والأمر بالمعروف شد لظهور المؤمنين والنهي عن
المنكر إرغاما لأنوف الفاسقين وطاعة أئمة الهدى من مهمات فرائض الدين.....

أما بعد: فكتابنا هذا إلى جميع هذه البرية، وسكان هذه المدحية، أقاصيها وأدانيها، وحزونها
وسهولها، وأغوارها ونجودها، بأن يستيقظوا من رقدتهم، وينتبهوا من غفلتهم، ويلتفتوا إلى
أديانهم، ويعتادوا لإيمانهم، ويرغبوا على الله ويخافوا من الله، ويجاهدوا في سبيل الله، ويمتثلوا
لأمر الله في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطاعة الأئمة السابقين من عترته،
سفن النجاة، ومصابيح الدجا، ومعالم الإهداء، وأن يستضيؤا بنورهم ويهدوا بهديهم، ويسلكوا
سبيلهم، ويتبعوا آثارهم، ويوالوا وليهم، ويعادوا عدوهم، ويجاهدوا في سبيل الله بأموالهم
وأفئسهم ...

أيها الناس، إن رسوم الدين قد عفت، وأعلام الهدى قد طمست، وأحكام الشريعة قد عطلت،
والفرائض قد دحضت، والمحارم قد انتهكت، والخمور قد شربت، و الذكور قد نكحت،
والمكافيف و الزمنا قد انتهبت، والضعفا والأيتام قد ظلمت، و الأرامل قد أجحفت، والدما قد
سفكت، والشرور قد كثرت، والفتنة قد عظمت، حتى ليس الإسلام في هذا الزمان ليس الفرو
مقلوبا، و صار كما قال صلى الله عليه و سلم: "بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا"، فجعل
أعلاه أسفله وأسفله أعلاه، و قرب فيه الماجن، و بعد فيه الفاضل، واستكمل فيه الفاجر،
واستنقص فيه الطاهر، واستؤمن الخائن، واستخين الأمين الناصح، وهاجت الدهماء، وكثر
الضلال والعماء، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، و لا من الدين إلا رسمه .

البدارالبدار، رحمكم الله إلى ما افترض الله عليكم من جهاد عدوكم، و إلى الحكم بكتاب الله،
و إلى إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، و إلى إنصاف المظلوم، والتفريج عن
المكظوم، و إلى أخذ الحقوق ووضعها في مواضعها التي أمر الله أن توضع فيها، و إلى العدل في
الرعية، و إلى القسمة بالسوية، و إلى العمل بالسنة، و إلى إماتة البدعة، و إلى إصلاح العباد، و إلى
تطهير البلاد من أهل الجور والفساد...

فنحن ندعوكم إلى الهجرة أولاً, وإلى المعاونة على إزالته ثانياً, لأن الله سبحانه تعالى يقول:
"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان "
أيها الناس, ألا ترون أن مظلومكم لا ينصف, و عزيزكم دليل لا يعرف, لا ترد لكم مظلمة,
و لا تقبل منكم شكية, و أنتم لهم خدم لا تؤجرون, وأعوان لا تشكرون, تحرثون و تتعبون و
تسعون في صلاحهم, و يسعون في هلاككم...

قد اتخذوا دين الله دغلاً, و عباده حولاً, و ماله دولا, بما تقوونهم من تسليم الأموال الجلييلة
إليهم, ثم تقولون إنكم مستضعفون حتى خضعت لهم رقابكم, و ذلت لهم صعابكم, و صيروكم
كالرعية السائمة, لا تمنعون منهم نفوسكم, و لا أموالكم, ولا حريمكم, مع أن الله قد جعل ذلك
عليكم وزراً عظيماً, و أعد لكم عليه إن لم ترجعوا عذاباً أليماً, قال الله تعالى: "إن الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيراً..."

الإمام القائم بأمر الله: الرسالة الإمامية إلى أهالي مماليك
اليمانية، مخ، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم 604

الملحق رقم: 01

مراتب الدعوة الإسماعيلية

| الحدود السفلية | | الحدود العلوية |
|--|---------------------|------------------------------|
| الرتبة | الموجود | الأفلاك |
| - وله رتبة التنزيل | 1- الناطق | - الفلك الأعلى |
| - له رتبة التأويل | 2- الأساس | - الفلك الثاني |
| - له رتبة الأمر | 3- الإمام | - زحل |
| - له رتبة فصل الخطاب | 4- الباب | - المشتري |
| - له رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا | 5- الحجة | - المريخ |
| - له رتبة الاحتجاج وتعريف الميعاد | 6- داعي البلاغ | - الشمس |
| - له رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية | 7- الداعي المطلق | - الزهرة |
| - له رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرية | 8- الداعي المحدود | - عطارد |
| - له رتبة أخذ العهد والميثاق | 9- المأذون المطلق | - القمر |
| - وهو المكاسر، وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة | 10- المأذون المحدود | - ما دون الفلك من الطبائع |

الكرماني، راحة العقل ، ص25

الخريطة رقم: 01

موقع تازروت في حدود الرقم 237.



المصدر: الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية

المحمية بميلة

الصورة رقم: 01

خرائب مدينة تازروت



الصورة رقم: 02

الجبال المحيطة بإيكجان



الصورة رقم: 03

بقايا سور مدينة إيكجان



الصورة رقم: 04

طريقة بناء سور إيكجان



الصورة رقم: 05

أواني و مسارج فخارية – متحف سطيف-



سالة رقم:

انتهاء وظيفة دار الهجرة - إيكجان-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أما بعد، فالحمد لله ناصر دينه، و معز وليه، و الذي أظهر دينه على سائر الأديان، ووليه على من ناصبه من أهل الظلم والعدوان، و كتابي هذا إليك من إيكجان دار الهجرة و مستقر الإيمان، وقد وصل الإمام مولانا و سيدنا المهدي بالله (صلع) وولده، بلغ الله به أفضل أماله إليه في جميع أولياء الدين، و كافة من معه من المؤمنين أحسن وصول، و أهناه و أسرهم و أرضاه، فأضاء بقدمه دار هجرة أوليائه، و سرا للمؤمنين و المؤمنات الذين حلفهم العذر عن الجهاد، و من ك أقمناه لضبط المكان به، و أقبلوا من كل حذب يتسلون إليه، و من كل أفق يسعون نحوه، يتبركون بالنظر إليه و يستشفون برؤيته، و يحمدون الله على أن بلغهم إنجاز وعده، و ظهور أمره، و بادروا إليه بأمانات الله التي في أيديهم، و خرجوا من حقوق الله عليهم له، و وضعت بحمد الله الحرب أوزارها، و أطفأ الله نارها، و أهلك من أثارها، و بدد من سعى نحو دين الله بها، و فرق أنصارها.

وأمير المؤمنين على النهوض إلى إفريقيا، و يقدر بتوفيق الله و تقديره وعونه و تيسيره أن يكون وصوله يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة سبع و تسعين و مائتين إن شاء الله.

فأعلم ذلك وكن على أهبة منه و من قبلك، و احمدا الله على ما أولاكم من ذلك و أن فسح في آجالكم إلى أن بلغتموه، و ارجبوا إليه في تمام ذلك لكم بالنظر إلى مولاكم و رضاه عنكم و السلام.

القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، ص 246-247

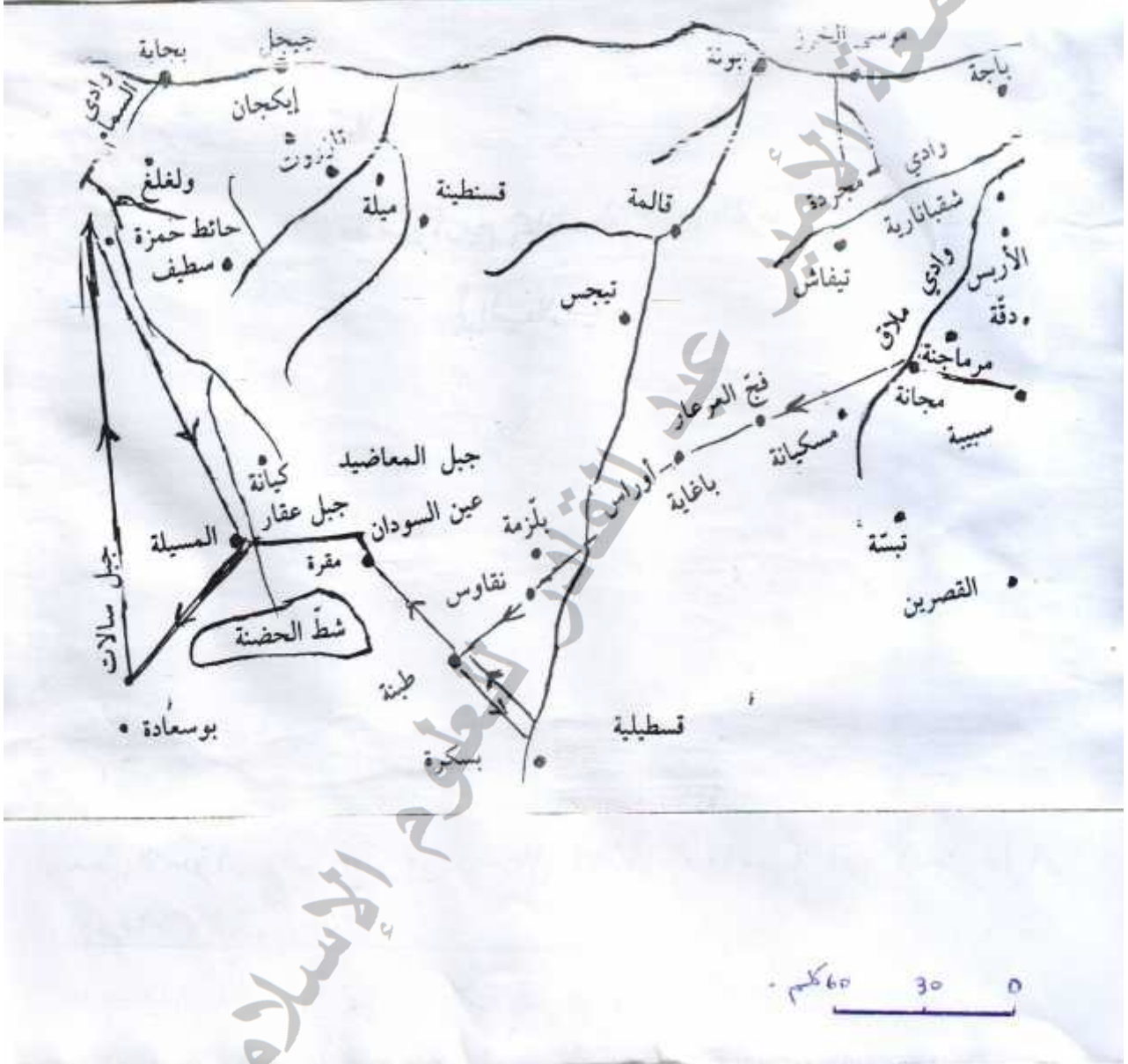
الصورة رقم: 06

قلاع كيانة



الخريطة رقم:02

دور المحمدية في القضاء على ثورة صاحب الحمار



القرشي: عيون الأخبار, ج5, ص264

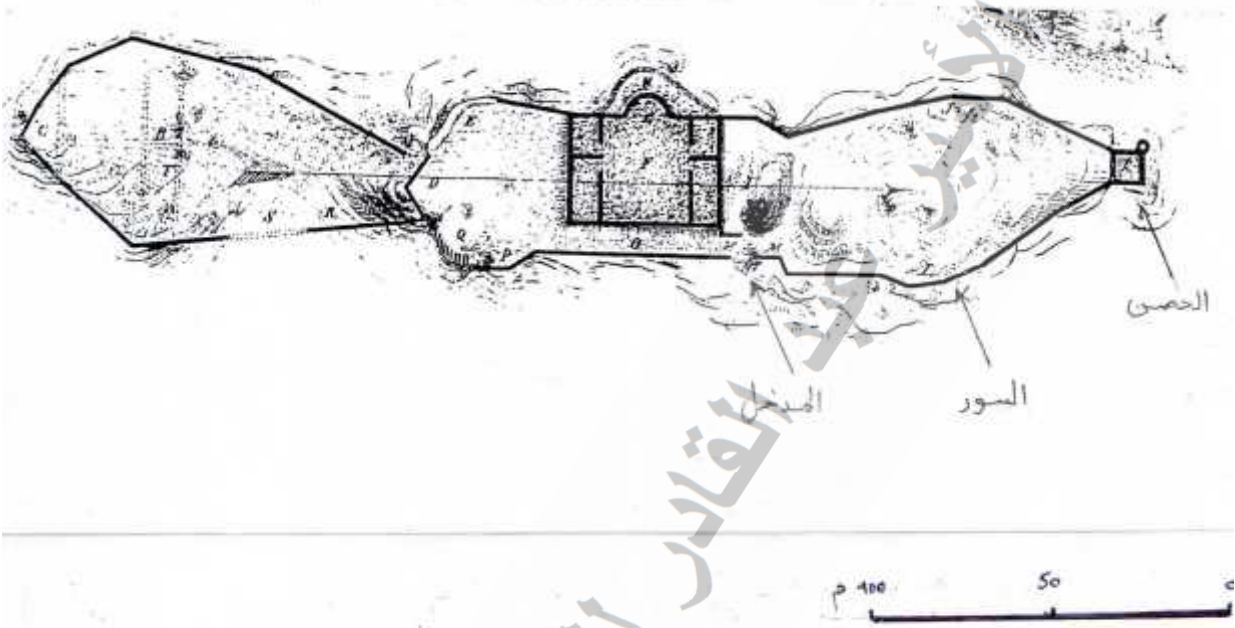
الصورة رقم: 07

الحصانة الطبيعية لقصر زيدي



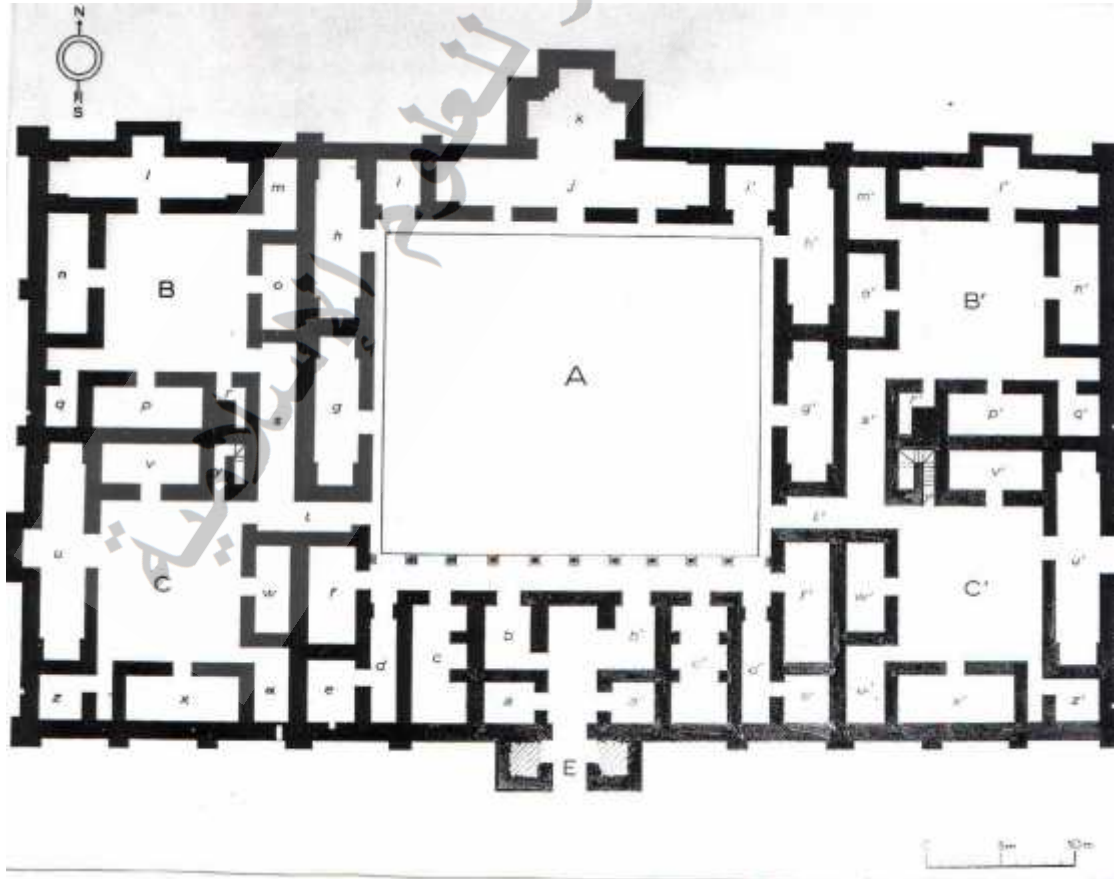
الخريطة رقم: 03

منزه بنت السلطان



الصورة رقم: 08

المدخل الرئيسي لقصر زيري



الصورة رقم: 09

أسوار وركائز قصر زيري الخارجية



الصورة رقم:10

الغرف الداخلية لقصر زيري



الخريطة رقم: 04

مخطط مدينة بنية



الخريطة رقم: 05

توزع المواقع الثلاثة - منزه بنت السلطان - آشير - بنية-



الرسالة رقم:03

مقاومة الخير بن محمد بن خزر للتهديم الفاطمي
في المغرب الأوسط سنة 317هـ

وقد كان - أعز الله أمير المؤمنين- وقت نزول اليهودي عبد الرحمن ولد الشيعي مبتذل الإيمان بالساحل لدينا في نهضته الثقيلة حل بحصن يدعى مغرفة, من فتوح الخليفة الوليد بن عبد الملك -رضي الله عنه- وهو وراثته في أيدينا عنه رحمة الله عليه أل الزمان متقن البنيان أعترز به لما عرف بشأنه, فجمع الأيدي على هدمه و بنى بخشب وصخره حصنا منيعا في الوضع المعروف بهندرج, شحنه بالرجال والعدة وقدم عليهم الفاسق محمد بن مهدي, وكان من أضل من صحبه من البربر وأشدهم شكيمة, فاستخرت الله كثيرا وزحفت إليه إلى من معه من الغواة بعد أن قدمت الاعتذار إليهم ثلاثا, فأصروا واستكبروا وخرجوا إلي لما قربت منهم على أميال من حصنهم, فشد عليهم الأولياء كشدة رجل واحد, فولوا منهزمين نحو حصنهم والسيف يأخذ مأخذه منهم, فاقتحمنا الحصن خلفهم فقتلنا من لاذ به منهم وتسبينا ذراريهم, وأحرقنا الحصن فطهر الله الأرض من دنس الفاسقين وأخلى الناحية منهم فليس لهم اليوم في الساحل مكان ولا منبسط ما خلا مدينة تاهرت, دار المشركين ومأوى الملحدين, وكان بها مأخذه بقدرة رب العالمين وقتل الله بأيدينا في هذه الواقعة محمد بن مهدي وولده في مائة رجل من رجال الشيعة لعنهم الله.

ابن حيان: المقتبس, ج5, ص260.

الرسالة رقم: 04

طلب محمد بن خزر من الناصر الدعم العسكري

لاجتياح مدينة تاهرت

فإن كتابي -أبقى الله أمير المؤمنين- من بلد الساحل من مدينة تسفا (سيقا), المشهورة بمدينة العلويين وهي مدينة حصينة أولية متوسطة للمراسي التي تقابل مراسي الأندلس, وهي منتظمة بها وقريبة منها, وهي بغربي تاهرت دار الفاسقين وقريبة منها, بينها وبينها ثلاثة أيام, وإنما بيننا وبين المراسي أقل من يوم, وإنما ذلك بعد انتقالنا من بلد الغوط بالأهل والولد والأصحاب والحشم والعبيد والموالي, وأهل ولايتنا وصنوف رعيتنا وضروب أهل طاعتنا والخاصة/ والعامه لدينا, انتقلنا إليها بقبيلتنا وجماعة من قبلنا, ولم نخلف بعدنا أحدا من ذكور رجالنا وحماة أنصارنا وجماعة فرساننا, ووجه عشيرتنا, فهم معنا وبين أيدينا لم ينحل لنا نظام ولا دخلتنا فرقة, بل جميعنا مستعدون بدعوتك ومعتصمون بطاعتك, ناصحون لك محبون لأيامك ودولتك المباركة, التي من تمسك بها كان له الأمن والسلامة في دنياه وآخرته, ومن صد [عنها] وابتغى سبيلا غيرها نزل به الذل والصغار وقارنه الخزي والهوان.

والذي أردت علمه- أبقاك الله - من خبر خروجنا عن البلد الذي كنا نحله وسبب انتقالنا عنه, فإنه لم تخرجنا عنه خصاصة, ولا أزعجتنا مذلة ولا تخوف ولا خزية ولا تغير حال ولا شدة, وإنما أخرجنا عنه بقضاء الله حبنا الدنو منك, والتسليم لك, لما نحن عليه من حسن الطوية لك وصدق النية فيك, ومحض المودة لك وبجميع من تعلق بك وانتسب إليك, وذلك أنا كنا عن أفك قبل اليوم نازحين, وعن مواسلتك شاحطين لابتعاد الدار بنا وانتزاح التنايف بيننا, على [أن] شحط الدار وبعد الشقة مما لا يقصي بذني الهمة عن الرمي بهمته, ولا يرد ذا العزيمة عن إنفاذ عزمته, ولا بد لقدر الله تعالى من نفاذ ولعزائم أفضيته من تمام.

وذلك أنا نظرنا -أعزك الله بطاعته- في أمرنا إذ لم تمكنا مواسلتك والتعلق بأسبابك إلا بالدنو منك, والمجاورة لك والبعد عن بعدك, فأجمعنا الانتقال بالكلية إلى أطراف أعمالنا وحواشي كورنا من نحو المراسي المنتظمة بجزيرة الأندلس

التي وصفنا لك خبرها, فلما وردنا البلد بالأهل والولد, أخذنا في جمع العدد لإقامة الأود, بنتقيف العوج من أهل المعصية الذين كانوا لليهودي مشايعين, وفي أمره مدهانين, فحشدنا جميع القبائل التي بإزائنا, وكل من اعتصم بطاعتنا وتمسك بأسبابنا فأخذنا رهانهم بالمبايعة لك والافتتاح باسمك والخطبة في جميع أهل الساحل إليك, وأقبل الناس إلينا من كل جهة فرعين, مرعوبين خائفين على أنفسهم, طالبين تسكين دهمائهم وحقن دمائهم, مستجيبين لدعوتك والجين على طاعتك, معترفين بتقديمنا قديما عليهم وإمرتنا فيهم وولايتنا قديما على جميع لسن البربرية,

حيث كانوا وأين كانوا من نسل زناتة خاصة وغيرهم عامة، ولأبائنا من قديم الدهر وحديثه ولأعقابنا من بعد، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك ببركة أمير المؤمنين ودولة آبائه الأبرار، والخلائف الطيبين رضي الله عنهم أجمعين، ونضر في القيامة وجوهم، فهم الذين لم تزل القلوب عليهم متألفة والأهواء فيهم مائلة، والجماعة بهم راضية، فما أنا الآن يا سيدي جاد مجد، مشمر مواظب في تقويم أود أهل المعصية وتنقيف العوج من جميع أهل العدو، وضرب المقبل منهم بالمدير

وحمل المطيع على المعاصي حتى يفتح الله لأمير المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها وسهالها وأوعرها وبراريها وبحارها، بنا وعلى أيدينا وتتصل طاعته إن شاء الله إلى أقصى العراق ويرد خلافة آبائه الطيبين الأبرار الأكرمين إن شاء الله، وبه نستعين على ما يتولى وإياه نستحفظ ونستكفي > [الله] لا إله إلا هو رب العرش العظيم <

وها نحن يا سيدنا - أعزك الله - ازمون والعزيمة لله على النهوض إلى المدرة السوء تاهرت، وما هنالك لاغتيالها ومحاصرة الفاسقين بها والتغيير عليهم وقطع المرافق عنهم، وحل عرى اليهودي منها وإبعاد رجسه عنها، وهي كما بلغك من وعورتها وصعوبتها وشموخ أجبلها وأشعب شعاريها، والبرابر من قلة البصر ومحاصرة المدائن ومساورة المعازل ومكابدة الحصون والحيل عليها بحيث تعلمه من العجز عن ذلك والقصور عن رومه، ولا يقوم بهذا الشأن إلا العرب ذوو الحنكة المحتضرون أصحاب الأسلحة الشاكة والنشاب والعدة، وأهل الاقتدار على تشييد البناء وما يصلح لنكاية الأعداء.

فإن رأى / سيدي-أمير المؤمنين- أن يقوي عبده الساعي في دولته بأسه من ذلك كله، بالذي يرى لنا فيه صلاحا ولسعينا نجاحا مما يكون له أوفق وبنا أرفق من القوة والعدة وأصناف الأسلحة والنشاب والآلة والرماة وبعض من يحكم سياسة محاصرة الحصون وتكمل حال العساكر الكبار الثقال، فإن عندنا ما شئت من خيل ورجال ومساير الأبطال الكماة ذوي عدة وعدد بأس وجلد، من صنوف العشائر وضروب العساكر والحماة والكفاة والأبطال الكماة، قد نهدناهم لتقليص أطراف اليهودي من تاهرت وقصم عراه منها، وإبعاد رجسه عنها، ثم يكون الصمد بعد ذلك إلى ما وراءها من مدائن اليهودي ومنابره وأمصاره ومعاقله وصياصيه وقصوره وقراه وكوره وقصي بلاده، حتى يقطع الله أثره و يصرم مدته بحوله وقوته

ابن حيان: المقتبس، ج 05، ص 300-303

ثبیت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

- الأزهرى محمد عليش : وجوب الجهاد والهجرة، دار الكتب الوطنية، تونس 2418
- ابن ظافر جمال الدين أبو المحاسن على بن ظافر الحسين الأزدي (ت 612 هـ / 1215 م) : أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بالزيريين، نقله أحد المستشرقين في كناش ضمن مجموع المكتبة الوطنية، الجزائر 2321
- أبو الفدا إسماعيل : مناهج الفكر ومباهج العبر، مخطوط، نقله أحد المستشرقين في كناش ضمن مجموع المكتبة الوطنية، الجزائر 2321
- القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (ت 334 هـ / 946 م) : الرسالة الإمامية إلى أهالي ممالك اليمانية، ضمن مجموع المكتبة الوطنية الجزائر 604
- المراغى زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر العثماني (816 هـ / 1413 م) : تحقيق النصر بتلخيص معالم دار الهجرة، المدرسة الأحمدية، تونس 2

ثانياً : المصادر المطبوعة :

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- ابن الآبار أبو عبد الله أبي بكر القضاعي (ت 658 هـ / 1260 م) : الحلة السبراء، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963م.
- ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعياني القيرواني (ت 1092 هـ / 1681 م) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس 1869م.
- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت 630 هـ / 1238 م) : الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت 1987م.
- الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 330 هـ / 941 م) : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت 1991م.
- الأصفهاني أبي الفرج (ت 356 هـ / 966 م) : مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد احمد صقر، الطبعة الثانية، منشورات الشريف الرضي، قم 1416 هـ.
- الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت 548 هـ / 1153 م) : أنس المهج وروض الفرج - قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان - تحقيق الوافي نوحى، منشورات

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 2007م.
- : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق مجموعة من الباحثين والمستشرقين تحت إشراف المعهد الجامعي للدراسات الشرقية بنبولي (i.u.o.n)، 1970-1984، نشر مكتبة الثقافة المصرية بلا تاريخ.
- ابن الأزرقي أبو عبد الله محمد الأندلسي: (ت 896 هـ/1491 م): بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، دار العربية للكتاب، ليبيا- تونس 1977م.
- ابن بابويه أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت 381 هـ/991 م): من لا يحضره الفقيه، الجزء الثالث، ضبطه وصححه وأخرج أحاديثه محمد جعفر شمس الدين، الطبعة الثالثة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1994م.
- الباجي المسعودي أبو عبد الله محمد (ت 1297 هـ/1879 م): الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، الطبعة الثانية، مطبعة بيكار وشركائه، تونس 1333هـ.
- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429 هـ / 1037 م): الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة 1988م.
- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ/1085 م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد بلا تاريخ.
- البهروجي حسن بن نوح بن يوسف الهندي (ت 939 هـ/1523 م): كتاب الأزهار ومجمع الأنوار، الجزء الأول، نشره عادل العواء، ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1958م.
- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 717 هـ/1317 م): الرحلة، قدم لها حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، تونس- ليبيا 1981م.
- التنسي أبو عبد الله: تاريخ دولة الأدارسة، تقديم عبد الوهاب حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.
- جعفر بن منصور اليمن (ت 347 هـ/958 م): كتاب الكشف، تحقيق مصطفى غالب دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1984م.
- : سرائر وأسرار النطقاء، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1984م.
- الجوذري أبو علي منصور العزيمي (ت أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي):

- سيرة الأستاذ جودر، تحقيق محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، مصر 1984م.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ/1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا وراجعه وصححه نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.
- الجوهرى أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 400 هـ/1009م): تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين بيروت 1990م.
- الحارثي الطاهر بن إبراهيم: الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والميعاد، ضمن كتاب الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية و الإثنا عشرية، جمع وتقديم محمد حسن أعظمي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م.
- الحامدي إبراهيم بن الحسين (ت 557 هـ/1162م): كنز الولد، عنى بتحقيقه مصطفى غالب، دار صادر، بيروت 1971م.
- ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت 852 هـ/1448م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح عبد العزيز بن باز وآخرون، دار المعرفة، بيروت 1379هـ.
- ابن حزم أبو محمد علي بن سعيد (ت 456 هـ/1064م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة 1982م.
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1987م.
- ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 628 هـ/1231م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.
- الحمادي اليماني محمد بن مالك بن أبي القبائل المعافري (ت 470 هـ/1077م): كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، حققه وعلق حواشيه محمد بن علي بن الحسين الأكوغ الحوالي، مركز البحوث والدراسات اليمني، صنعاء 1994م.
- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت 488 هـ/1095م): جذوة المقتبس في ذكر بلاد الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966م.
- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 727 هـ/1326م): الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت 1957م.
- الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089 هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار

من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط دار بن كثير، دمشق 1985م.

- ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ت حوالي 368هـ/978م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ.

- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت 469هـ/1076م): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت 1983م.

ونشر الجزء الخامس أشالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، كلية الآداب، الرباط 1979م.

- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام فيمن بويغ من ملوك الإسلام قبل الاحتلال، نشر أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، القسم الثالث منه تحت عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، دار الكتاب الدار البيضاء 1964م.

- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد (ت 808هـ/1405-1406م): المقدمة وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع حواشيه خليل شحادة وراجعته سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2000م.

- ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت 681هـ/1281م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1968م.

- : معجم مقيدات ابن خلكان، جمع وتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، القاهرة 1987م.

- الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر الأسدي (ت 402هـ/1012م): كتاب في الأموال، تحقيق محمد حسن الشلبي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان 2001م.

- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت 275هـ/889م): كتاب السنن، إعداد وتحقيق عزت عبيد دعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت 1997م.

- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 696هـ/1297م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى ابن ناجي التنوخي (ت 839هـ/1435م)، تحقيق محمد الأحمد أبو النور ومحمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس بلا تاريخ.

- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1271م): كتاب طبقات المشايخ

- بالمغرب، تحقيق إبراهيم الطلاي، مطبعة البعث، قسنطينة 1974م.
- الدواداري أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت 763هـ/1335م) : الدرّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، وهو الجزء السادس من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة 1961م.
- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1374م) : سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه وتخريره أحاديثه شعيب الأرنؤوط، الجزء 15 حققه إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م.
- الرازي أبو حاتم (ت 322هـ/934م) : أعلام النبوة، الرد على الملحد أبي بكر الرازي دار الساقى بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتحديث الفكري، بيروت 2003م.
- ابن أبي الربيع شهاب الدين (ت 272هـ/885-886م) : سلوك المالك في تدبير الممالك تحقيق عارف احمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1996م.
- ابن رضوان أبو القاسم الملقب (ت 783هـ/1381م) : الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق على سامي النجار، دار الثقافة، الدار البيضاء 1984م.
- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد 423هـ/1335م) : تاريخ افريقية والمغرب، تقديم و تحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني والنشر والتوزيع، القاهرة 1994م.
- الزبيدي احمد المرتضى (ت 1205هـ/1790م) : تاج العروس في جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ.
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله (ت 741هـ/1341م) : الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م.
- السجستاني أبو يعقوب اسحق (ت بعد 361هـ/971م) : إثبات النبوات، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت 1982م.
- : كتاب الافتخار، حققه و قدم له إسماعيل قربان بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م.
- : تحفة المستجيبين، تحقيق عارف تامر، نشر ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1983م.
- : كتاب الينابيع، تحقيق مصطفى غالب، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت 1965م.
- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م) : الملل والنحل،

- تحقيق أمير مهنا و علي حسن فاعور، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت 1993م.
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد (ت 1250هـ/1834م): فتح القدير، الطبعة الثانية دار الكتاب العربي، بيروت 2001م.
- الصنوبري أحمد بن محمد بن الحسن الضبي (ت 334هـ/946م): ديوان الصنوبري حققه إحسان عباس، دار الثقافة للنشر و التوزيع، بيروت 1970م.
- السوري محمد بن علي بن الحسن (ت 490هـ/1097م): الرسالة الصورية، تحقيق وتقديم عارف تامر، ضمن كتاب الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية، دار بيبليون باريس 2002م.
- الضبي أحمد بن يحيى بن عميرة (ت 599هـ/1202م): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة 1967م.
- الطبري محمد بن جرير (ت 310هـ/923م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر 1971م.
- : جامع البيان من تأويل آي القرآن، دار ابن حزم، الأردن 2002م.
- الطيبي شمس الدين بن احمد بن يعقوب (ت 652هـ/1254م): الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، تحقيق عارف تامر، ضمن أربع رسائل اسماعيلية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1978م.
- ابن عباد الصاحب: الزيدية، تحقيق ناجي حسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1986م.
- ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد (ت نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي): البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان و أ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت 1983م.
- ابن العربي محمد بن عبد الله (ت 543هـ/1149م): أحكام القرآن، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت 2000م.
- الغزالي أبو حامد (ت 505هـ/1111م): فضائح الباطنية، اعتنى به وراجعته محمد القطب، الشركة العصرية للطباعة والنشر، بيروت 2001م.
- ابن فارس أبي الحسن احمد بن زكريا (ت 505هـ/1111م): معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1972م.
- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البلدان، اعتنى بتحقيقه البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس 1830م.

- أبو فراس شهاب الدين (ت 937 هـ/1531م): مطالع الشموس في معرفة النفوس، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1978م.
- القرشي إدريس عماد الدين (ت 872 هـ/1488م): زهر المعاني، تحقيق مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1991م.
- : عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الرابع، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1986م.
- : عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الخامس، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1975م.
- : عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع السادس، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1984م.
- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 671 هـ/1273م): الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي وغيث الحاج، مؤسسة الرسالة، بيروت 2006م.
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ/1413م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، القاهرة 1922م.
- ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر عماد الدين (ت 774 هـ/1373م): تفسير القرآن الكريم، دار اليقين، المنصورة، مصر 2003م.
- كربخال مارمول: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، منشورات الجمعية للتأليف والنشر والترجمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط 1989م.
- الكرمانى أحمد بن حميد الدين (ت 411 هـ/1020م): راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1983م.
- : الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله، دراسة وتحقيق محمد عيسى الحريري دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت 1987م.
- الكليني محمد بن يعقوب (ت 329 هـ/940م): روضة الكافي، ضبطه وعلق عليه محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1990م.
- الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت حوالي 975 هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر، الطبعة الثانية منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت

1983م.

- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق احمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت 1989م.

— : تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محي هلال السرحان مراجعة وتقديم حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

— : نصيحة الملوك، تحقيق خيضر محمد خيضر، مكتبة الفلاح، الكويت 1983م.

- مجهول (دونت أخبار الأندلس به حتى سنة 350هـ/961م): أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت 1984م.

- مجهول (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي): الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985م.

- مجهول (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي): كتاب التراتيب، تحقيق و دراسة سهيل زكار، ضمن كتاب الجامع في أخبار القرامطة، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1982م.

- مجهول (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي): القصيدة الشافية، تحقيق عارف تامر، دار المشرق ، بيروت 1986م.

- مجهول: مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والإسرار السامية، ضمن أربع كتب إسماعيلية، عني بتصحيحها. ر. شتروطمان، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2006م.

- مجهول (ألف حوالي سنة 711هـ/1311م): مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب 2005م.

- مسلم أبو الحسن بن النووي القشيري (ت 261هـ/875م): صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1981م.

- أبو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة داعي سمرمين (ت 497هـ/1103م): رسالة الأصول و الأحكام، نشر عارف تامر، ضمن خمس رسائل اسماعيلية، دار الإنصاف، سلمية 1956م.

- المعز لدين الله الفاطمي (ت 365 هـ/975 م): أدعية الأيام السبعة، تحقيق وتعليق إسماعيل قربان بوناوالا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006م.

- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت 380 هـ/990 م):
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي،
منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت 2003م.
- المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ/1441 م): اتعاط الحنفا بأخبار
الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الثانية، لجنة إحياء التراث
الإسلامي، القاهرة 1996م.
- : كتاب المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية) اختيار محمد
اليعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987م.
- ابن منظور أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ/1311-1312م): لسان
العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1968م.
- النعمان القاضي ابوحنيفة محمد بن محمد بن حيون التميمي المغربي (ت 363هـ/
974م): اختلاف أصول المذاهب، تقديم وتحقيق، مصطفى غالب، الطبعة الثالثة
دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت 1983م.
- : الأرجوزة المختارة، تحقيق إسماعيل قربان بوناوالا، معهد الدراسات الإسلامية
جامعة ميجل، مونتريال، كندا 1970م.
- : أساس التأويل ، تحقيق عارف تام، دار الثقافة، بيروت 1970م.
- : تأويل الدعائم، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار المعارف، القاهرة 1972م.
- : دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله
عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف،
القاهرة 1963م.
- : رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق و داد القاضي، دار الثقافة، بيروت 1970م.
- : الرسالة المذهبية، نشر عارف تامر، ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار
الإنصاف للتأليف والطباعة، سلمية 1956م.
- : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني الجلاي،
منشورات دار الثقليين، بيروت 1994م.
- : المجالس والمسائرات، تحقيق إبراهيم الفقي وإبراهيم شيوح ومحمد اليعلوي، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، تونس 1978م.
- : الهمة في آداب أتباع الأئمة، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، منشورات دار مكتبة
الهلال، بيروت 1985م.

- : المناقب والمثالب, تحقيق ماجد بن أحمد العطية, منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت 2002م.
- : النوبختي الحسن بن موسى (310هـ/923م): فرق الشيعة، حققه وصحح نصوصه عبد المنعم الحفني، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1992م.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ/ 1332 م): نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الرابع العشرون حققه حسين نصار وراجعه عبد العزيز الاهواني، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983م.
- : الجزء الثاني والعشرون حققه ووضع حواشيه محمد جابر عبد العال وراجعه إبراهيم مصطفى، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984م.
- : الجزء الثامن والعشرون حققه ووضع حواشيه محمد أمين و محمد حلمي محمد أحمد، يصدرها المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م.
- النيسابوري أحمد بن إبراهيم (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي): استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه، نشر ايضا نوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، القاهرة 1936م.
- : كتاب إثبات الإمامة، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت 1996م.
- الهمداني الحسن بن احمد بن يعقوب (ت 350 هـ / 961 م): صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوغ الحوالي، مكتبة الإرشاد ، صنعاء 1990م.
- الهمداني القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415 هـ / 1024 م): تثبيت دلائل النبوة، حققه وقدم له عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت بلا تاريخ.
- ابن وردان (من أعيان القرن التاسع أو العاشر الهجري / الخامس عشر- السادس عشر الميلادي): تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة و تحقيق محمد زينهم محمد عزب مكتبة مدبولي القاهرة 1988م.
- ابن الوليد حسين بن علي بن محمد: المبدأ والميعاد في الفكر الإسماعيلي، تحقيق خالد مير محمود، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق 2007م.
- ابن الوليد علي القرشي الداعي المطلق (ت 612 هـ / 1215 م): تحفة المرتاد وغصة

- الأضداد، ضمن أربع كتب إسماعيلية، عني بتصحيحها. ر. شتروطمان، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2006م.
- : جلاء العقول وزبدة المحصول، نشره عادل العواء، ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1958م.
- : دامغ الباطل وحتف المناضل، تحقيق مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1982م.
- : الذخيرة في الحقيقة، تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت 1971م
- : تاج العقائد ومعدن الفوائد ، تحقيق عارف تامر، الطبعة الثانية، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1982م.
- : رسالة الإيضاح والتبيين ، ضمن أربع كتب إسماعيلية، عني بتصحيحها ر. شتروطمان، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2006م.
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت 626 هـ / 1229 م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت 1977م.
- اليعقوبي احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/ 897 م): البلدان، ليدن 1886م.
- : كتاب البلدان, نشر دي غويه، ليدن 1892م، (نشر مع كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته في مجلد واحد)، دار صادر، بيروت.
- : تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت بلا تاريخ.
- اليماني محمد بن محمد (كان حيا في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي): سيرة الحاجب جعفر، نشر ايفا نوف ، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الثاني، القاهرة 1936م.

ثالثاً: المراجع العربية والأجنبية:

- أبو زيد نصر حامد: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1996م.
- أحمد خلف الله محمد: مفاهيم قرآنية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984م.
- الأعظمي محمد حسن: عبقرية الفاطميين، أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ.
- أرشيبالد . ر. لويس: القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة احمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة - نيويورك بلا تاريخ.
- أركون محمد: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، هاشم صالح، دار الساقى، بيروت 1999م.
- إسماعيل محمود: الأدارسة 172-375 هـ حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991م
- : الأغلبية (184-296هـ) سياستهم الخارجية، الطبعة الثالثة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة 2000م.
- : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء 1985م.
- : سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الازدهار، القسم الأول، الخلفية السوسيو تاريخية الطبعة الثالثة، سينا للنشر، القاهرة 2000م.
- اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، قام بمراجعته ايغور بلياييف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1957م.
- أومليل علي: الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء 1985م.
- إبراهيم أيوب: التاريخ الفاطمي السياسي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت 1989م.
- بركات وفيق: فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، سوريا 1995م.
- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت 1968م.

- بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م.
- بوطالب محمد نجيب: سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2002م.
- تامر عارف: تاريخ الإسماعيلية (الدعوة والعقيدة ، الجزء الأول، ومن المغرب إلى المشرق، الجزء الثاني)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص 1991م.
- تيتاو حميد: الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م، إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية (سلسلة أبحاث) الدار البيضاء 2009م.
- التيجاني عبد القادر حامد: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن 1995م.
- الجابري محمد عابد: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، الطبعة السادسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1999م.
- : تكوين العقل العربي، نقد العقل العربي (1)، الطبعة الرابعة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1989م.
- : العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، الطبعة الخامسة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1992م.
- جان سوفاجيه وكلود كاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998م.
- جديدي محمد: الحكم الفاطمي، الشرعية السياسية والمرجعية، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تقديم وتنسيق بوبه مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع قسنطينة 2007م.
- : الحكم الفاطمي، من البحث عن الحرية إلى ممارسة السلطة، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تقديم وتنسيق بوبه مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة 2007م.
- جعيط هشام: تأسيس الغرب الإسلامي، (القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م) دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2004م.
- جلال شرف محمد: نشأة الفكر السياسي في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

- بيروت 1982م.
- الجنحاني الحبيب: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1980م.
- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994م.
- حسن إبراهيم حسن، طه احمد شرف: عبيد الله المهدي، إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1947م.
- حسن علي إبراهيم: تاريخ جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1963م.
- حسن محمد: الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ / 7-15م دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004م.
- : المدينة و البادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس الأولى، تونس 1999م.
- حسين محمد كامل: في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة 1950م
- : طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1959م.
- الحمد عادل علي: قيام الدولة الفاطمية في بلاد افريقية والمغرب، دار مطابع المستقبل القاهرة الإسكندرية 1980م.
- الحمد محمد عبد الحميد: الأفلوطينية المحدثثة والتوحيد الإسماعيلي، منشورات الحمد للطباعة والنشر والتوزيع 2003م.
- خميسي ساعد: المنظومة العقدية الفلسفية لدى الإسماعيلية الفاطمية، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تقديم وتنسيق بوبة مجاني، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، قسنطينة 2007م.
- الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296- 365 هـ / 909- 975م) دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994م.
- دفترى فرهاد: الإسماعيليون تاريخهم و عقائدهم، الجزء الثاني، الإسماعيلية الفاطمية والمستعلية، ترجمة سيف الدين القصير، دار الينابيع، دمشق 1995م.
- : الإسماعيليون في العصر الوسيط، تاريخهم وأفكارهم ، ترجمة سيف الدين

- قصير، منشورات دار المدى للثقافة والنشر، سوريا 1999م.
- : الحياة الفكرية بين الإسماعيليين : نظرة عامة، ضمن كتاب المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام، تحقيق فرهاد دفتري، ترجمة ناصح ميرزا دار الساقى بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت 2004م.
- الدوري عبد العزيز: العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، الطبعة الثالثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1997م.
- الرحموني محمد: الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، بحث في مواقف العلماء المسلمين في القرنين الرابع والخامس للهجرة، عبد المجيد الشرقي دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2002م.
- : الدين والإيديولوجيا، جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2005م.
- روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زياد، مكتبة لبنان بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت-نيويورك 1967م.
- الرئيس محمد ضياء الدين: النظريات السياسية الإسلامية، الطبعة السابعة، مكتبة دار التراث، القاهرة 1976م.
- زاهد علي: تبیین المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي المغربي، مطبعة المعارف مصر 1932م.
- زنيبر محمد: المغرب في العصر الوسيط ، الدولة والمدينة والاقتصاد ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1999م.
- زهرة محمد علي: دولة القلاع، قراءة في المذهب الإسماعيلي وأحلام المدينة الفاضلة دراسة وتحليل، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 2004م.
- سرور محمد جمال الدين: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة 1995م.
- سفيتلانا باتسييفا: العمران البشري في مقدمة ابن خلدون ، ترجمة عن اللغة الروسية رضوان إبراهيم، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس 1978م.
- السيد رضوان: الأمة والجماعة والسلطة، دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت 1984م.
- شنيتي محمد البشير: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني)، ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999م.

- الطالب محمد: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي 184-296 هـ/800-909م نقله إلى العربية المنجي الصيادي وحمادي الساحلي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت 1995م.
- الطاهري أحمد: عامة قرطبة في عصر الخلافة، دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي، منشورات عكاظ، الرباط 1989م.
- الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد، من نظام التثمين التعاقدى إلى نمط الإنزال الإقطاعي، مركز إسكندرية للكتاب 2004م.
- ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 1997م.
- العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي الفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت بلا تاريخ.
- العبادي أحمد مختار وآخرون: تاريخ البحرية الإسلامية، في مصر والشام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981م.
- عبد الجبار ناجي: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت 2001م.
- عبد الستار عثمان محمد: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 128، الكويت 1988م.
- عبد الكريم يوسف جودت: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 - 10 م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992م.
- عثمان هاشم: الإسماعيلية بين الحقائق والأباطيل، تقديم عارف تامر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1998م.
- العربي إسماعيل: دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م.
- عواصم بني زيري، ملوك أشير، القلعة، بجاية، غرناطة، المهدية، دار الرائد العربي، بيروت 1984م.
- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000م.
- عطية جمال الدين: التنظير الفقهي، بلا دار الطبع، قطر 1987م.
- عقاب محمد الطيب: الأواني الفخارية الإسلامية، دراسة تاريخية فنية مقارنة، ديوان

- المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984م.
- عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في شمال إفريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر 2008م.
- بن عميرة محمد: دور زناته في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.
- غاستون بوتول: الحرب والمجتمع، تحليل اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية، ترجمة عباس الشربيني، مراجعة وتقديم محمد علي محمد، دار النهضة العربية، بيروت 1983م.
- غالب مصطفى: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1965م.
- : أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية، دار الثقافة، بيروت 1984م.
- فضل الله محمد حسين: الهجرة والاعتراب تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة، جمع وتقديم، عادل القاضي، مؤسسة العارف لمطبوعات، بيروت 1999م.
- فيلاي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الطبعة الثانية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة 1999م.
- القاسمي محمد جمال الدين: محاسن التأويل، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت 1978م.
- القبلي محمد: الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، علائق وتفاعل، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء 1997م.
- القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، الطبعة الحادية عشر، مكتبة وهبة، القاهرة 2000م.
- قصير سيف الدين: ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1994م.
- القيسي ناهض عبد الرزاق: الفخار والخزف، دراسة تاريخية أثرية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان 2009م.
- كامل حسين محمد: أدب مصر الفاطمية، طبع ونشر دار الفكر العربي، بلا تاريخ.
- : الطائفة الإسماعيلية تاريخها-نظمها-عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1959م.
- كوربان هنري: الإمام الثاني عشر، ترجمة وتحقيق وتقديم نواف محمود الموسوي دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2007م.

- تاريخ الفلسفة الإسلامية، راجعه وقدم له موسى الصدر وعارف تامر، ترجمة نصير مروة وحسين قبيسي، الطبعة الثانية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت 1998م.
- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م.
- لويس برنارد: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، راجعه وقدم له خليل أحمد خليل الطبعة الثالثة، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1998م.
- لغة السياسة في الإسلام، ترجمة إبراهيم شتا، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص 1993م.
- الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، الطبعة الثانية، مكتبة مديبولي، القاهرة 2006م.
- مارسية جورج: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف احمد، منشأة المعارف الإسكندرية 1991م.
- مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بلا تاريخ مبارك علي: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، محاولة في إعادة بناء العقائد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1993م.
- مجاني بوبة: دراسات إسماعيلية، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة 2002-2003م.
- المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2005م.
- محمد رعد سعيد: العمران في مقدمة ابن خلدون، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1985م.
- محمد جمال الدين عبد الله: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب، وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري، مع عناية خاصة بالجيش دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1991م.
- محمود إبراهيم: الفتنة المقدسة، عقلية التخادم في الدولة العربية الإسلامية، رياض الريس بيروت 1999م.
- مختار الليثي سميرة: جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت بلا تاريخ.

- المرزوقي أبو يعرب: فلسفة التاريخ الخلدونية ، دور علم العمران في عمل التاريخ وعلمه ، الدار المتوسطة للنشر، تونس 2007م.
- مرمول محمد صالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م.
- المريني الجيلالي: القواعد الأصولية وتطبيقاتها الفقهية عند ابن قدامة في كتابه المغني دار ابن القيم، دار ابن عفان، مصر 2002م.
- المنصوري الطاهر: علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي ، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط، تنسيق حسن حافظي العلوي، سلسلة مناظرات وندوات رقم 157، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2008م.
- المنوني محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1983م.
- الميللي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتحقيق محمد الميللي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.
- ميتر آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م.
- النشار سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999م
- نوح علي: الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1994م.
- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م ، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م.
- اليعلاوي محمد: ابن هانئ المغربي الأندلسي (931/320-973/362)، شاعر الدولة الفاطمية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985م.
- Bourouiba Rachid: L'architecteur militaire de l'Algérie médiévale, Office des publications universitaires, Alger 1983.
- : L'art musulman en Algérie, Société nationale d'édition et de diffusion, Alger 1973.
- Gautier (E.F): Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, Paris Payot 1942.

- Golvin Lucien: Le Maghreb central a l'époque des Zirides, Recherche d'archéologie et d'histoire arts et métiers graphique Paris 1957.
- De lacy O'leary: A short history of the fatimide khalifat, printed in Great Britain by John Robert, press limited, London1923.
- Marçais: Manuel l'art musulman, l'architecture (Tunisie, Maroc, Espagne, Sicile) du 9 siècle au 12 siècle édition Auguste picard,Paris1926
- Shafique N.virani the Ismailis in the middle Ages: A History of Survival a Search for Salvation, oxford university press, London 2007.

رابعاً: الرسائل الجامعية :

- بيرم كمال: بلدية المسيلة المختلطة، دراسة اقتصادية واجتماعية بين1884-1945م، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة البحر المتوسط، إشراف مصطفى حداد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسنطينة 2005- 2006م.
- رحمانى موسى: الأوراس في العصر الوسيط، من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر 27-362هـ/637-972م، دراسة اجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ، إشراف بوبه مجاني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسنطينة 2006-2007م.
- الطويل الطاهر: التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط , مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ و حضارة المغرب الأوسط, إشراف محمد فرقاني, كلية الآداب والعلوم الإنسانية , جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, قسنطينة2007/2008م.
- عيش يوسف: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ والآثار، إشراف محمد البشير شنيطي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسنطينة 2007- 2008م.
- لواتي دلال: عامة القيروان في العصر الأغلي (184- 296 هـ / 800 - 908م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي, إشراف بوبه مجاني كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية, قسنطينة2001-2002م.
- مجاني بوبه: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296- 362 هـ/909- 973 م) رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي إشراف محمود إسماعيل , معهد العلوم الاجتماعية ,جامعة قسنطينة1415هـ/1995م.

خامسا: الملتقيات :

- بطيب الهوارية: المسيلة المحمدية في الإستراتيجية المحمدية، ضمن الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وأعلام المسيلة من 27-29 أبريل، دار الثقافة، المسيلة 2009م.
- ديبس مصطفى: الفن الإسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين، ضمن ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، المهدية 12-15 أوت 1975م ، وزارة الشؤون الثقافية تونس 1977م.
- زكار سهيل: الفكر الإسماعيلي في تطوره الإفريقي ، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية ، المهدية 12-15 أوت 1975م ، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1977م.
- السعيد عمر: انتقال الفاطميين إلى مصر، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الندوة الثانية (المهدية من 4-7 أوت 1977م)، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م.
- سيد أيمن فؤاد: تطور الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية في المغرب ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية ، الدورة الثانية ، المهدية من 4-7 أوت وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م.
- عاشور عبد الفتاح سعيد: عوامل نجاح الدعوة المبكرة للدولة الفاطمية ، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهدية من 4 إلى 7 أوت 1977م، وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م.
- عبد القادر قرمان: مدينة المسيلة، النشأة والتطور في العهد الإسلامي، ضمن الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وأعلام المسيلة من 27-29 أبريل، دار الثقافة، المسيلة 2009م.
- العقون أم الخير: الموقع الإستراتيجي لمنطقة الحضنة في التاريخ القديم، ضمن أعمال الملتقى الدولي مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 1007م-2007م، المسيلة 9-11 أبريل 2007م.
- كاشف سيدة إسماعيل: الدعوة الفاطمية في مصر قبل قيام الخلافة الفاطمية فيها، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية، الدورة الثانية، المهدية من 04-07 أوت 1977م وزارة الشؤون الثقافية، تونس 1981م.
- اليعلاوي محمد: الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين، ضمن ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري أيام 15-16-17 أبريل 1994م، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، دار الكتب الوطنية للتوثيق و الإعلام، تونس 1995م.

سادسا: الدوريات العربية والأجنبية:

- رشيد بورويبة: آشير عاصمة بني زيري, مجلة الأصالة, يصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية, العدد 12, الجزائر 1973م.
- تامر عارف: بين الإسماعيلية الباطنية والتصوف, مجلة الباحث, العدد 2, بيروت 1994م
- التليلي عبد الرحمن: المدن ومجتمعات الحضر في المغرب, مجلة الفكر, العدد 9, تونس 1986م.
- التير مصطفى عمر: ملاحظات حول علاقة ابن خلدون بعلم الاجتماع, مجلة الحياة الثقافية, العدد 173, وزارة الثقافة والمحافظة على التراث, تونس 2006م.
- جمال شعبان: قراءة جديدة في فكر ابن خلدون, مجلة المستقبل العربي, العدد 319, يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2006م.
- الجنحاني الحبيب: ابن خلدون والتطور العمراني في المغرب العربي الإسلامي, مجلة الحياة الثقافية, تصدر عن وزارة الثقافة والمحافظة على التراث, العدد 173, تونس 2006م.
- سامعي إسماعيل: الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل, القرن 4هـ/10م, مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, العدد 20, قسنطينة 2006م.
- السيد رضوان: الدار والهجرة وأحكامها عند ابن المرتضى, دراسة في ظهور المسألة وتطورها عند الزيدية, مجلة الاجتهاد, العدد 12, دار الاجتهاد الأبحاث و الترجمة والنشر, بيروت 1991م.
- : الدين والمجتمع والدولة في العلاقات والمرجعيات والمصائر, مجلة التسامح العدد 17, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, مسقط 2007م.
- الشبخلي صباح إبراهيم: النشاط التجاري في بلاد المغرب, خلال القرن الرابع الهجري دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل, مجلة التاريخ العربي, العدد 6, جمعية المؤرخين المغاربة, المملكة المغربية 1998م.
- رشيد رضا محمد: تفسير المنار, الطبعة الثانية, دار المعرفة, بيروت بلا تاريخ
- العبادي أحمد مختار: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس, صحيفة معهد الدراسات الإسلامية, العدد 1-2, مدريد 1957م.
- عبد العال عبد المنعم الشامي: جغرافية المدن عند العرب, مجلة عالم الفكر, المجلد 09, العدد 01, الكويت 1978م.
- لقبال موسى: الحلف بين أهل السنة و النكارية في القرن 4هـ/10م, وأثره في تطور

- مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس, مجلة الأصالة, العدد 60-61, الجزائر 1979م.
- : زناتة والأشراف الحسينيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط, مجلة الأصالة العدد 26, الجزائر 1975م.
- مرمول محمد صالح: نشأة المسييلة وتطورها, مجلة سيرتا, يصدرها معهد العلوم الاجتماعية, العدد 4, قسنطينة 1980م.
- مكي محمود علي: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية, صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية, مج 2, العدد 1-2, مدريد 1954م.
- الهراس المختار: القبيلة والدورة العصبية, قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغربي, العدد 31, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت 2004م.
- اليعلاوي محمد: بلاط بني حمدون بالمسييلة من خلال شعر ابن هانيء مجلة الأصالة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية, عدد 24 الجزائر 1975م.
- Cambuzat (P. L): L'evolution des cites du tell en ifrikya du VIIe au XIe Siècle de office publication universitaire, Alger 1873.
- Chabassière: Le kef-el-akhdar et des ruines, Revue Africaine du province de Constantine, 1872.
- Feraud, (CH): Histoire des villes de la Province de Constantine, Setif BBA, Boussaâda, in Recueil des notices de la Société Archéologique Alger 1969.
- Leclerc. (L): Une inscription du kaf-Tazrout, Recueil des Notices de la société archéologique de la province de la Constantine, 1864
- Maguelonne, (J): monographie de M'sila Géographique et historique de la tribu du Hodna, oriental in, Recueil des Notices de la société Archéologique de la province de la Constantine, 1909.
- Marçais (G): Recherches d'archéologie musulmane, Achir, Revue Africaine, Volume 63, Alger, 1922.
- Massiera, (P): M'sila du Xe au XVe Siècle, bulletin du la Société et Géographique de la région de Setif, tome 2, annee 1941.
- Rebert (M.A): la Kalaa et Tihmamine, Recueil des notices Mémoires de la société archéologique de Constantine, 1903.

فهرس الموضوعات

| الموضوع | رقم الصفحة |
|--|------------|
| المقدمة..... | أ- ظ..... |
| : الهجرة من النموذج النبوي إلى التقليد الإسماعيلي. | |
| أولاً: ثلاثية الدعوة و الهجرة و الدولة..... | 2-7..... |
| 1 - أهمية الهجرة بالنسبة للدعوة..... | 2-4..... |
| 2 - الهجرة سعة و استقلال..... | 4-5..... |
| 3 - الهجرة قانون رباني عام..... | 5-7..... |
| ثانياً: الهجرة تعريف و بيان..... | 8-13..... |
| 1 - التعريف اللغوي للهجرة..... | 8-10..... |
| 2 - التعريف الشرعي للهجرة..... | 10-13..... |
| أ- الهجرة الباطنة المعنوية..... | 10-11..... |
| ب- الهجرة الظاهرة الحسية..... | 11-13..... |
| ثالثاً: التقليد الإسماعيلي للهجرة..... | 14-21..... |
| 1 - الهجرة و الدعوات السياسية..... | 14-17..... |
| 2 - الهجرة و المذهب الإسماعيلي..... | 18-21..... |
| الفصل الثاني: دار الهجرة بين التنظير الإسماعيلي و الواقع المغربي. | |
| أولاً: الدار و الهجرة، دراسة من خلال المذهب الإسماعيلي..... | 22-38..... |
| 1 - دار الهجرة من النبوة إلى الإمامة..... | 24-27..... |
| 2 - البعد العقدي لدار الهجرة..... | 28-33..... |
| أ- الرد على الزيدية..... | 30-31..... |
| ب- الرد على الإمامية الإثنا عشرية..... | 32-33..... |
| 3 - البعد الفلسفي لدار الهجرة..... | 34-38..... |
| أ- مرحلة الانتقال من الضعف إلى القوة..... | 36-37..... |
| ب- مرحلة الانتقال من القوة إلى الفعل..... | 37-38..... |
| ثانياً: ماهية الدعوة الإسماعيلية و مراتبها..... | 39-47..... |
| 1 - ماهية الدعوة الإسماعيلية..... | 39-41..... |
| 2 - مراتب الدعوة الإسماعيلية..... | 42-47..... |

- أ- المراتب الكلية.....45-42
- ب- المراتب التابعة.....47-45
- 3 – جغرافية الدعوة الإسماعيلية.....49-48
- ثالثا: المذهب الإسماعيلي والواقع المغربي.....60-50
- 1 – الدعوة الإسماعيلية بالمغرب.....53-50
- 2 – الواقع السياسي للمغرب.....55-54
- 3 – المغرب الأوسط وإشكالية المجال.....57-56
- أ- العامل السياسي.....58-57
- ب- العامل القبلي.....60-59

الفصل الثالث: العمران في مرحلة الدعوة الإسماعيلية.

- أولا: كتامة القبيلة و العمران.....71-62
- 1 – العمران الخلدوني.....65-62
- 2 – الإطار الجغرافي لقبيلة كتامة.....69-66
- 3 – العمران الإسماعيلي ومقوماته.....71-70
- ثانيا: دار الهجرة تازروت، دراسة تاريخية.....80-72
- 1 – إيكجان التسمية والموقع.....75-72
- أ- أصل التسمية.....72
- ب- الموقع.....75-72
- 2 – تازروت التسمية والموقع.....77-76
- أ- أصل التسمية.....76
- ب- الموقع.....77-76
- 3 – الإنشاءات العمرانية لمدينة تازروت.....80-78
- أ- بناء القصر.....78
- ب- بناء الدور والمسكن.....79
- ج- بناء السور.....80-79
- ثالثا: دار الهجرة إيكجان، دراسة من خلال المواصفات و البقايا.....89-81
- 1 – المظاهر العمرانية لمدينة إيكجان.....84-81
- أ- السور.....83-81

- ب- البرج..... 83
- ج- الأعمدة..... 84
- 2 - طريقة البناء..... 85-84
- أ- مواد بناء السور..... 85-84
- الحجارة..... 84
- الملاط..... 85
- 3 - البقايا الأثرية لمدينة إيكجان..... 89-85
- أ- بقايا المقبرة..... 86-85
- ب- البقايا الفخارية..... 89-86
- الأواني الفخارية..... 87-86
- القنوات الفخارية..... 89-87 الفصل
- الرابع: العمران في مرحلة الدولة.**
- أولاً: حملة القائم وأثرها على العمران في المغرب الأوسط..... 98-91
- 1 - دواعي تأسيس مدينة المحمدية..... 95-94
- 2 - تاريخ اختطاط مدينة المحمدية..... 96-95
- 3 - أصل التسمية..... 98-96
- أ- تسميتها بالمحمدية..... 97-96
- ب- تسميتها بالمسيلة..... 98-97
- ثانياً: التخطيط العمراني لمدينة المحمدية..... 107-99
- 1 - مفهوم التخطيط العمراني..... 101-99
- 2 - المنشآت العمرانية لمدينة المحمدية..... 107-102
- أ- العمران العسكري..... 104-102
- البرج..... 103-102
- بناء السور..... 104-103
- المخازن..... 104
- ب- العمران الديني..... 105-104
- المسجد..... 105-104
- ج- العمران المدني..... 105
- دار الإمارة..... 105

| | |
|--|---|
| 106-105..... | - التجمعات السكنية |
| 107..... | - السوق |
| 107..... | - الحمامات |
| 119-108..... | ثالثا: المحمدية من الحرب إلى الحياة الحضرية |
| 110-108..... | 1 - ثورة صاحب الحمار ودور المحمدية في إخمادها |
| 115-111..... | 2 - الحياة الحضرية لمدينة المحمدية |
| 113-112..... | أ- الجانب الزراعي |
| 115-113..... | ب- الجانب التجاري |
| 119-116..... | 3 - التطور العمراني لمدينة المحمدية |
| الفصل الخامس: الصراع الأموي الفاطمي وانعكاساته على العمران. | |
| 129-121..... | أولا: مظاهر الصراع الفاطمي مع أموي الأندلس |
| 124-122..... | 1 - بدايات الصراع الفاطمي مع أموي الأندلس |
| 123-122..... | أ- حركة الجواسيس في الأندلس |
| 124..... | ب- دعم الثورات الداخلية بالأندلس |
| 129-125..... | 2 - التدخل الأموي في المغرب الأوسط |
| 125..... | أ- إعلان قيام دولة الخلافة |
| 127-125..... | ب- كسب ولاء قبيلة زناتة |
| 129-128..... | ج- التوسع في سواحل المغرب |
| 143-130..... | ثانيا: بناء أشير تعمير للمجال أم عمران حرب |
| 136-130..... | 1 - تعمير المجال بين القبيلة والدولة |
| 134-133..... | أ- مؤسس مدينة أشير |
| 135-134..... | ب- تاريخ اختطاط مدينة أشير |
| 135..... | ج- أصل التسمية |
| 136-135..... | د- التطور العمراني لمدينة أشير |
| 143-137..... | 2 - طبيعة العمران بمنطقة أشير |
| 139-137..... | أ- منزله بنت السلطان |
| 138..... | - السور |
| 138..... | - البرج |
| 139-138..... | - الصهريج |

| | |
|----------------|--|
| 139..... | - المساكن |
| 140-139..... | ب- مدينة الياشير |
| 140..... | - قصر زيري |
| 143-141..... | ج- مدينة بنية |
| 142-141 | - السور |
| 142 | - بقايا المسجد |
| 143-142 | - الحصن |
| 156 -144 | ثالثا: ثنائية البناء والتهديم في الصراع الأموي الفاطمي |
| 148-145..... | 1 - التهديم الفاطمي لعمران قبيلة زناتة |
| 146..... | أ- مدينة زبرقة |
| 147-146..... | ب- مدينة الحمير |
| 148-147..... | ج- حصن بهيروج |
| 148..... | د- قلعة مطماطة |
| 151-148..... | 2 - مقاومة عمليات التهديم الفاطمي |
| 149-148..... | أ- دعم قبيلة زناتة |
| 151-149..... | ب- اجتياح مدينة تاهرت |
| 156-151..... | التهديم الفاطمي لعمران قبيلة بني يفرن |
| 153-151..... | أ- عمران قبيلة بني يفرن |
| 156-154..... | ب- تهديم مدينة إيفكان |
| 160-157..... | الخاتمة |
| 183-161..... | الملاحق |
| 211-184..... | قائمة المصادر والمراجع |
| 218-214..... | فهرس الموضوعات |